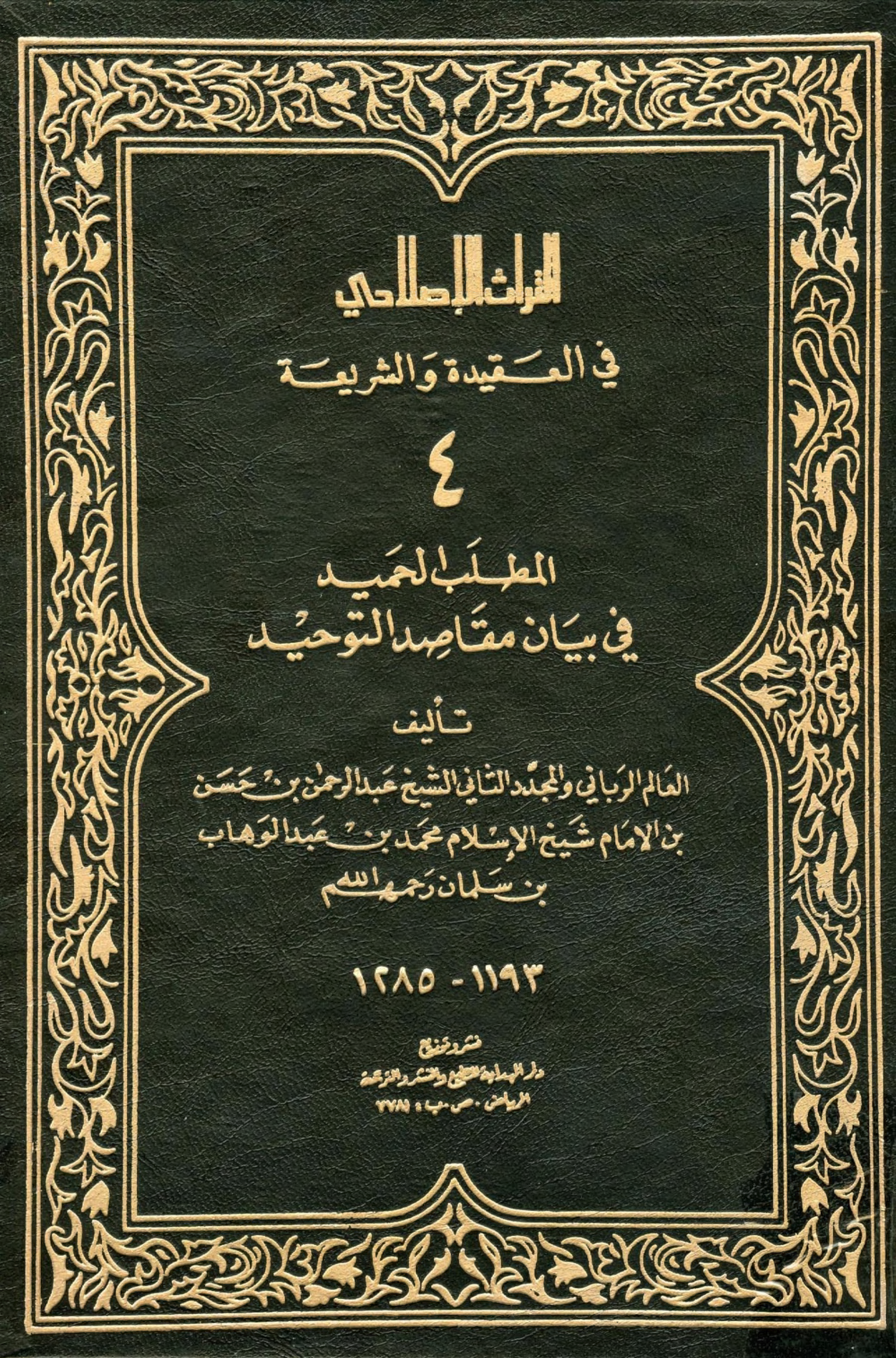

التراث الإصلاحي
في العقيدة والشريعة
٤
المطلب الحميد
في بيان مقاصد التوحيد
تأليف
العالم الرباني والمجدد الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن
بن الامام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
بن سلمان رحمهم الله
١١٩٣ - ١٢٨٥
نشر وتوزيع
دار الهداية للطبع والنشر والترجمة
الرياض - ص ب : ٢٧٨٦



في العقيدة والشريعة

٤

المطلب الحميد

في بيان مقاصد التوحيد

تأليف

العالم الرباني والمجدد الثاني الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الإمام

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان رحمهم الله

١١٩٣ - ١٢٨٥

نشر وتوزيع

دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة

الرياض، ص. ب: ٣٢٦١٧

الطبعة الأولى
١٤١١هـ ١٩٩١م

التراث الإصلاحي

في العقيدة والشريعة

٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المستعان والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان.

وبعد: فإن من ظواهر المجتمعات الإنسانية والأعراف البشرية اختلاف الملل وتباين النحل ومنه اختلاف المذاهب والطوائف.

فبقدر المدارك الإنسانية يكون المد والجزر بين الإختلاف أو الإتفاق وهي ظواهر طبعية جبل عليها البشر لعمارة الكون ومقوماته الذاتية كما في قوله تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾**.

لذا سطر التاريخ لأرباب الدين الواحد والمذهب الواحد شعب الاختلاف ومن ذلك تنوعت مسميات كل مذهب أو مسلك أو اتجاه، وهكذا الإختلاف ماضٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا عدم المعيار وجهة التحاكم كان الخلاف على أشده قد يصل إلى إهراق الدماء وإسقاط حرمة البشر.

ويعجبني ما كتبه علامة الباكستان ومفتيها الشيخ محمد شفيع في رسالة عنوانها (أخلاف أم شقاق) أعرب عن منهج التحقيق بأسلوب المحبة والوئام، وليس الشقاق في الدين الواحد والمذهب الواحد بالمطلب

الحميد مهما احتدم الصراع وتفاقم النزاع واتسعت هوة الخلاف في حدود دائرة الإسلام.

وعلى هذا درج أئمة الإصلاح وقادة الناس إلى الخير فكانوا مثلاً يحتذى، وبرز على الصعيد من ناوىء مسلك السلف في تحقيق العبادة للرب المعبود.

فقام الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله برد الشبه التي تمس جانب التوحيد فشيد الله به منار الإسلام وبدد غياهب الظلام، وإن من واجب الدعوة إلى الله وما يجب في حق أولئك الأعلام التعريف بما قاموا به ونشر ما كتبوه ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بينة.

فقمت بتصفح بعض رسائله وفتاويه فاخترت منها:

١ ـ المقامات: وهو رد على عثمان بن منصور النجدي التميمي المتوفى سنة ١٢٨٢ هـ، وقد زعم أن تسلط الدولة العثمانية وحملات إبراهيم باشا على الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى والتي جرها محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد دليل على ضلالة ما هم عليه، وغواية ما توجهوا إليه فكان في ما كتبه الشيخ عبد الرحمٰن تاريخ ورد أجمل ما كتبه في تسع مقامات.

٢ ـ المحجة في الرد على الملقب باللجة محمد بن عبد الله بن حميد المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ صاحب كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» تناول فيه تراجم جملة من العلماء، ففرط وأفرط وتخبط وخلط، ولولا أنه لم يمدح البوصيري في بردته لكان الأمر أخف، ففي كتاب المحجة بيان ما اكترثه البوصيري في قصيدته الشركية على جناب التوحيد والإطراء بخير البشرية كما في قوله:

يا أكرم الخلق مالي من الوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

٣ ـ إرشاد طالب الهدى لما يباعد عن الردى، وهو توجيه وتعليم في صيغة رد على أحمد بن علي بن أحمد بن دعيج المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ، زعم أنه لا بأس من الإقامة في بلد يمارس فيها الشرك والمعاصي دون نكير مع القدرة على ذلك.

٤ ـ المراسلات: كنت جمعت من مكاتباته ثمان وخمسين رسالة وجهها للأعيان والعلماء وأفراد من المسلمين بدأها بقوله: من عبد الرحمٰن بن حسن إلى . . . .

تتضمن نصائح وتوجيهات معالجة وقائع وأحداث زمنية والتاريخ يعيد نفسه ولله الأمر من قبل ومن بعد.

٥ ـ بيان كلمة التوحيد رد فيه على عبد المحمود الكشميري حين تكلم في معنى لا إله إلا الله أظهر من الجهل والضلال ما تعقبه الشيخ عبد الرحمن بمعول الدلالة وساطع الرسالة ما أدحض به شبه المشبهين وضلالات المبطلين فرحمه الله رحمة واسعة.

جمعتها لتكون في مجلد واحد تطبع ضمن سلسلة التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة ليكون هذا هو المجلد الرابع، وفيما أقوله وأكتبه نرجو رضى الله والدار الآخرة، وأختم هذا التقديم ببيان ما صدر من السلسلة المذكورة وهي: ـ

١ ـ مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام.
تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ.

٢ ـ القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس.
تأليف الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ.

٣ - منهاج التأسيس والتقديس تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

٤ - المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، وهو هذا للشيخ عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ، نسأل الله أن يهب لنا من أمرنا رشداً وصلى الله على محمد.

كتبه

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل العتيق

١٤١١/١١/١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقامات

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه أما بعد : فليعلم أن هذا الذي علقته في هذه الورقات قد اقتصدت فيه واقتصرتُ على مَا تحصل به الفائدة ويحصل به الثواب من الرب الكريم الوهاب لأنه من أفضل الجهاد في الدين والنصيحة لعامة المسلمين ولمن يصل إليه ممن له رغبة في معرفة حقيقة الدين الذي بعث الله به الأنبياء والمرسلين فأقول قبل الشروع في تحرير الجواب : أن عثمان بن منصور اعترض على شيخنا رحمه الله تعالى فيما دعا إليه من توحيد الله تعالى من الحنيفية ملة ابراهيم وما بعث به محمدٌ النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع المرسلين فقال إنه لم يتخرج على أشياخ في العلم وهذا مما افتراه واختلقه عمن استند إليه من شيوخه الثلاثة ابن سند وابن جديد وابن سلوم وهذا من جهلهم بحال شيخنا وشدة عداوتهم له فتلقى عن هؤلاء الثلاثة مازعموه من الكذب والبهتان فالجواب عن هذا من وجوه .

الأول : أنه لا يعرف شيخنا ولا حيث نشأ كما يعرفه الخبير بحاله ممن يقول الحق ويقصده ويتحرى الصدقَ ويُؤثره فلا ريبَ أنه لما قدم جدّه سليمان ابن علي من الروضة ونزل العيينة كان افقه أهل نجد في وقته فتخرج عليه خلق كثير من أهل نجد منهم ابناه عبد الوهاب وابراهيم وكان المتولي للقضا في العارض أبوه عبد الوهاب وكان عمه يُسافر إلى ماحولهم من البلاد لحاجتهم إليه في الأفتاء وما يقع بينهم من بيع العقارات وكان عليه اعتمادهم فيما كتبه واثبته وأكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب فظهر شيخنا بين أبيه وعمه فحفظ القرآن وهو صغير وقرأ في فنون العلم وصار له فهم

قوي وهمة عالية في طلب العلم فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائِل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجوه عن الأصحاب فتخرج عليهما في الفقه وناظرهما في مسائِل قرأها في الشرح الكبير والمغني والانصاف لما فيها من مخالفة مافي متن المنتهى والاقناع وعلت همته إلى طلب التفسير والحديث فسافر إلى البصرة غير مرة كل مرة يقيم بين من كان فيها من العلماء فأظهر الله له من أصول الدين ماخفي على غيره وكذلك ماكان عليه أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات والإيمان فيقال في الجواب انت يابن منصور إنما 'فتخرت في رحلتك إلى البصرة والزبير وإقامتك بين اشياخك الثلاثة فمالذي خصك بأخذ العلم منها دونه إذا كان الكل قد سافر إليها وجالس العلماء وتميز عنك بالأخذ عمن لا يتهم في حقه بالكذب والزور وأنت قبلت فيه قول أهل الريب والفجور وصنف في البصرة كتاب التوحيد الذي شهد له بفضله بتصنيفه له القريب والبعيد أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث وأما أنت يابن منصور فأي علم جئت به من رحلتك ضيعتَ زمانك وأخمدت شانك وصرت ضحكة عند من أخذ عن هذا الشيخ وقد عدوا عليك من الغلطات مالا فائدة في عده هاهنا وأنت لم تنقل عنهم واحدة غلطوا فيها وذلك ببركة ماحصلوه ممن أخذ عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب فكيف حالك لو رأيت من أخذ عنه لكنت في نفسك احقَر ومن الدليل على ماذكرته هنا أنّه طلب الاجازة من مملي هذا الكلام فأجازه بمروياته في الحديث وغيره ظنا مني أنه على هدى وأنه بأهل العلم قد اقتدا ثم ان شيخنا رحمه الله تعالى بعد رحلته إلى البصرة وتحصيل ماحصل بنجد وهناك رحل إلى الاحساء وفيها فحول العلماء منهم عبد الله بن فيروز ابو محمد الكفيف

ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم ماسر به واثنى على عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد وحضر مشايخ الإحساء ومن اعظمهم عبد الله بن عبد اللطيف القاضي وطلب منه أن يحضر الأول من فتح الباري على البخاري ويبين له ماغلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان وبين أن الأشاعرة خالفوا ماصدَّر البخاري كتابه من الأحاديث والآثار وبحث معهم في مسائل وناظر هذا أمر مشهور يعرفه أهل الإحساء وغيرهم من أهل نجد فإذا خفي عليك يابن منصور هذا أو جحدته فغير مستغرب والعدو يجحد فضايل عدوه .

كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

ثم ان شيخنا رحمه الله رجع من الاحساء إلى البصرة وخرج منها إلى نجد قاصدا الحج فحج رحمه الله تعالى وقد تبيّن له بما فتح الله تعالى عليه ضلال من ضل باتخاذ الأنداد وعبادتها من دون الله في كل قطر وقرية إلا من شاء الله فلما قضى الحج وقف في الملتزم وسأل الله تعالى أن يظهر هذا الدين بدعوته وأن يرزقه القبول من الناس فخرج قاصداً المدينة مع الحاج يريد الشام فعرض له بعض سراق الحجيج فضربوه وسلبوه واخذوا مامعه وشجوّا رأسه وعاقه ذلك عن مسيره مع الحاج فقدم المدينة بعد أن خرج الحاجّ منهَا فاقام بها وحضر عند العلماء إذ ذاك منهم محمد حياة السندي واخذ عنه كتب الحديث اجازة في جميعها وقرآة لبعضها ووجد فيها بعض الحنابلة فكتب كتاب الهدي لابن القيم بيده وكتب متن البخاري وحضر في النحو وحفظ الفية ابن مالك ثم رجع إلى نجد وهم على الحال التي لايحبها الله ولا يرضاها من الشرك بعبادة الأموات والأشجار والأحجار والجن فقام فيهم يدعوهم إلى التوحيد وأن يخلصوا العبادة بجميع أنواعها لله وأن

يتركوا ماكانوا يعبدونه من قبر أو طاغوت أو شجر أو حجر والناس يتبعه منهم الواحد والاثنان فصاح به الأكثرون وحذروا منه الملوك واغروهم بعداوته حتى إن ابن حميد ملك الاحساء والقطيف والبادية أرسل إلى ابن معمّر أمير العيينة أن يقتله أو ينفيه فنفاه إلى الدرعية وتلقاه محمد بن سعود رحمه الله تعالى وأولاده واخوته فصبروا على حرب القريب والبعيد حتى أظهر الله هذا الدين فنجا بدعوته من نجاه الله من الشرك والضّلال وهلك بدعوته من هلك ممن بغى وطغى واستكبر وحسد وكل من دعا إلى مادعت إليه الرسل لابد أن يقع له من الناس مَا وقع لهم والمقصود ذكر نعمة الله تعالى على شيخنا وبيان كذب المفتري وأنه نشأ في طلب العلم وتخرج على أهله في سن الصبا ثم رحل لطلب العلم للبصرة مراراً وللإحساء ثم إلى المدينة والمعول على ماوهبه الله تعالى من الفهم والحفظ وتمييز الحق من الباطل ومعرفة حقيقة التوحيد وما ينافيه من الشرك الأكبر وسبيل أهل السنة ومعرفة ما خالف السنة من البدع أعطاه الله في ذلك علماً عظيماً فصار بذلك يشبه أكابر علماء السنة وما كان عليه السلف الصالح فصار آية في العلوم ونفع الله بدعوته الخلق الكثير والجم الغفير وبقيت علومه في الناس يعرفها العام والخاص من أهل نجد وغيره وما أنكر هذه الدعوة الإسلامية بعد ظهورها في نجد وما والاه إلا جاهل معاند لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فدحضت بحمد الله حجة كل مجادل ومماحل فأتم الله نعمته على من قبل هذه الدعوة الإسلامية وقد قال بعض العلماء رحمهم الله الإخلاص سبيل الخلاص والإسلام مركب السلامة والإيمان خاتم الأمان فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة التي لا نعمة أكبر منها ولا أعظم منها ولا أنفع إذا عرف مما تقدم ما افتراه ابن منصور على شيخنا وأنه صدر عن غير علم

ولا معرفة بحاله في نشأته وطلبه فينبغي أن نزيد ماتقدم من الإنتصار لامام الدعوة الإسلامية النبوية رحمة الله عليه فنقول ما أدراه عن حال شيخنا رحمه الله تعالى وقد تقدم ما يدل على أنه لادراية له ولا عناية بحاله يعرف ذلك مما قدمناه ومن المعلوم أنه لايعتني بمعرفة حال مثله إلا من حبه واحبّ ما قام به ودعا إليه واما من انحرف عنه وعن دعوته في مبدأ نشأته وتوجه برحلته إلى من أشتدت عداوته له في دينه كابن سند وابن سلوم وابن جديد فهؤلاء الثلاثة المذكورون قد اشربوا عداوة التوحيد ومن دعا إليه فصار أهل التوحيد هم أعداؤهم بما اشربوه من كراهته وكراهة من دان به فأخذ عنهم ما وضعه في كتبه من الزور والكذب والفجور وانتصر فيها لعباد القبور وزعم أنهم مسلمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون والعدو لا يرى محاسن عدوه خصوصاً إذا عاداه في الدين وصاروا أعداءً لكل موحد ونصرة لكل مشرك ملحد فاخذ عنهم هذه البضاعة وامتنع على إمام المسلمين بما أودعه كتبه من الشناعة ولا ريب أن شره إنما يعود إليه ويرجع وبال ذلك كله عليه والمقصود أن يعلم أن هؤلاء الثلاثة هم أشياخه الذين تخرج عليهم بالانحراف عن الدين وتضليل الموحدين ولولا أنه شحن كتبه بذلك لما ذكرناه فهذا هو المحصول الذي حصله والأساس الذي أسسه وأصله فقدم نجدا بعد طول المقام عند أولئك الملحدين المنحرفين عن الدين فصار حظه جمع الكتب من غير رواية لها ولا دراية ولم يُرَ للعلم عليه أثر مَع أن هؤلاء مَعَ مافيهم من العداوة صاروا أعقل منه فلم يكتبوا شيئاً من هذه الأكاذيب والزندقة والتخليطات الفاسدة وهذا لقلة عقله وفساد قصده جرى منه ماجرى وبالجملة فقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فالحاسد يحمله بغض المحسود على معاداته والسعي في اذاه بكل ممكن مع علمه

بفضله وعلمه وأنه لاشيئ فيه يوجب عداوته إلا محاسنه وفضائله وهذا قيل للحاسد عدو النعم والمكارم فالحاسد لم يحمله على معادات المحسود جهله بفضله أو كماله وإنما حمله على ذلك فساد قصده وارادته كما هي حال اعداء الرسل مع الرسل انتهى وقال العماد بن كثير في تفسيره قال تعالى ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة والايات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بكلماته وبيناته التي انزلها على نبيه محمد ﷺ لهداية عباده أن يجعل ماكتبناه في هذا وغيره نصرة لهذا الدين الذي أكرم به عباده المؤمنين وأن لايجعله انتصارا لأنفسنا ولا لسلفنا إنه ولي ذلك والقادر عليه ونسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة . وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

وقد أخبرنا شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان في ابتداء طلبه للعلم وتحصيله في فن الفقه وغيره لم يتبين له الضلال الذي كان الناس عليه من عبادة غير الله من جن أو غائب أو طاغوت أو شجر أو حجر أو غير ذلك ، ثم ان الله جعل له نهمة في مطالعة كتب التفسير والحديث وتبين له من معاني الآيات المحكمات والأحاديث الصّحيحة ان هذا الذي وقع فيه الناس من هذا الشرك أنه الشرك الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بالنهي عنه وانه الشرك الذي لا يغفره الله لمن لم يتب منه فبحث في هذا الأمر مَعَ أهله وغيرهم من طلبة العلم فاستنار قلبُه بتوحيد الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه فاعلن بالدعوة إليه وبذل نفسه لذلك على كثرة المخالفين وصبر على مانالَه من الأذى العظيم في ابتداء دعوته فلما اشتهر أمره اجلبوا عليه بالعداوة

خصوصاً العلماء والرؤساء وحرصوا على قتله فاتاح الله له من ينصره على قلة منهم وحاجة وتصدى لحربهم القريب والبعيد واستجلبوا على حربهم الدول ونذكر بعض ماجرى عليهم ممن عاداهم وتأييد الله لهم ونصره على قلة منهم وضعف وقوة من عدوهم وكثرة لما فيه من العبرة والشهادة لهم أنهم على الحق وعدوهم على الباطل فأخذت من حفظ بعض الوقائع التي جرت عليهم من عدوهم في الدين وفيها شبه بما جرى لنبينا ﷺ من عدوه ونصر الله له فأقول .

المقام الأول :

أن شيخنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما الهمه الله رشده وفتح بصيرته في تمييز الحق من الضلال وأنكر ماعليه الناسُ من الشرك فبادروه بالعداوة والانكار لمخالفتهم ماقد اعتادوه ونشؤا عليه هُم وأسلافهم من الشرك والبدع وأعظم من عاداه ونفَّر الناس عن دعوته العلماء والرؤساء كما قال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن وفيه مشابهة لنبينا ﷺ فيما ناله من الرؤساء والاحبار في الابتداء فإن شيخنا رحمه الله تعالى أظهر هذه الدعوة في بلد العيينة وهي في اعلا وادي حنيفة فاستحسن دعوته من استحسنها وقبلها من قبلها وانكرها من انكرها ثم ان اهل الاحساء لما استصرخوا شيخهم سليمان المحمد شيخ بني خالد أرسل إلى ابن معمر شيخ العيينة بأن يقتله فهاجر إلى الدرعية بلد محمد بن سعود فتلقاه هو واولاده بالقبول وتابعهم على ذلك أكثر أهل بلده وقبيلته على قلة منهم وضعف كما قدمناه ، فصبروا على مخالفة الناس والملوك ممن حولهم والبعيد عنهم وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ولهذا تحمل هذا

الرجل واتباعه عداوة كل من عادى هذا الدين قال تعالى يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد قال هرقل لابي سفيان وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فذكرت أن لا فكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب فاشبه أمر هذا الشيخ رحمه الله تعالى ماجرى لخاتم النبيين حتى في مهاجره وأنصاره وكثرة من عاداه وناواه في الابتداء كما هو حال الحق في المبادي يرده الكثير وينكرونه ويقبله القليل وينصرونه فأول من عاداهم أقرب الناس إليهم بلدا وأقواه كثرة ومالا بلاد دهام بن دواس وهو أول من شن الغارة عليهم على غفلة وغرة وعدم الاحتساب منهم فخرجوا إليه على عجل فقتل منهم رجالا منهم فيصل ابن محمد بن سعود وسعود بن محمد بن سعود فسبحان من قوى جأش هذا الرجل على نصرة هذا الدين حين قتل إبناه ثم سطى عليهم مرة ثانية فقتل كثير ممن سطى بهم فأخذ المسلمون الثأر منهم ثم بعد ذلك استمر الحرب بينهم وبينه أكثر من ثلاثين سنة وفي تلك الثلاثين سنة أو أكثر أعانه على حربهم أهل نجران وبن حميد شيخ بني خالد مرارا فيأتونهم بأنواع الكيد والكثرة فينصرهم الله عليهم وفي ذلك أعظم عبرة وبعد هذه المدة وقع بينه وبين المسلمين وقعة بين البلدين فقتل فيها أبناه دواس وسعدون فانتهى امره فخرج من بلده هارباً في يوم صيف شديد الحر وتبعه من تبعه فصارت بلده فيئا للمسلمين ولم يبق لآل دواس بعد ذلك عين تطرف فاعتبروا ياأولي الأبصار .

المقام الثاني :

مافي دعوة هذا الشيخ ابتداء من المشابهة لما جرى للنبي ﷺ في أول دعوته قريشاً والعرب إلى التوحيد والإيمان بالقرآن وقد قال ﷺ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا وفي حديث عمرو بن عبسة الذي رواه

مسلم وغيره أنه قدم مكة فاجتمع بالنبي ﷺ في أول بعثته فأخبره أن الله بعثه بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيء وغير ذلك مما هو مذكور في الحديث من نفي عبادة الأوثان والأمر بمكارم الأخلاق فقال له عمرو من معك على هذا قال حر وعبد ومعه يومئذ أبو بكر وبلال فما زال الحق يزيد بزيادة من قبله ودخل فيه حتى أكمل الله لهذه الأمة الدين وأتم عليهم النعمة وقد قال هرقل لأبي سفيان لما سأله عن اتباع النبي ﷺ ايزيدون أم ينقصون قال بل يزيدون قال هرقل وكذلك اتباع الرسول وبهذه المشابهة يتحقق المنصف ان هذا الدين الذي دعا إليه هو الحق وأنه هو الذي دعا إليه رسول الله ﷺ كما دلت عليه الآيات المحكمات التي لايخفى معناها الا على من عميت بصيرته وفسدت سريرته فتامل حماية الله ونصره لمن قبل هذه الدعوة ونصرها على ضعف منهم في الحال وقله من العُدد والرجال مع كثرة من خَالفهم من قريب وبَعيد وكثير وقليل مَعَ الكيد الشديد فأبطل الله كيدهم وصارت الغلبة للحق وأهله ومحق الله الباطل وأهله .

المقام الثالث :

وفيه حجة أيضا ومعتبر ودليل على صحة هذا الدين ومذكر لمن عقل وافتكر وذلك ان الذين انكروا هذه الدعوة من الدول الكبار والشيوخ واتباعهم من أهل القرى والأمصار أجلبوا على عداوة هذا العدد القليل في حال تخلف الأسباب عنهم وفقرهم فرموهم عن قوس العداوة من أهل نجد دهام بن دواس المتقدم وابن زامل وآل بجاد أهل الخرج ومحمد بن راشد راعي الحوطة وتركي الهزاني وزيد ومن والاهم من الأعراب والبوادي كذلك العنقري في الوشم ومن تبعه وشيوخ قرى سدير والقصيم وبوادي نجد وابن حميد ملك الإحساء ومن تبعه من حاضر وباد وكلهم تجمعوا لحرب

المسلمين مرارا عديدة مَعَ عريعر وأولاده منها نزولهم على الدرعية وهي شعاب لا يمكن تحصينها بالأبواب والبناء وقد أشار إلى ذلك العلامة حسين بن غنام رحمه الله حيث يقول .

وجاؤا بأسباب من الكيد مزعج ، مدافعهم يزجي الوحوش رنينها ، فنزلوا البلاد وأجتمع من أجتمع من أهل نجد حتى من يدعي أنه من العلماء ولما قيل لرجل منهم وهو من أمثل علمائهم وعقلائهم كيف أشكل عليكم أمر عُريعر وفساده وظلمه وأنتم تعينونه وتقاتلون معه فقال لو أن الذي حاربكم ابليس كنا مَعَه والمقصود أن الله تعالى رد لهم بغيضهم لم ينالوا خيرا وحمى الله تلك القرية فلم يشربوا من آبارها وأما وزير العراق فمشى مرارا عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد الشديد وأجرى الله تعالى عليهم من الذل مالا يخطر ببال قبل أن يقع بهم ماوقع من ذلك ان ثويني في مرة من المرار مشى بجنوده إلى الاحساء بعدما دخل أهلها في الاسلام في حال حداثتهم بالشرك والاضلال فلما قرب من تلك البلاد أتاه رجل مسكين لا يعرف من غير ممالات أحد من المسلمين فقتله فمات فنصر الله هذا الدين برجل لا يعرف وذلك مما به يعتبر فانفلت تلك الجنود وتركوا مامعهم من المواشي والأموال خوفا من المسلمين ورعبا فغنمها من حضر وقد قال الشيخ حسين ابن غنام في ذلك .

تقاسمتم الاحساء قبل مناهاه فللروم شطر والبوادي لها شطر

ثم جَدّدوا أسباباً لحرب المسلمين وساروا بدول عظيمة يتبع بعضها بعضها وكيد عظيم فنزلوا الاحساء وقائدهم علي كيخيا فتحصن من ثبت على دينه في الكوت وثغر صاهود فنزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقنابل وصفر اللغوب فأعجزه الله ومن معه ممن إرتد عن الإسلام فولى مدبراً

بجنوده فاجتمع سعود بن عبد العزيز في تاج وغزوه الذين معه رحمه الله والذين معه من المسلمين أقل من المتفق أو الظفير الذين مع الكيخيا فالقى الله الرعب في قلوبهم على كثرتهم وقوتهم فصارت عبرة عظيمة فطلبوا الصلح على أن يدعهم سعود يرجعوا إلى بلادهم فأعطاهم أمانا على الرجوع فذهبوا في ذل عظيم فلما قدم كل منهم مكانه مات سليمان باشا وذلك من نصر الله لهذا الدين فأهلك الله من أنشأ هذه الدول ثم قام علي كيخيا فصار هو الباشا فأخذ يجدد آلة الحرب فجمع من الكيد والأسباب أعظم مما كان معه في تلك الكرة فلما كملت اسبابه وجمع الجموع فلم يبق الا خروجه لحرب المسلمين لينتقم من أهل هذا الدين سلط الله عليه صبيين مملوكين عنده يبيتون فقتلوه آخر الليل فخمدت تلك النيران وتفرقت تلك الأعوان فما قام لهم قائمة حتى الآن فيالها عبرا ماأظهرها لمن له أدنى بصيرة فاعتبروا ياأولي الأبصار فأين ذهب عقل من أنكر هذا الدين وجادل وكابر في دفع الأدلة على التوحيد وماحل .

المقام الرابع :

ملجرى من العبر في حرب اشراف مكة لهذه الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية رجوعه إلى اشراف مكة وذلك انهم من أول من بدأ المسلمين بالعداوة فحبسوا حاجهم فمات في الحبس منهم عدد كثير ومنعوا المسلمين من الحج أكثر من ستين سنة وفي اثناء هذه المدة سار اليهم غالب الشريف بعسكر كثيف وكيد عنيف فقدم اخاه عبد العزيز قبله في الخروج فنزل على قصر بسام فأقام مدة يضرب بالمدافع والقنابل وجر عليه الزحافات فأبطل الله كيده على هذا القصر الضعيف بناؤه القليل رجاله فشد منه ووافى غالبا ومعه أكثر الجنود ومعه من الكيد مثل ماكان مع أخيه أو

يزيد فنزلوا جميعاً الشعرا فجد في حربهم بكل كيد فأعجزه الله تعالى عن ذلك البناء الضعيف الذي لم يتأهب أهله لحرب بالبنا ولا بالسلاح فابطل الله كيده ورده عنهم بعد الأياس والافلاس فسلط الله المسلمين على من كان معه من الاعراب خصوصاً مطير فأوقع الله بهم في العداوة ومعهم مطلق الجربا فهزمهم الله تعالى وغنم المسلمون جميع ماكان معهم من الابل والخيل وسائر المواشي فصار ماذكرناه من نصر الله وتأييده لأهل هذا الدين عبرة عظيمة وفي جملة قتلاهم حصان ابليس وبعد ماذكرناه جد غالب في الحرب واجتهد لكن صار حربه للأعراب ولم يتق النير فيغدوا على من إستضعفه ويغير فأعطى الله أعراب المسلمين الظفر عليه في عدة وقعات من أعظمها وقعة الخرمه على يد ربيع وغَزْوه من أهل الوادي وبعض قحطان فهزمه الله تعالى واشتد القتل في عسكره فأخذوا جميع ماكان معه من المواشي وغيرها فصار بعد ذلك في ذل وهوان ففتح الله الطائف للمسلمين وصار اميره عثمان ابن عبد الرحمن فاجتمع فيه دوله للمسلمين وساروا لحرب الشريف ومعهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير وسالم ابن شكبان امير أهل بيشة فنزلوا دون الحرم فخرج إليهم عسكر من مكة فقتلوه فطلب الشريف المذكور منهم الأمان فلم يقبلوا منه إلا الدخول في الإسلام والبيعة للامام سعود فأعطاهم البيعة على يد رجال بعثوهم إليه هذا بعد وقعات تركنا ذكرها كراهة الإطالة لأن القصد بهذا الوضع الاعتبار بما جرى لأهل هذه الدعوة من النصر والتأييد والظهور على قلة أسبابهم وكثرة عدوهم وقوته وذلك من آيات الله وبيناته على أن ماقام به الشيخ في حال فساد الزمان أنه الدين الذي بعث الله به المرسلين وتبين أن هذه الطائفة في هذه الأزمنة هي الطائفة المذكورة في قوله ﷺ ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة

لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وقد كانت هذه الطائفة قبل ظهور الشيخ فيما تقدم موجودة في الشام والعراق ومصر وغيرها بوجود أهل السنة وأهل الحديث في القرون المفضلة وبعدها فلما اشتدت غربة الإسلام وقل أهل السنة واشتد النكير عليهم وسعى أهل البدع في ايصال المكر اليهم من الله بهذه الدعوة فقامت بها الحجة واستبانت الحجة فياسعادة من قبلها وأحبها ونصرها وذلك في فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وأهل العلم من اتباع السلف والأئمة لهم المصنفات المفيدة في بيان التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات والكثير منها موجود بأيدي علماء المسلمين وماعلمنا أحداً بعد القرن الثامن في حال اشتداد غربة الإسلام يذكر بمعرفة ماعليه أهل السنة في أنواع التوحيد أو يلتفت إلى كتبهم ولا عرفوا الشرك الذي لا يغفره الله فلذلك لم ينكره فيهم منكر ولا أخبر بوقوعه من علمائهم مخبر حتى أظهر الله هذا النور وشفى الله به الصدور وظهرت كتب أهل السنة وعظمت بمعرفتها والدعوة إليها المنه يعرف ذلك من عرفه وشكره وأحبه وقبله فلا عبرة بمن أخلد إلى أرض الغفلة والاعراض وجهله .

المقام الخامس :

إن كان من ذكرنا ممن عاداهم من أهل نجد والاحساء وغيرهم من البوادي أهلكهم الله ولحقتهم العقوبة حتى في الذراري والأموال فصارت أموالهم فيئا لأهل الاسلام كما يروى عن زيد بن عمرو بن نفيل .

عجبت وفي الليالي معجبات وفي الايام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا كثيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين بدار **قوم فيربو منهم الطفل الصغير**

وانتشر ملكهم وصار كل من بقي في أماكنهم سامعاً مطيعاً لامام المسلمين القائم بهذا الدين فانتشر ملك أهل الإسلام حتى وصل إلى حدود الشام مع الحجاز وتهامة وعمان وصاروا بحمد الله في أمن وأمان يخافهم كل مبطل وشيطان ففي هذا معتبر لأهل الاعتبار مع ماوقع بمن حاربهم من الخراب والدمار واستيلاء المسلمين على ماكان لهم من العقار والديار فلا يرتاب في هذا الدين بعد هذا البيان الا من عميت بصيرته وفسدت علانيته وسريرته .

المقام السادس :

انَّ كلَّ من أَظهر النفاق واظهر الشقاق صار مكروها مبغضاً ممقوتاً وكل ماابداه المشبهون والمموهون من زخرفهم وكذبهم وباطلهم وعنادهم وفسادهم في اقوالهم وأحوالهم انعكس عليهم المراد وحرموا التوفيق والسداد صاروا مثله حتى استوحش منهم أكثر العباد ومقتهم كل حاضر وباد فما صار لهم باطل يظهر ولا شبهة تذكر اللهم الا ماكانوا يستخفون به عن الناس حين ظهرت انوار التوحيد واستعلت وزال بها الالتباس مخافة المقت والشناعة حين فسدت لهم تلك البضاعة وهذه العبر يعتبر بها الا ريب اذ هو من الحق وقبول العلم قريب .

المقام السابع :

أن كثيرا ممن عاداهم ابتداءً تبين له صحة مادعا إليه هذا الشيخ وأنه الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وأنه علّم من إتبعه ماأوجب الله عليهم وحرمه وعلمهم مكارم الاخلاق ونهاهم عن سفسافها فمن ذلك ماحدثنا به عثمان بن عبد الرحمن المضايفي لما أتانا راغبا في هذا الدين ان جاسر الحسيني الذي جلا من حرمه لعداوته هذا الدين سكن بغداد ثم

صار في سنين ظهور الإسلام في نجد وما والاه حضر عند الشريف غالب مجاورا فسمع الشريف المذكور يسب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب فقال له ياشريف لك علي من المعروف مايوجب ان انصح لك لاتقل هذا في الشيخ محمد بن عبد الوهاب فانه قام بنجد وهم في أسوأ حال من الفساد والظلم فجمعهم الله تعالى بعد التفرق والاختلاف وعلمهم مكارم الأخلاق حتى ماينبغي ان يقولوه في مخاطباتهم وما لاينبغي أن يقولوه من الألفاظ المستكرهة فاحذر أن تذكره بسوء وهذا الذي ذكره جاسر للشريف اعترف به كثير حتى من أهل مصر والشام والعراق اعترفوا بصحة هذه الدعوة الإسلامية والسنة المحمدية واكثروا الدعاء له وهذا من العبر والدلالة على صحة ماجدده شيخ الاسلام من الدين بعدما اشتدت غربته في كل زمان ومكان وصار من يطلب العلم ويعلمه لايعرف حقيقة التوحيد ولا ماينافيه من الشرك والتنديد مع قرأتهم للقرآن والأحاديث لكن جهلوا ماهو المراد من الحق الذي يأمرهم به رب العالمين فظهر الحق بعد الخفا وتبين مادلت عليهم الآيات المحكمات والبراهين البينات وتبين الحق بعد أن كان مجهولا وعرف الباطل فصار بهذه الدعوة مخذولا فهذا مقام لايخفى الا على من جحد الحق وكابر وعاند ممن عميت بصيرته نعوذ بالله من رين الذنوب وموت القلوب .

المقام الثامن :

أن الله تعالى ألبس هذه الطائفة أفخر لباس واشتهر في الخاصة والعامة من الناس فلا يسمّيهم أحد إلا بالمسلمين وهو الاسم الذي سمى الله به عباده المؤمنين من اصحاب سيِّد المرسلين فقال هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا . فهذا الإسم الحقه الله أصحاب رسوله والحقه هذه الطائفة

كما الحقه هذه إخوانهم من السابقين الأولين فيالها عبرة ماقطعها لحجة من شك وارتاب وما انفعها في الاعتبار لمن أراد الحق وطلبه واليه اناب فهذا تمام الثمانية فاقرأها وتدبرها سراً وعلانية وقد اقتصرت فيها غاية الاقتصار وأشرت إلى بعض الوقائع بايجاز واختصار نسأل الله أن يجعلها نافعة ولمن ابداها وكتبها وانتفع بها شافعة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين وامام المتقين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيراً سنة ١٢٨٣هـ .

وهذا هو المقام التاسع :

وأما الدول التركية المصرية فابتلى الله بهم المسلمين لما ردوا حجاج الشام عن الحج بسبب أمور كانوا يفعلونها في المشاعر فطلبوا منهم أن يتركوها وأن يقيموا الصلاة جماعة فما حصل منهم ذلك فردهم سعود رحمه الله تعالى ، فغضبت الدولة التركية وجرى عندهم أمور يطول عدها ولا فائدة في ذكرها فأمروا محمد علي صاحب مصر أن يسير اليهم بعسكره وبكل مايقدر عليه من القوة والكيد فبلغ سعودا ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير لقتالهم وأمره ان ينزل دون المدينة فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن المضايفي وأهل بيشة وقحطان وجميع العربان فنزلوا الجديدة فاختار عبد الله ابن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم وذلك ان العسكر المصري في ينبع فاجتمع المسلمون في بلد حرب وحفروا في مضيق الوادي خندقاً وعبوا الجموع فصار في الخندق من المسلمين أهل نجد وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبل فوق الخندق فحين نزل العسكر أرزت العساكر خيولهم وعلموا انه لاطريق لها إلى المسلمين فأخذوا يضربون بالقبوس فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين إن

رفعوها مرت ولا ضرت وان خفضوها اندفنت في التراب فهذه عبرة وذلك أن أعظم مامعهم من الكيد أبطله الله في الحال ثم مشوا على عثمان ومن معه في الجبل فتركهم حتى قربوا منه بما احتسبوهم به ومأأعدو لهم حين أقبلوا عليهم فما أخطأ لهم بندق فقتلوا العسكر قتلا ذريعا وهذه أيضاً من العبر لأن العسكر الذي جاءهم أكثر منهم بأضعاف ومَعَ كل واحد من الفرود والمزندات فما اصابوا رجلاً من المسلمين وصار القتل فيهم وهذه أيضاً عبرة عظيمة هذا كله وأنا أشاهده ثم مالوا إلى الجانب الأيمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال وأما الخيل فليس لها فيه مجال فانهزم كل من كان علي الجبل من أهل بيشة وقحطان وسائر العربان الا ماكان من حرب فلم يحضروا فاشتد على المسلمين لما صاروا في أعلى الجبل فصاروا يرمون المسلمين من فوقهم فحمي الوطيس آخر ذلك اليوم ثم من الغد فاستنصر أهل الإسلام ربهم الناصر لمن ينصره فلما قرب الزوال من اليوم الثاني نظرت فاذا برجلين قداتيا فصعدا طرف ذلك الجبل فما سمعنا منهم بندقاً ثارت الإ أن الله كسر ذلك البيرق ونحن ننظر فتتابعت الهزيمة على جميع العسكر فولوا مدبرين وجنبوا الخيل والمطرح وقصدوا لطريقهم الذي جاؤا معه فتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون هذا ونحن ننظر إلى تلك الخيول قد حارت وخارت وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب الخندق ومعهم بعض الرجال فولت تلك الخيول مدبرة فتبعتهم خيول المسلمين في أثرهم وليس معهم زاد ولا مزاد فانظر إلى هذا النصر العظيم من الإله الحق رب العباد لأن الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين فهذه ثلاث عبر لكن أين من يعتبر فاخذوا بعد ذلك مئة من السنين ثم بعد ذلك سارطلسون كبير ذلك العسكر الذي هزمه الله فقصد المدينة فوراً وأمر سعود على عبد الله ومن معه

من المسلمين أن ينهضوا لقتالهم فوجدوهم قد هجموا على المدينة ودخلوها وأخرجوا من كان بها من أهل نجد وعسير فحج المسلمون تلك السنة فأقبل ذلك العسكر فنزلوا رابغ ونزل المسلمون وادي فاطمة فخان لهم شريف مكة وضمهم إليه وجاؤا مع الخبت على غفلة من المسلمين فعلم المسلمون انه لامقام لهم مع ماجرى من الخيانة فرجعوا إلى أوطانهم فخاف عثمان وهو بالطائف أن يكون الحرب منهم ومن الشريف عليه لما يعلم من شدة عداوتهم فخرج بأهله وترك لهم الطائف أيضا مخافة أن يجتمعوا على حربه وليس معه إلا القليل من عشيرته ولا يأمن أهل الطائف أيضاً فنزل المسلمون بتربة بعد ذلك نحوا من شهر ثم رجعوا حين أكلوا مامعهم من الزاد فجرى بعد ذلك وقعات بينهم وبين المسلمين لا فائدة في الاطالة بذكرها والمقصود ان استيلاءهم على المدينة ومكة والطائف كان بأسباب قدرها الملك الغلاب ، فيريك عزته ويبدي لطفه ، والعبد في الغفلات عن ذا الشأن ، وفيها من العبر ان الله ابطل كيد العدو وحمى الحوزة وعافى المسلمين من شرهم وصار المسلمون يغزونهم فيما قرب من المدينة ومكة في نحو ثلاث سنين أو أربع فتوفى الله سعودا رحمه الله تعالى وهم غزاة على من كان معينا لهذا العسكر من البوادي فأخذوا وغنموا فبقي لهم من الولاية ماكانوا عليه أولا الا ماكان من مكة والطائف وبعض الحجاز وبعد وفاة سعود تجهزوا للجهاد على اختلاف كان من أولئك الأولاد فصاروا جانبين جانبا مع عبد الله وجانبا مع فيصل اخيه فنزل الحناكية عبد الله ونزل فيصل تربة باختيار وامر من أخيه له فوافق ان محمد على حج تلك السنة فواجه فيصل هناك فطلب منه ان يصالحه على الحرمين فأبى فيصل واغلظ له الجواب وفيما قال

لا أصلح الله منا من يصالحكم ، حتى يصالح ذيب المعز راعيها ،
فأخذت محمد علي العزة والأنفه فسار إلى بسْلٍ الظاهر أنه كان حريصاً
على الصلح فاستعجل فيصل بمن معه فساروا إليه في بسل وقد استعد
لحربهم خوفا مما جرى منهم فأقبلوا وهم في منازلهم فسارت عليهم
العساكر والخيول فولو مدبرين لكن الله أعز المسلمين فحبس عنهم تلك
الدول والخيول حتى وقفوا على التلول فسلم اكثر المسلمين من شرهم
واستشهد منهم القليل ولابد في القتال من أن ينال المسلم وينال منه قال
تعالى وتلك الأيام نداولها بين الناس الآيات وقال تعالى وكأين من نبي قاتل
معه ربيون كثير فماوهنوا لما أصابهم إلى قوله والله يحب الصابرين الآيات
وقد قال هرقل لأبي سفيان فما الحرب بينكم وبينه قال سجال ينال منا وننال
منه فهذه سنة الله في العباد زيادة للمؤمنين في الثواب وتغليظا على الكافرين
في العقاب وأما عبد الله فرجع بمن معه فلم يلق كيدا دون المدينة فتفكر
في حماية الله لهذه الطائفة مع كثرة من عاداهم وناواهم ومع كثرة من أعان
عليهم ممن ارتاب في هذا الدين وكرهه وقبل الباطل وأحبه فما أكثر هؤلاء
لكن ا لله قهرهم بالاسلام ففي هذا المقام عبرة وهو أن الله أعزهم وحفظهم
من شر من عاداهم فلله الحمد والمنة وبعد ذلك رجع محمد بن علي إلى
مصر وبعث الشريف غالب إلى اسطنبول وأمر ابنه طلسون أن ينزل الحناكية
دون المدينة وأمر العطاس بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له
من مكة وأراد الله أن أهل الرس يخافون لأنهم صاروا في طرف العسكر
وصار عندهم ربيع من المغاربة وصار في أولاد سعود نوع من العجلة في
الأمور فأمروا على الرعايا بالمسير الى الرس فنزلوا الرويضة فتحصن أهل الرس
بمن عندهم فأوجبت تلك العجلة ان استفزعوا اهل الحناكية فلما جاء

الخبر باقبالهم ارتحلوا يلتمسون من أعانهم من حرب مابينهم وبين المدينة فصادفوا خزانة العسكر فقتلوهم وأخذوا مامعهم فهذا مما يسره الله لهم من النصر من غير قصد ولا دراية فرجع المسلمون إلى عنيزة والعسكر نزلوا الشبيبية قريبا منهم ويسر الله للمسلمين سبباً آخر وذلك من توفيق الله ونصره وجاهدوا جيشاً وخيلا فأغاروا على جانب العسكر فخرجوا عليهم فهزمهم الله وقتل المسلمون فيهم قتلا كثيرا فألقى الله الرعب في قلوبهم على كثرة من أعانهم وقوة أسبابهم وذلك من نصر الله لهذا الدين فرجعوا الى الرس خوفا من هجوم المسلمين عليهم فتبعهم المسلمون ونزلوا الحجناوي فقدم العطاس على الأمر الذي عمده عليه محمد علي فوجد الحال قد تغير فقصدهم إبتداء فمنعوه مما جاء له ثم إنهم سعوا في الصلح والمسلمون على الجحناوي وكل يوم يجرى بين الخيل طراد فمل أكثر المسلمين عن الاقامة فلم يبق منهم الا شرذمة قليلة فجاء منهم اناس يطلبون الصلح فأصلحهم عبد الله رحمه الله تعالى وطلبوا منه أن يبعث معهم رجلا من أهل بيشة خوفا أن يعرض لهم أحد من المسلمين في طريقهم فمشى محمد بن حسين بن مشاري الى المدينة والمقصود ان الله سبحانه وتعالى أذلهم والقى الرعب في قلوبهم وحفظ المسلمين من شرهم بل غنمهم مما بأيديهم من حيث بذلهم المال في شراء الهجن فاشتروا من المسلمين الذلول بضعفي ثمنها وهذا كله مما يفيد صحة هذا الدين وأنه الذي يحبه الله ويرضاه وهو الذي يسر أسباب نصر من تمسك به وخذلان من ناوأهم وعاداهم في هذا الدين فتفكر يامن له قلب ولولا ماصار في أهل هذا الدين من مخالفة المشروع في بعض الأحوال لصار النصر اعظم مما جرى لكن الله تعالى عفى عن الكثير وحمى دينه عمن أراد اطفاءه فلله الحمد لانحصي ثناء عليه

هو كما اثنى على نفسه وفوق مايثني عليه خلقه فتدبر هذه الوقائع ومافيها من الألطاف العجيبة والدلالات الظاهرة على صدق هذه الدعوة إلى التوحيد واخلاص العبادة لله والتجريد وانكار الشرك والتنديد والاهتمام باقامة حقوق الإسلام على ماشرعه الله تعالى ورسوله والنهي عما حرمه الله ورسوله من الشرك والبدع والفساد الذي وقع في آخر هذه الأمة لكن خفي على أهل الشقاق والعناد فلو ساعد القدر وتم هذا الصلح لكان الحال غير الحال لكن ماأراده الله تعالى وقع على كل حال لكن جرى من عبد الله ابن سعود رحمه الله تعالى ماأوجب نقض ذلك الصلح وهو أنه بعث عبد الله به كثير لغامد وزهران بخطوط مضمونها أن يكونوا في طرفه وفي أمره فبعثوا بها إلى محمد علي فلم يرض بذلك وقال إنهم من جملة من وقع عليهم الصلح فهذا هو سبب النقض وأنشأ عسكراً مع ابراهيم باشا ونزل الحناكية ودار الرأي عند عبد الله بن سعود وأهل الرأي يقولون أضبط ديرتك واحتسب بالزهبة كذلك أهل البلدان واتركوه على هيبته فان مشى تبين لكم الرأي وربما ان الله يوفقكم لرأي يصير سبب كسره وجاء حباب وغصاب يريدون ان يخلوا بعبد الله في السفر وملازمته في مجلسه ومأكله ومشربه ونومه ويقظته فأدركاه على الخروج بالمسلمين والعربان فوصلوا الماوية وفيها عسيكر فضربوهم بالديز في المدفع ووقع هزيمة وقى الله شرها وغدى فيها قليل من المسلمين وبعدها جسر ابراهيم باشا على القدوم فنزل القصيم وحربهم قدر شهرين وأيدهم الله بالنصر لما كانوا مستقيمين صابرين وعزم على الرجوع عنهم لكن قوى عزمه فيصل الدويش وطمعه وخوفه وبعد هذا صالحوه أهل الرس وعبد الله بمن معه في عنيزة وأقفى لبلده وأشار عليهم مبارك الظاهري أنه يجيء بثلاثة آلاف من الابل عند بن جلهم ويجعل عليهم الأشدة ويشيل

عليها كل ماكان له ولا يخلي في الدرعية له طارفة ويصد مع عربان قحطان ونحوهم وكل من كان له مرؤة من بدوي أو حضري راح معه كذلك الذي يخاف فلو ساعد القدر لم يظفر به عدوه وتبرأ منهم من اعانهم من مطير وغيرهم ولله فيما جرى حكم قد ظهر بعضها لمن تدبر وتفكر وهذا الرأى أسلم له وللذي يريد القعود ويكون ظهره على السعة ويذكر له أنك ياعبد الله إذا صرت كذلك صارلك في العسكر مكائد منها قطع سابلة مابينه وبين المدينة وهذا رأي سديد ولكن لم يرد الله قبوله لأن الأقدار غالبة ولو قدر هذا لكان فنزل الدرعية وأخذ قدر ثمانية أشهر متحصنين عنه وهو يضربهم بالقنابر والقبوس فوقى الله شره وأراد الله بعد ذلك أنه يزحمهم مع اماكن خالية مافيها أحد لأن البلد مطاول وليس فيها سور ينفع والمقاتلة قليل وانتهى الأمر إلى الصلح فأعطاهم العهد والميثاق على مافي البلد من رجل أو مال حتى التمرة التي على النخل لكن لم يف لهم بما صالحهم عليه لكن الله تعالى وقى شره عن أناس معه عليهم حنانة بسبب أناس من أهل نجد يكثرون فيهم عنده فكف الله يده ويد العسكر وعذروا سليمان ابن عبد الله وآل سويلم وابن كثير عبد الله بسبب البغدادي الخبيث حداه عليهم فاختار الله لهم وبعد هذا شتت أهل البلد عنها وقطع النخيل وهدم المساكن إلا القليل وانتقل للحور بعسكره وروح من روح لمصر بعد روحة عبد الله بن سعود رحمه الله تعالى تبعه عياله واخوانه وكبار آل الشيخ وبعد ذلك حج فسلط الله على عسكره الفناء ولا وصل مصر إلا بالقليل فلما وصل مصر حل بهم عقوبات أهل الإسلام فمشى على السودان ولا أظفره الله فرجع مريضاً ثم ان محمد علي بعث ابنه اسماعيل وتمكن منهم بصلح فلما رأوا منه الخيانة بأخذ عبيد وجواري أحرقوه بالنار في بيته ومن معه من العسكر

ثم بعده روح لهم دفتر دار ولا ذبل منهم شيئا وأما عساكر الحجاز التي وصلت مصر قبل ابراهيم باشا حسن بَيْه الذي صار في مكة وعابدين بيه الذي صار في اليمن فسيرهم محمد علي قبل هذا الحرب موره وجريد لما خرجوا على السلطان فاستمده السلطان على حربهم فأمده بهذين العسكرين فهلكوا عن آخرهم ولم يفلت منهم عين تطرف وذلك ان مورة وجريد في الأصل ولاية للسلطان فخرجوا عليه فهلك من عسكر السلطان والعساكر المصرية في حربهم مالا يُحصى وهذه عقوبة أجراها الله عليهم بسبب ماجرى منهم على أهل الإسلام حتى العرناووط في جبلهم عصوا على السلطان قبل حادثة مورة وجريد وبعد هذا اشتد الأمر على السلطان وبعث يستنصر محمد علي فبعث لهم عسكرا كبيرهم قار علي فهلكوا في البحر قبل ان يصلوا ثم ان السلطان بعث نجيب أفندي لمحمد علي يطلب منه أن يسير بنفسه فبعث إليه يعتذر بالمرض وأن ابراهيم باشا يقوم مقامه وقبل ذلك بعث حسين بيه الذي سبا أهل نجد وقتل منهم البعض في ثرمدا وفزع للسلطان قبل روحة ابراهيم باشا بعسكره الذي كان معه في نجد وتبعه ابراهيم باشا يمده ونزلوا موره لحرب أهلها فأذلهم الله لهم فقتلوا فيهم قتلا عظيما فأما عسكر حسين بيه فلا قدم مصر منه إلا صبي وأما ابراهيم باشا فاشترى نفسه منهم بالأموال فانظر إلى هذه العقوبات العاجلة التي أوقعها الله على الآمر والمأمور وأكثر الناس لا يدري بهذه الأمور وهذا الذي ذكرناه فيه عبرة عظيمة وشاهد لأهل هذا الدين أن الله لما سلط عليهم عدوهم ونال منهم مانال صار العاقبة السلامة والعافية لمن ثبت على دينه واستقام على دين الإسلام ثم ان الله تعالى أوقع بعدوهم ماذكرنا وأعظم لكن ذكرنا الواقع على سبيل الاختصار لقصد الاعتبار فاعتبروا ياأولى الأبصار ثم

ان الله أجرى على فئة أعانهم من أهل نجد ممن شك منهم في هذا الدين وأكثر الطعن على المسلمين أن الله تعالى أفناهم وهذه أيضاً من العبر لم يبقى أحد ممن ظهر شره وإنكاره وعداوته للمسلمين إلا عوجل بالهلاك والذهاب ولافائدة في الاطالة بعدهم ومن سألنا أخبرناه عنهم بأعيانهم وأما ظهور خالد واسماعيل فانهم لما جاء الخبر بأنهم وصلوا المدينة وخرجوا منها استشار فيصل رحمه الله تعالى في الغزو أو الاقامة فأشرت بأن يخرج بالمسلمين ويكون في البطينيات من الدجاني الى مادونه وينزل قريباً من العربان لأن أكثر رعيهم من الدهنا ويؤلف كبارهم بالزاد وينقل الحب من سدير والوشم وزاد الحسا والقطيف من تمر وعيش ويقرب منه كبار العربان بالزاد وكذلك من معه من المسلمين ويصير له رجاجيل في القصيم عند من ثبت وينتظر فلو ساعد القدر تم هذا الرأي لايقدر العسكر أن يتعدى القصيم للوشم والعارض وخافوا من قطع سابلتهم ولا لهم قدرة على حرب فيصل وهو في ذلك المكان فلو قدرنا أن يصير بعض عسكرهم يبون يقصدونه هلكوا في الدهنا والصمان إذا ماج عن وجوههم يوما أو يومين فلو قدر ان يفعل هذا الرأي لما ظفروا به ولا وصلوا إلى بلده لأسباب معروفة لكن لما أراد الله سبحانه خيانة أهل الرياض في الامام فيصل وهم معه في الصريف قدم الرياض وخلاها لهم خوفا منهم فمشوا على الفرع هم والذين معهم من البادية والحاضرة وصار هلاكهم هجموا على الحلوه على غفلة واخلا أهل الحلوه البلد لهم وأراد الله ان تركي الهزاني وبعض أهل الحوطة يفزعون وكسر الله العساكر العظيمة مابين قتيل وهلاك وكانوا يتتبعونهم موتى تحت الشجرة يأخذون السلاح والمال والذي فزع عليهم مايجي عشير معشارهم فصارت آية عظيمة ورجع فلهم إلى الرياض وساعدهم من ساعدهم والله حسيبهم وتجلوا معهم إلى ان جاءهم خرشد فزاع ونزل فيصل

الدلم وشير عليه انه مايقعد فيه ويتحصن بمن معه من المسلمين في بعض
الشعاب التي بين الحوطة ونعام ويجعل ثقلته وراه فإن حصل منهم ممشى
جاهدهم بأهل القرايا ولا أراد الله انه يفعل فلما تمكنوا من فيصل وأخذوه
أرسلوه إلى مصر صار عسكرهم في ذهاب وعذاب وفساد فأوقع الله الحرب
بين السلطان ومحمد علي ورد الله الكرة لأهل نجد فرجعوا كما كانوا أولا
على ماكانوا عليه قبل حرب هالدولة كما قال تعالى في بني اسرائيل ثم
رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن
أحسنتم احسنتم لأنفسكم وإن أساءتم فلها نسأل الله أن يمن بالاحسان
وينفي عنا أسباب التغيير إنه ولينا وهو على كل شيئ قدير ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم والمقصود بما ذكرنا الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن
تمسك به وأيدهم بالنصر على ضعفهم وقلتهم وأوقع بأسه بهذه الدول على
قوتهم وكثرتهم وأسباب كيدهم ثم ان الله تعالى أهلك تلك الدول بما أجرى
عليهم من حرب النصارى في بلاد الروم فكل دولة مشت على نجد
والحجاز لم يبق منهم اليوم عين تطرف وكانوا لا يحصي عددهم الا الله
فهلكوا في حرب النصارى فصارت العاقبة والظهور لمن جاهدهم في الله من
الموحدين فجمع الله لهم بعد تلك الحوادث العظيمة من النعم والعز والنصر
مالا يخطر بالبال ولا يدور في الخيال فلا يشك في هذا الدين بعد ماجرى
ممن ذكرناه إلا من أعمى الله بصيرته وجعل على قلوبهم أكنة عن فهم أدلة
الكتاب والسنة ولم يعتبروا بما جرى لهذا الدين من ابتدائه إلى يومنا هذا وكل
من ذكرنا من الدول والبادي والحاضر رام اطفاءه وكلما ارادوا اطفاءه
استضاءت انواره وعز انصاره فلله الحمد لا نحصي ثناءً عليه فهذا ماجرى
على الدول الذي زعم ابن منصور أن شيخنا جرها على أهل نجد وماجرى
بسبب تلك الدول من ظهور هذا الدين والعز والتمكين وذهاب من ناواهم

من هذه الدول وغيرها فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه وهو المرجو أن يوزعنا شكرما أنعم به علينا من هذا الدين الذي رضيه لعباده وخص به المؤمنين وصلى الله على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيرا ومن عجيب ماااتفق لأهل هذه الدعوة أن محمد بن سعود عفى الله عنه لما وفقه الله لقبول هذا الدين ابتداء بعد تخلف الأسباب وعدم الناصر شمر في نصرته ولم يبال بمن خالفه من قريب أو بعيد حتى أن بعض أناس ممن له قرابة له عذله عن هذا المقام الذي شمر اليه فلم يلتفت إلى عذل عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب بل جدَّ في نصرة هذا الدين فملكه تعالى في حياته كل من استولى عليه من القرى ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته يسوسون الناس بهذا الدين ويجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء فزادت دولتهم وعظمت صولتهم على الناس بهذا الدين الذي لاشك فيه ولا التباس فصار الامر في ذريته لاينازعهم فيه منازع ولا يدافعهم عنه مدافع واعطاهم الله القبول والمهابة وجمع عليهم من أهل نجد وغيرهم ممن لا يمكن اجتماعهم على امام واحد إلا بهذا الدين وظهرت لأثار الإسلام في كثير من الأقاليم النجدية وغيرها مما تقدم ذكره وأصلح الله بهم ماأفسدت تلك الدول التي حاربتهم ودافعتهم عن هذا الدين ليطفؤه فأبى الله ذلك وجعل لهم العز والظهور كما تقدمت الاشارة إلى ذلك فنسأل الله أن يديم ذلك وان يجعلهم أئمة هدى وأن يوفقهم لما وفق له خلفاءه الراشدين الذين لهم التقدم في نصرة هذا الدين وعلينا وعلى المسلمين أن ندعو لمن ولاه الله أمرنا من هذه الذرية أن يصرف عنا وعنهم كل محنة وبلية وأحيا الله بهم مادرس من الشريعة المحمدية وأصلح لهم القلوب وغفر لنا ولهم الذنوب وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تم بحمد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المحجة

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، الذي له ملك السموات والأرض، **﴿ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرا، واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشورا*﴾** وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي قال الله خطاباً له: **﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً*﴾**.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ومن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أما بعد فإني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن*، وقد سئل عن أبيات من البردة وما فيها من الغلو والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى ونحوهم*، ممن صرف خصائص الربوبية والإلهية لغير الله*، كما هو صريح الأبيات المذكورة في البردة*، ولا يخفى على من عرف دين الاسلام أنه الشرك الأكبر الذي لا يغفره لمن لم يتب عنه* وأن الجنة عليه حرام*، وذكره الشيخ في جوابه أن الأبيات المذكورة تضمنت الشرك وصرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله*، فاعترض عليه جاهل ضال فقال مبرئاً لصاحب الأبيات* من ذلك الشرك بقوله حماه الله من ذلك ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة*.

دع مـــا ادعت النصـارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

لقول النبي ﷺ*، لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم.

الجواب: ان هذه التبرئة إنما نشأت عن الجهـل وفساد التصـور*، فلو عرف الناظم وهـذا المعترض ومن سلك سبيلهـما حق الله على عباده*، وما اختص به من ربوبيته والوهيته*، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسـوله*، لما قالوا ما قالـوه هم وأمثالهم ممن جهـل التوحيـد*، كما قـال تعالى في حق من هـذا وصفه: **﴿وان كثيـراً ليضلون بأهـوائهم بغير علم ان ربّـك هو أعلم بالمعتدين﴾**.

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عمّ كثيراً من هذه الأمة فـظهر فيهـا ما أخبر به النبي ﷺ بقوله*، لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقـذة*، حتى لـو دخلوا حجـر ضب لـدخلتمـوه*، قـالـوا يـا رسـول الله اليهـود والنصارى، قال فمن* ونحـو هـذا من الأحاديث*، وقـوله ويكفيـه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة*، دع ما ادعته النصارى في نبيهم - البيت

الجواب: ان هذا يزيده شناعة ومقتاً لأن هذا تناقض بيّن*وبرهان عـلى أنـه لا يعلم مـا يقـول، فلقـد وقـع فيـها وقعت فيــه النصـارى من الغلو العظيم*الذي نهى الله عنه ورسوله* ولعن النبي ﷺ من فعله*، أو فعل مـا يوصل اليه*، بقوله*: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخـذوا قبور أنبيـائهم مساجد*، يحذر ما صنعوا*، وقال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله*.

وقوله لما قال له رجل ما شاء الله وشئت*، قـال اجعلتني لله نداً بـل ما شاء الله وحده*، وقال إنه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عزّ وجلّ* فلقد حذر أمّته وأنذرهم عن الشرك ووسائله*، وما دق منه وجل*، ودعا النـاس

إلى التوحيد*، ونهاهم عن الشرك*، وجاهدهم على ذلك*، حتى أزال الله به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة* وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك*، وقد بعث السرايا في هدم الأوثان وازالتها*، كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير، وكما في حديث أبي الهياج الأسدي الذي في الصحيح قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ* أن لا تدع قبراً مشرفاً الا سويته* ولا تمثالاً إلا طمسته*، وقد بعثه النبي ﷺ*، يوم الفتح لهدم منات*، وبعث خالد بن الوليد يومئذٍ لهدم العزى*، وقطع السمرات التي كانت تعبدها قريش وهذيل*، وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات فهدمها* وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله*، والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر واعتنوا بإزالته أعظم الاعتناء* بعد وفاة رسول الله ﷺ*، وقد أخبر النبي ﷺ، بما يقع في أمّته من الاختلاف*، كما في حديث العرباض بن سارية، قال: فإنه من يعش منكم* فسيرى اختلافاً كثيراً (الحديث).

فوقع ما أخبر به ﷺ* وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة* كما هو معلوم عند العلماء*، ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرج بنا عن المقصود من الاختصار*، فانظر إلى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها*، فلقد عمت هذه البليّة في كثير من البلاد*، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد* في أناس ينتسبون إلى العلم.

قال سليمان التميمي*، لو أخذت بزلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله* فإنا لله وإنا اليه راجعون*.

وقوله المطابق لقول النبي ﷺ* لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم.

أقول لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولا بد، لكنها في المنهي عنه لا في النهي*، فالذي نهى عنه النبي ﷺ من الاطراء، طابقته الأبيات من قوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به* سواك عند حلول الحادث العمم.

فقد تضمنت غاية الاطراء* والغلو الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم*، فإنه قصر خصائص الالهية والربوبية التي قصرها الله على نفسه* وقصرها على رسول الله ﷺ فصرفها لغير الله*، فإن الدعاء مخ العبادة واللياذ من أنواع العبادة*، وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله* والالتجاء والرغبة إلى غير الله* فإن غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب انما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان* وهذه هي أنواع العبادة، ذكرها الله تعالى في مواضع كثير من كتابه*، وشكرها لمن قصرها على الله*، ووعده على ذلك الاجابة والاثابة.

كقوله تعالى: **﴿هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾**، وقوله تعالى: **﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾**، وقوله تعالى: **﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَداً*قل انما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا* قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجدَ من دونه ملتحدا﴾** الآية*.

فهذا هو الدين الذي بعث الله نبيه محمداً ﷺ وأمره أن يقول لهم (انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا*﴾ فقصر الدعاء على ربه الذي هو توحيد الالهية*، وقال: **﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا﴾** إلى آخر الآيات، وهذا هو توحيد الربوبية* فوحد الله في الهيته وربوبيته* وبيّن للأمّة ذلك كما أمره الله تعالى، وقال تعالى: **﴿فإذا فرغت فانصب* وإلى ربك فارغب*﴾**،

أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى، وقال: ﴿**انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين***﴾.

ونهى عن الاستعاذة بغيره بقوله تعالى عن مؤمني الجن: ﴿**وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾، واحتج الامام أحمد رحمه الله وغيره على القائلين بخلق القرآن*، بحديث خولة بنت حكيم مرفوعاً*، من نزل منزلا، فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق الحديث على أن القرآن غير مخلوق* إذ لو كان مخلوقاً لما جاز أن يستعاذ بمخلوق*، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك*، وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير يظهر بالتدبر*.

وأما قول المعترض أن النصارى يقولون ان المسيح ابن الله* نعم قاله طائفه* وطائفة قالوا هو الله*، والطائفة الثالثة قالوا هو ثالث ثلاثة*، وبهذه الطرق الثلاثة عبدوا المسيح عليه السلام*، فأنكر الله عليهم تلك الأقوال في المسيح* وأنكر عليهم ما فعلوه من الشرك، كما قال تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون***﴾ فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأحبار والرهبان*.

أما المسيح فعبادتهم له بالتأله وصرف خصائص الالهية من دون الله، كما قال تعالى: ﴿**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلـهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق***﴾. فأخبر أن الالهية* وهي العبادة حق الله لا يشركه فيها أولوا العزم ولا غيرهم، يبيّن ذلك قوله: ﴿**ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم***﴾، وأما عبادتهم للأحبار والرهبان فإنهم أطاعوهم فيما حللوه

لهم من الحرام وتحريم ما حرموه عليهم من الحلال.

ولما قدم عدي ابن حاتم رضي الله عنه عند النبي ﷺ بعد فراره إلى الشام* وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ، نصرانياً*، فلما قدم على النبي ﷺ مسلماً* تلى عليه هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، قال: يا رسول الله لسنا نعبدهم*، فقال النبي ﷺ أليسوا يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه، قال بلى*، قال: فتلك عبادتهم*.

ففيه بيان من أشرك مع الله غيره في عبادته وأطاع غير الله في معصيته*، فقد اتخذه رباً ومعبوداً*، وهذا بيّن بحمد الله.

فلو تأمل هذا الجاهل المعترض قول الله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله*﴾، لعلم أن الله تعالى قد أنكر على النصارى قولهم وفعلهم*، وعلى كل من عبد مع غيره بأي نوع كان من أنواع العبادة* لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد* وألفوا الشرك وأحبوه وأحبوا أهله* فترى مآب هذا الداء العضال إلى ما ترى من التخليط والضلال* والاستغناء بالجهل ووساوس الشيطان*، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه* ولا شفاء لهذا الداء العظيم الا بالتجرد عن الهوى والعصبية والاقبال على تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد* الذي بعث الله به المرسلين، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾، ومثل قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾.

أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب إلى أن يخلصوا العبادة لله وحده* ولا

يشركوا فيها أحداً من خلقه* فإنهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح ابن مريم ويعبدون أحبارهم ورهبانهم*.

وتأمل قوله كلمة سواء بيننا وبينكم وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل إليه، كما قال تعالى ﴿**قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعوا واليه مآب**﴾ وقوله لا نشرك به شيئاً* يعم كل الشرك دق أو جل، كثر أو قل.

قال العماد بن كثير في تفسيره هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم*، وقوله: ﴿**سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً**﴾ ولا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئاً* بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له.

قلت وهذا هو معنى لا اله الا الله* ثم قال وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون***﴾، وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾، انتهى المقصود*.

وقال رحمه الله في تفسير قوله: ﴿**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله***﴾ الآية. قال محمد بن اسحاق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال أبو رافع القرضي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ* ودعاهم إلى الإسلام أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم*، فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس أو ذاك منا يا محمد اليه تدعونا، أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر

بعبـادة غير الله* ومـا بذلـك بعثني الله* ولا بذلـك أمرني، أو كـما قال ﷺ* فـأنزل الله عـزّ وجلّ في ذلـك **﴿ما كـان لبشر أن يؤتيه الله الكتـاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾**، الى قـوله: **﴿بعـد إذ أنتم مسلمون﴾**.

قوله: **﴿ثم يقـول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾**، أي مـا ينبغي لبشر آتـاه الله الكتـاب والحكم والنبـوة أن يقـول للنـاس أعبـدوني من دون الله*، أي مع الله وإذا كان هذا لا يصـح لنبيٍّ ولا لمرسل*، فـلأن لا يصح لأحد من الناس بطريق الأولى والأخرى.

ولهـذا قـال الحسن البصري لا ينبغي هــذا للمؤمن أن يـأمــر النـاس بعبـادته* وذلـك أن القوم كـان يعبد بعضهم بعضـا، يعني أهـل الكتـاب، وقـوله: **﴿ولا يـأمركم﴾** أي بعبـادة أحدٍ غـير الله* لا ملك مقـرب ولا نبي مرسل* **﴿أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً* أيأمـركم بالكفـر بعد إذ أنتم مسلمون*﴾** أي لا يفعل ذلـك لأن من دعا إلى عبـادة غير الله فقـد دعا إلى الكفر* والأنبياء إنما يأمرونكم بالايمـان وعبادة الله وحـده لا شريك لـه، كما قال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليـه أنه لا الـه الا أنا فاعبدون﴾**، وقال تعـالى: **﴿واسأل من أرسلنـا من قبلك من رسلنا أجعلنـا من دون الرحمن آلهة يعبـدون*﴾** وقال تعـالى في حق الملائكـة: **﴿ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾** انتهى*.

وهو في غاية الوضـوح وبيان التـوحيد وخصـائص الربـوبية والالهيـة*، ونظائر هذه الآيات كثيرة في القرآن* وفي السنّة من الأحاديث كـذلك* فـإذا كـان من المستحيل عقـلاً وشرعـاً عـلى رسـول الله ﷺ* هـو وجميـع الأنبيـاء والمـرسلين أن يأمـروا أحداً بعبـادتهم فكيف جاز في عقـول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب البردة.

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

وقد أخلص الدعاء الذي هو مخ العبادة* واللياذ الذي هو من أنواع العبادة* وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء إلى غير الله* وهذه هي معظم العبادة* كما أشير إلى ذلك، كما قال تعالى: **﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾** الآية* وقوله **﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى آئْتِنَا﴾**، إلى قوله تعالى: **﴿قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير*﴾**.

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، الدعاء مخ العبادة رواه الترمذي، وقوله: -

ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي   فضلاً والا فقل يا زلة القدم

هذا القول المنافي لقوله تعالى: **﴿وما أدراك ما يوم الدين* ثم ما أدراك ما يوم الدين* يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله﴾**، ﴾ وقوله تعالى: **﴿قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا﴾**، ﴾ وقوله تعالى: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا﴾** الآية*.

وفي الحديث الصحيح، أن رسول الله ﷺ* قال لابنته فاطمة وأحب الناس اليه، يا فاطمة سليني من مالي ما شئت* لا أغني عنك من الله شيئاً*.

فتأمل ما بين هذا وبين قول الناظم من التضاد والتباين* ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى* وذكره رسوله ﷺ* وكقوله تعالى لرسوله: **﴿ليس لك**

من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾.

وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير* ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذباً* وأضلّ الناس بغير علم* وتأمل قول الله تعالى؛ **﴿ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون*﴾**.

وبهذا يعلم أن الناظم قد زلت قدمه* اللهم إلا أن يكون قد تاب وأناب قبل الوفاة والله أعلم*، وأما قوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلّا بما يملكه*، فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره وأن أهل الجنة من الأولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم بل أدخلهموها غيره*، **﴿سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون*﴾**.

وفي الحديث الصحيح لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله*، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال ولا أنا إلّا أن يتغمدني الله برحمته* . وقد قال تعالى: **﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾**، وقوله تعالى: **﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير*﴾**، وقوله تعالى: **﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله* كتب على نفسه الرحمة﴾**، وقوله تعالى: **﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾**، فلا شريك لله في ملكه كما لا شريك له في الهيته وربوبيته*، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، وقوله، ومن علومك علم اللوح والقلم*، وهذا أيضاً كالذي قبله، لا يجوز أن يقال إلّا في حق الله تعالى*، الذي أحاط علمه بكل شيء*، كما قال تعالى: **﴿عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير*﴾**، وقال تعالى: **﴿وما يعزب عن ربك**

من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين* ﴾، وقوله تعالى: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب***﴾، وقال تعالى: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين***﴾، وقال تعالى: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله***﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوق الحصر*، وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والالهية التي بعث الله رسله وأنزل كتبه لبيانها واختصاصها لله سبحانه دون كل من سواه*، وقال تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول***﴾، وقوله في آية الكرسي*: ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه***﴾، فقد أطلع من شاء من أنبيائه ورسله على ما شاء من الغيب* بوحيه اليهم* فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم*، كما قال تعالى: ﴿**تلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا***﴾ وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنّة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك* أطلع الله عليه رسوله* والمؤمنون عرفوه من كتاب الله وسنّة رسوله* وآمنوا به وأما احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها*، وما كان منها وما لم يكن* فذاك الى الله وحده* لا يضاف الى غيره من خلقه*، فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله*، وعلى رسوله ﷺ*، فما أجرأ هذا القائل على الله في سلب حقه* وما أعداه لرسول الله ﷺ* ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله* وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه* إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك*، وما عابه القرآن وذمه* ووقع فيه* وأقره

ودعا اليه* وصوبه وحسنه* وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية* أو نظيره أو شر منه أو دونه* فتنتقض بذلك عرى الاسلام* ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا*، والبدعة سنّة والسنّة بدعة*، ويكفر الرجل بمحض الايمان* وتجريد التوحيد* ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ* ومفارقة الأهواء والبدع*، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا* والله المستعان، انتهى.

قلت وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الأزمنة* أشربت قلوبهم الشرك والبدع* واستحسنوا ذلك وأنكروا التوحيد والسنّة* وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق* فضلوا وأضلوا.

وأما قول الناظم* فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً، البيت.

فهذا من جهله إذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل*، أن الاتفاق في الاسم لا ينفع إلاّ بالموافقة في الدين واتباع السنّة* فأولياء الرسول ﷺ هم من اتباعه على دينه والعمل بسنّته* كما دل على ذلك الكتاب والسنّة، وكما قال تعالى: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل**)، إلى قوله: ﴿**فالذين آمنوا به وعزّزوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾.

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ* وقد كان يحوطه ويحميه* وينصره ويجمع القبائل على نصرته ﷺ وحمايته من أعدائه* وقد قال في حق النبي ﷺ:

لقــد علمـوا أن ابننــا لا مكـذب لـدينـا ولا يعني بقــول الأبـاطــل
حـدبـت بنفسي دونــه وحميـتــه ودافعت عنـه بالـذرى والكـلاكـل

ولما لم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب* ومات على ذلك، وقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنـك* أنزل الله سبحـانه ﴿**مـا كان للنبي والـذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد مـا تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم***﴾ فلا وسيلة للعبد الى نيل شفاعة النبي ﷺ، إلا بالايمان به وبـما جـاء به من تـوحيد الله واخـلاص العبادة لـه وحده لا شريـك له* ومحبتـه واتباعـه وتعظيم أمـره ونهيه* والـدعوة إلى مـا بعث به من دين الله* والنهي عـما نهى عنه من الشرك بـالله والبدع* وا لا فـلا* فعكس الملحدون الأمر فطلبوا الشفاعة الذي بعث الله رسوله ﷺ* بـالنهي عنه وانكـاره وقتال أهله واحلال دمائهم وأموالهم* وأضافوا الى ذلك انكار التوحيد* وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي ﷺ* كما تقدم في كلام شيـخ الاسلام رحمـه الله من قوله ويكفر الرجل بمحض الايمان* وتجريد التوحيد الى آخر كلامه.

وأما قول الناظم* ولن يضيق رسول الله جاهك بي، البيت.

فهذا هو الـذي ذكر الله عن المشركـين من اتخاذ الشفعـاء ليشفعوا لهم* ويقربوهم الى الله زلفى. قـال الله تعالى: ﴿**إنـا أنزلنـا اليك الكتـاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين* الا لله الدين الخالص***﴾.

فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحـد ديناً سـواه* ثم ذكر بعـد ذلك دين المشركين، فقال: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبـدهم الا ليقـربونـا الى الله زلفى* ان الله يحكم بينهم فيما هم فيـه يختلفون* ان الله لا يهدي من هو كاذب كفّار***﴾ فتـأمل كـون الله تعالى كفـرهم بقولهم*: ﴿**مـا نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**﴾ وقـال في آخر هـذه السورة ﴿**أم اتخـذوا**

من دون الله شفعاء، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون*﴾ قل لله الشفاعة جميعاً، قلت وقد وقع من هؤلاء من اتخذهم شفعاء* بدعائهم وطلبهم ورغبتهم* والالتجاء اليهم وهم أموات غافلون عنهم لا يقدرون ولا يسمعون* لما طلبوا منهم وأرادوه.

وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره وهو الذي له ملك السموات والأرض، كما قال تعالى: **﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة، وهم من دعائهم غافلون* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾.**

فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه* وأسجل عليهم بالضلال* ولهذه الآية نظائر كثيرة، كقوله **﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير* ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾.**

فبيّن أن دعوتهم غير الله شرك بالله* وأن المدعو غيره لا يملك شيئاً وأنه لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب* وأن المدعو ينكر ذلك الشرك* ويتبرأ منه* ومن صاحبه يوم القيامة* فمن تأمل هذه الآيات* انزاحت عنه بتوفيق الله وفتحه جميع الشبهات* ومما يشبه هذه الآية في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله* واتخذه شفيعاً من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه اليه* واعتماده في حصول الشفاعة عليه* كما قد تضمنه بيت الناظم قول الله تعالى: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤ الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.**

فانظر كيف حرمهم الشفاعة لما طلبوها من غير الله* وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره* وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن* كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾، وقال تعالى: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع*﴾ فهذه الشفاعة المنفية*، هي التي فيها شرك*، وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن* فإنما ثبتت بقيدين عظيمين* اذن الرب تعالى للشفيع* ورضاه عن المشفوع له* وهو لا يرضى من الأديان الستة المذكورة في قوله: ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا﴾ الآية* الا الايمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص* كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه* ﴾ وقال تعالى: ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون*﴾، وقال تعالى: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى*﴾، وقال تعالى: ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض*﴾، الى قوله: ﴿ما من شفيع الا من بعد اذنه*﴾.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ، لما ذكر شفاعته* قال: وهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً* وقال أبو هريرة رضي الله عنه من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال: من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه.

قال شيخ الاسلام في هذا الحديث، فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله*، وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض الملبس، ولجاجه وافترائه على الله ورسوله* فإن دعوة غير الله ضلال* وشرك ينافي التوحيد* وأن اتخاذ الشفعاء انما هو

بدعائهم*، والالتجاء اليهم وسؤالهم أن يشفعوا للداعي*، وقد نهى الله عن ذلك*، وبيّن أن الشفاعة له* فإذا كانت له وحده فلا تطلب الا ممن هي ملكه*، فيقول: اللهم شفع نبيك فيّ لأنه تعالى هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه*، وهو الاخلاص كما تقدم بيانه*، وأما قول المعترض* ان المعتزلة احتجوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة على انها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين*.

فأقول لا ريب أن قولهم هذا بدعة وضلالة، وأنت أيها المجادل في آيات بغير سلطان مع المعتزلة في طرفي نقيض*، تقول إن الشفاعة ثبت لمن طلبها وسألها من الشفيع فجعلت طلبها موجباً لحصولها*، والقرآن قد نفى ذلك وأبطله في مواضع كثيرة بحمد الله* والحق أنها لا تقع الا لمن طلبها من الله وحده* ورغب اليه فيها* وأخلص له العبادة بجميع أنواعها* فهذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده ان دخلها بذنوبه* وهذا هو الذي يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الاخلاص* كما صرحت بذلك الأحاديث والله أعلم*.

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنّة أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة نفياً واثباتاً فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق* فالشفاعة المنفية انما هي في حق المشرك* الذي اتخذ له شفيعاً بطلب الشفاعة منه* فيرغب اليه في حصولها* كما في البيت المتقدم* وهو كفر كما صرح به القرآن.

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنّة فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين* وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص* واعتقده أهل السنّة والجماعة* ودانوا به والحديث الذي أشار إليه المعترض من قوله أنا لها أنا لها، لا ينافي ما تقرر وذلك أن الناس في موقف القيامة* إذا فزعوا إلى

الـرسل ليشفعـوا لهم الى الله في اراحتهم* من كرب ذلـك المقام بـالحساب* وكل نبي ذكر عذره.

قال النبي ﷺ في الحديث* فيأتوني فأخر بين يدي الله سـاجداً* أو كـما قال فأحمده بمحامد يفتحها عليّ* ثم يقال ارفع رأسك*، وقل تسمع* واسأل تعطه*، واشفع تشفع* قال فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة.

فتأمل كـون هذه الشفـاعة لم تقـع الا بعد السجـود لله* ودعائـه وحمده والثناء عليه بما هو أهله* وقوله فيحد لي حداً* فيه بيان أن الله هو الذي يحد له* وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مـع الرسـل* هو من بـاب سؤال الحي الحاضر* والتوسل الى الله بدعـائه* كـما كان الصحـابة رضي الله عنهم يسألون رسول لله ﷺ في حياته أن يدعـو لهم إذا نابهم شيء* كـما في حديث الاستسقاء وغيره*.

ولما توفي رسـول الله ﷺ، لم يكونـوا يفعلون عند قـبره شيئاً من ذلـك البتة* ففرق أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أعلم الأمة وأفضلها* بين حالتي الحياة والمـمات* وكانوا يصلون عـلى النبي ﷺ عند دخـول المسجد والخـروج منه* وفي الصلاة والخـطب* وعند ذكـره امتثالاً لقـوله ﷺ* لا تجعلوا قـبري عيداً* ولا بيوتكم قبوراً* وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني أينما كنتم*.

ولـمـا أراد عمـر رضي الله عنـــه أن يستسقي بـالنــاس* أخـرج معـه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه* فقال اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنـا اليك بنبينا فتسقينا* وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا* فيدعو* فلو جـاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات النبي ﷺ بعد وفاته* لما صلح منهم أن يعـدلوا عن النبي ﷺ* الى العباس* فلما عدلـوا عنه الى العبـاس* علم أن التوسـل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم* وصار هذا اجماعاً منهم*.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك، فقال أبو الحسن القدوري* في شرح كتاب الكرخي، قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة، لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به* وأكره أن يقول بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك* وبحق البيت الحرام، قال أبو الحسن* أما المسألة بغير الله فتكره في قولهم لأنه لا حق لغير الله عليه* وانما الحق لله على خلقه.

وقال ابن بلدمي في شرح المختار*، ويكره أن يدعو الله الا به، فلا يقول أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك ونحو ذلك*، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه* أكره كذا هو عند محمد حرام*، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف، هو إلى الحرام أقرب* وجانب التحريم عليه أغلب* فإذا قرر الشيطان عنده أن الأقسام على الله به* والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه، وأنجع بقضاء حاجته*، نقله درجة أخرى الى دعائه نفسه من دون الله*، ثم ينقله بعد درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه*، ويوقد عليه القنديل*، ويعلق عليه الستور*، ويبني عليه المسجد*، ويعبده بالسجود له والطواف*، وتقبيله واستلامه، والحج اليه والذبح عنده*، ثم ينقله درجة أخرى الى دعاء الناس لعبادته*، واتخاذه عيداً ومنسكاً*، وان ذلك نفع لهم في دنياهم وأخراهم* .

قال شيخنا قدس الله روحه، وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب أبعدها عن الشرع، أن يسأل الميت حاجته*، ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس، قال وهؤلاء من جنس عباد الأصنام*، وهذا يحصل للكفّار من المشركين وأهل الكتاب*، يدعو أحدهم من يعظمه*، ويتمثل لهم الشيطان أحياناً*، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة.

ثم ذكر المرتبة الثانية، وهي أن يسأل الله به*، وقال وهو بدعة باتفاق المسلمين.

والثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب*، أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد*، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين*، وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين*، وان كان كثيراً من الناس يفعل ذلك، انتهى.

ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمره الله به ورسوله*، من اخلاص العبادة لله وحده*، فإنه الدين الذي بعثه به، وأن يترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من الشرك فما دونه، كما قال تعالى: **﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت، فإنك إذا من الظالمين﴾** الآية*، وأن لا يدين لله تعالى الا بما دلّه الدليل على أنه من دين الله*، ولا يكون أمّعة يطير مع كل ريح*، فإن الناس من أمّة محمد ﷺ*، والأمم قبلها، قد تنازعوا في ربهم وأسمائه وصفاته*، وما يجب له على عباده، وقد قال تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾**.

فيا سعادة من تجرّد عن العصبية والهوى*، والتجأ إلى حصن الكتاب والسنّة*، فإن العلم معرفة الهدى بدليله*، وما ليس كذلك فجهل وضلال.

وأما قول المعترض، فانظر إلى الشفاعة تجده حكي كفر، من قال مثل هذه الكلمة*، أي الكلمة التي ذكرها المجيب*، في معنى قوله: **﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا﴾**، الآيات. ذكر عبارة النسفي في معناها*، وهي قوله هو اظهار العبودية*، وبراءة مما يختص بالربوبية من علم

الغيب*، أي انا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع، ولا دفع ضر*، إلى آخر كلامه*، إذ من عادة هذا المعترض الجاهل*، رد الحق والمكابرة في دفعه والغلو المتناهي*، والا فمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام*، أن المجيب إنما أتى في جوابه بتحقيق التوحيد*، ونفي الشرك بالله*، وذلك تعظيم لجانب الرسالة*.

وكان النبي ﷺ، ينهى أمّته عن كل ما يؤل بهم الى الغلو*، ولما قيل له ﷺ، أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، قال*: يا أيها الناس قولوا بقولكم*، أو ببعض قولكم*، ولا يستهوينكم الشيطان*، أنا عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله تعالى* .

والنبي ﷺ، هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه*، وفي الحديث فإنك إن تكلني إلى نفسي، تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة*، وإني لا أثق إلا برحمتك*، الحديث.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة*، يخبر بذلك عن نفسه ويعترف بذلك لربه*، وهو الصادق المصدوق*، فإذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ*، وأخبر بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصاً له*، بل هذا من تصديقه والايمان به.

قال شيخ الاسلام رحمه الله، إذا كان الكلام في سياق توحيد الرب*، ونفي خصائصه عما سواه*، لم يجز أن يقال هذا سوء عبارة في حق من دون الله، من الأنبياء والملائكة*، فإن المقام أجل من ذلك وكل ما سوى الله يتلاشى عن تجريد توحيده*، والنبي ﷺ، كان من أعظم الناس تقريراً لما يقال على هذا الوجه*، وان كان نفسه المسلوب*، كما في الصحيحين في حديث الأفك، لما نزلت براءة عائشة من السماء*، وأخبرها النبي ﷺ

بذلك، قالت لها أمها قومي إلى رسول لله ﷺ، قالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا اياكما*، ولا أحمد الا الله الـذي أنزل بـراءتي*، فأقـرها النبي ﷺ وأبوها على هذا الكلام، الذي نفت فيه أن تحمد رسول لله ﷺ*، وفي رواية بحمد الله لا بحمدك، ولم يقل أحد هذا سوء أدب منها عليه ﷺ.

وأخرج البيهقي بسنده إلى محمد بن مسلم، قال:سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول*، قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشـة للنبي ﷺ، بحمد الله لا بحمـدك*، إني لأستعظم هـذا، فقال عبـد الله، ولّت الحمد أهله*، وكذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد بسنده، عن الأسود بن سريع*، أن النبي ﷺ، أتى بـأسير*، فقـال: اللهم أتوب إليـك ولا أتوب إلى محمـد*، فقال النبي ﷺ، عرف الحق لأهله.

وهذا المعترض وأمثاله، ادعـوا تعظيم أمـر رسول الله ﷺ، بمـا قد نهى عنـه من الغلو والاطراء*، وهضمـوا ربوبيـة الله، وتنقصـوا الهيتـه*، وأتـوا بـزخارف شيـطانية* وحـاولـوا أن يكـون حق الله من العبـادة التي خلق لهـا عباده، نهباً بين الأحياء والأموات، هذا يصرفه لنبي*، وهذا لملك*، وهـذا لصـالح*، أو غـير هؤلاء ممن اتخذوهم انـداداً لله*، وعبدوا الشيـاطـين بمـا أمـروهم بـه، من ذلـك الشرك بـالله*، فـإن عبـادتهم للمـلائكـة والأنبيـاء والصالحين*، إنما تقع في الحقيقة على من زينهـا لهم من الشياطـين، وأمرهم بها، كما قـال تعالى: ﴿**ويـوم يحشرهم جميعاً، ثم يقـول للملائكـة، أهؤلاء إيـاكم كانـوا يعبدون*، قـالوا سبحانك، أنـت ولينـا من دونهم، بل كـانوا يعبدون الجن، أكثرهم بهم مؤمنون**﴾، ونحو هذه الآية كثير في القرآن.

ولمـا ذكر العـلامة ابن القيم رحمـه الله، مـا وقـع في زمـانـه من الشرك بـالله*، قال: وهـذا هضم للربوبيـة*، وتنقص للالهيـة*، وسوء ظن بـرب

العالمين*، وذكر أنهم ساووهم بالله في العبادة، كما قال تعالى عنهم، وهم في النار﴿تالله ان كنا لفي ضلال مبين*، اذ نسويكم برب العالمين﴾.

وأما ما ذكره عن خالد الأزهري*، فخالد وما خالد، أغرّك منه كونه شرح التوضيح والأجرومية في النحو* وهذا لا يمنع كونه جاهلاً بالتوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ*، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه*، ممن لهم تصانيف في المعقول كالفخر الرازي*، وأبي معشر البلخي*، ونحوهما ممن غلط في التوحيد، وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوي وغيره*، فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ولا نقل عنه أحد انكاره*، فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسراً تذاد عنه النصوص*، من الآيات المحكمات القواطع*، والأحاديث الواضحات البينات*، كقوله تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾**، وقوله تعالى: **﴿ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه أنه لا يفلح الكافرون﴾**.

وقول النبي ﷺ*، من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار* وقد استدرج الله أهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات عقوبة لهم*، وكثير منها أحوال شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الأنس* كما قد يقع كثيراً لعباد الأصنام وما أحسن ما قال بعضهم شعراً: -

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا	وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره	اما عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف أبيات البردة*، عما هو صريح فيها ونص في ما دلت عليه من الشرك في الربوبية والالهية*، ومشاركة الله في علمه وملكه*، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من ذلك الشرك

والغلو*، فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل*، غير أنه وسم نفسه بالجهل والضلال والزور والمحال*، ولو سكت لسلم من الانتصار*، لهذا الشرك العظيم*، الذي وقع فيه.

وأما قول المعترض ورد في الحديث لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي*، ولا جنتي ولا ناري*، فهذا من الموضوعات لا أصل له، ومن ادعى خلاف ذلك*، فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث*، وأنّى له ذلك*، بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين.

وقد بيّن الله تعالى حكمته في خلق السموات والأرض في كثير من سور القرآن، كما في الآية التي تأتي بعد*، وهي قول الله تعالى: **﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير*، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾**.

ولها نظائر تبيّن حكمة الرب في خلق السموات والأرض، وقوله وكيف ينكر تصرفه في اعطاء أحد بإذن الله من الدنيا في حياته أو في الآخرة بعد وفاته*.

أقول هذا كلام من اجترى وافترى*، وأساء الأدب مع الله، وكذب على رسوله*، ولم يعرف حقيقة الشفاعة*، ولا عرف تفرد الله بالملك يوم القيامة*، وهل قال رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه أو من بعدهم* من أئمة الاسلام*، أنّ أحداً يتصرف يوم القيامة في ملكه ولو أطلقت هذه العبارة في حق رسول الله ﷺ*، لادّعاها كل لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح*، أنه يشفع له اذا دعاه*، سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء، وقال تعالى: **﴿يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾**، وقال: **﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال**

صواباً*﴾، وهذا القول الذي قاله الجاهل*، قد شافهنا به جاهل مثله بمصر*، يقول الذي يتصرف في الكون سبعة*، البدوي*، والامام الشافعي*، والشيخ الدسوقي*، حتى أكمل السبعة من الأموات، يقول هذا ولي له شفاعة وهذا صالح كذلك، وقد قال تعالى: ﴿لينذر يوم التلاق*، يوم هم بارزون لا يخفى على الله شيء، لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار*، الى قوله: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع*﴾، وأي ظلم أعظم من الشرك بالله، ودعوى الشريك له الملك*، والتصرف وهذا غاية الظلم.

قال شيخ الاسلام رحمه الله في هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير*، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له*﴾، نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه*، أو يكون عوناً لله ولم يبق الا الشفاعة التي يظنها المشركون وهي منتفية كما نفاها القرآن*، وأخبر النبي ﷺ عليه وسلم*، أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده*، لا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال ارفع رأسك*، وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع*، وقال له أبو هريرة رضي الله عنه، من أسعد الناس بشفاعتك*؟ قال: من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه*، فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله*.

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص*، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه*، وينال المقام المحمود*.

فالشفاعة التي نفاها القرآن، ما كان فيها شرك*، ولهذا أثبت الشفاعة

بـإذنه في مـواضع، وقـد بيّن النبي ﷺ*، أنها لا تكـون الا لأهل التـوحيـد والاخلاص، انتهى كلامه.

وقال العلامة ابن القيم في مدارج السالكين*، وقـد قطع الله الأسبـاب التي يتعلق بها المشركون جميعاً*، فقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك ومـا له منهم من ظهـير*، ولا تنفع الشفـاعة عنـده الا لمن أذن له﴾، فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل لـه به من النفـع*، والنفع لا يكـون الا ممن فيه خصلة من هذه الأربع*، أما ما لك لما يريده عابـده منه*، فـان لم يكن شريكـاً له، كـان معيناً وظهيـراً*، فان لم يكن معينـاً ولا ظهيراً، كـان شفيعاً عنده*، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعـلى الى الأدنى*، فنفى الملك والشركـة والمظاهـرة والشفاعـة التي يـطلبهـا المشرك*، وأثبت شفاعة لا نصيب فيهـا لمشرك*، وهي الشفاعـة بإذنـه*، فكفى بهذه الآية نوراً وبـرهانـاً وتجريـداً للتوحيـد*، وقطعـاً لأصول الشرك ومـوادة لمن عقلها*، وفي القرآن كثير من أمثالها ونظائرها*، ولكن أكثر الناس لا يشعـر بدخول الواقع تحته*، وتضمنه له ويظنه في نوع.

قـوم قد خلوا من قبل*، ولم يعقبوا وارثاً، فهذا الذي يحول بين القلب وفهم القرآن*، ولعمر الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو دونهم*، وتناول القرآن لهم كتنـاوله لأولئـك الى أن قال ومن أنـواعه أي الشرك، طلب الحوائج من الموتى*، والاستعانة بهم والتوجـه اليهم*، وهذا أصل شركة العالم*، فان الميت قد انقطع عمله*، وهو لا يملك لنفسه نفعـاً ولا ضراً، فضلاً لمن استغاث به*، وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له الى الله*، وهذا بجهله بالشافع والمشفوع عنده*، فانه لا يقدر أن يشفع لـه

عند الله الا بإذنه*، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنـه*، فجاء هـذا المشرك بسبب يمنـع الإذن*، وهو بمنـزلـة من استعـان في حـاجتـه بمـا يمنـع حصولها*، وهـذه الحالة كل مشرك*، فجمعوا بين الشرك بالمعبود*، وتغيـير دينـه ومعاداة أهـل التوحيد*، ونسبة أهله الى تنقص بـالأموات*، وهم قـد تنقصوا الخالق بـالشرك*، وأولياء التـوحيد لـه بذمهم وعيبهم ومعـاداتهم*، وتنقصوا من أشركوا بـه غايـة التنقيص، اذ ظنوا أنهم راضـون منهم بهذا*، وأنهم يوالونهم عليـه، وهؤلاء أعداء الـرسل في كـل زمان ومكـان وما أكـثر المستجيبـين لهم، قال: ومـا نجا من شرك هـذا الشرك الأكـبر الا من جـرد توحيده لله*، وعادى المشركين في الله*، وتقرب بمقتهم الى الله*، واتخذ الله وحده وليه والهـه ومعبوده*، فجـرد حبه لله*، وخـوفه لله*، ورجـاءه لله*، وذله لله*، وتوكله على الله*، واستعانته بالله*، والتجاءه الى الله*، وأخلص قصـده لله*، متبعاً لأمـره متطلبـاً لمـرضـاتـه، واذا سـأل، سـأل الله*، وإذا استعان، استعان بالله*، واذا عمل، عمل لله*، وبالله ومع الله، انتهى.

فرحم الله هذا الامام، وشيخه*، فلقد بينا للناس حقيقة الشرك وطرقه وما يبطله.

وفي حـديث ابن عبـاس، أن رسـول الله ﷺ، قـال لـه، اذا سـألت، فـاسأل الله*، واذا استعنت، فـاستعن بالله*، ولم يقـل فاسـألني*، واستعن بي*، بل قصر السؤال والاستعانة على الله، الذي لا يستحقه سواه*، كما في قوله: ﴿**اياك نعبد واياك نستعين***﴾، فمن صرف ذلك لغير الله فقـد عصى الله ورسوله*، وأشرك بالله*.

وللمعترض كلام ركيك، لا حاجة لنا الى ذكر ما فيه*، وانما نتتبـع من كلامه ما يحتاج الى رده وابطاله كجنس ما تقدم*.

واعلم انـه قال لما ذكر قـول المجيب، أنه لا يجتمـع الايمـان بـالآيـات المحكـمات، وتلك الأبيات لما بينهما من التنـافي والتضاد، وقـال المعـترض، أقول يجتمعان بأن يفرد الله بـالعبادة*، ولا يقـدح فيه تشفعـه بأحبـاب حبه اليه*، وكيف يحكم عليه بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هـو أهل لهـا*، كما في الحديث، أنا لها أنا لها، ومعلوم أن الضلال ضد الحق.

فـالجواب لا يخفي مـا في كلامـه من التخـليـط والتلبيس*، والعصبيـة المشوبة بالجهل المركب، حيث أنه لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري.

وقد بيّنا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضـلال*، وان اتخاذ الشفعـاء الذين أنكر الله تعالى، انما هو بدعائهم والالتجاء اليهم والرغبـة اليهم*، فيما أراده الراغب منهم، من الشفاعة التي لا يقدر عليها الا الله، وذلك ينافي الاسلام والايمان بلا ريب، فان طلبها من الأموات والغائبـين طلب لما لا يقـدر عليه الا الله من غير الله، وهو خلاف لما أمر به تعالى*، وارتكاب لمـا نهى عنه*، كما تقدم بيانه في معنى قـوله تعـالى: **﴿ويعبدون من دون الله مـا لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾** الآية، وقـوله تعـالى: **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونـه فلا يملكـون كشف الضر عنكم ولا تحويـلاً﴾** الآيـة، وقولـه تعالى: **﴿مـا نعبدهم الا ليقـربـونـا الى الله زلفى﴾**. فـطلب الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره بعد وفاته* وبعده عن الداعي، لا يحبـه الله تعالى ولا يرضاه، ولا رسولـه ﷺ*، وهو التـوسل الـذي ذكره العـلامة ابن القيم وشيخه*، وصرحا بأنه شرك وللعلامة ابن القيم أبيـات في المعنى وهي قوله: -

والشرك فهـو تـوسـل مقصـود الـزلفـى من الـرب العـظيم الـشـأن

بعبـادة المخلوق من حجـر ومـن بشر ومـن قـبر ومـن أوثـان

والنـاس في هـذا ثـلاث طـوائف مـا رابـع ابـداً بـذي امكـان

احـدا الـطوائف مشرك بـالهـه فـاذا دعـاه دعـا الهـاً ثـان
هـذا وثـاني هـذه الأقسـام ذلـك جـاحـد يـدعـو سـوى الـرحمـان
هـو جـاحـد للرب يـدعـو غـيره شركـاً وتعـطيـلاً لـه قـدمـان
هـذا وثـالث هـذه الأقسـام خـير الخلق ذاك خـلاصـة الانسـان
يـدعـو الـه الحق لا يـدعـو ولا أحـداً سـواه قط في الأكـوان
يـدعـوه في الـرغبـاب والـرهبـات والحـالات مـن سر ومن اعـلان

وقد أنكر الله ذلك الدعـاء على من زعم في الـرسل والمـلائكة *، وذلـك كما قـال تعالى: ﴿**قـل ادعوا الـذين زعمتم من دونه فـلا يملكـون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ***﴾.

قـال طائفـة من السلف كان أقـوام يدعـون المسيح وأمـه، وعُـزَيْـراً أو الملائكة فـأنكر الله ذلـك وقال هؤلاء عبيـدي، يرجون رحمتي، كما تـرجون رحمتي*، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي*، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآيـة في إنكار دعوتهم من أوليـائه وأحبـابه*، وقـد تقدم أن الـدعاء وجميـع أنواع العبادة حق الله المحض*، كما تقدم في الآيات.

والحاصل أن الله تعالى لم يأذن لأحد أن يتخذ شفيعاً من دونه*، يسـأله ويرغب اليه ويلتجيء اليـه*، وهذه هي العبـادة ومن صرف من ذلك شيئـاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره*، كما دلت عليه الآيـات المحكمات* وهـذا ضد افراد الله بالعبادة*، وكيف يتصور افراد الله بالعبادة، وقد جعل العبـد ملاذاً ومفزعاً سواه*، فان هذا ينافي الافراد*، فأين ذهب عقل هذا وفهمه

قال شيخ الاسلام رحمه الله: العبـادة اسم جامـع لكل مـا يحبه الله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، انتهى*

وقد تبينّ أن الدعاء مخ العبادة* وهو ما يحبه ويأمر به عباده* وأن يخلصوه له*، وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضلال من فعل ذلك وكفره.

وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض، إن الشفاعة المنفية انما هي في حق الكفّار*، فنقول فمن اتخذ معبوداً سوى الله يرجوه أو يخافه*، فقد كفر*، وتأمل قوله الله تعالى: ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، أموات غير أحياء وما يشعرون* أيّان يبعثون*، إلهكم اله واحد﴾.

فبينّ تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله*، وأن من دعاه فقد أشرك مع الله غيره*، في الالهية*، والقرآن من أوله الى آخره يدل على ذلك*، وكذلك سنّة رسول الله ﷺ*، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن*، كما حجبوا عن الايمان بجهلهم وضلالهم وإعراضهم*، كما أنزل في كتابه من بيان دينه الذي رضيه لنفسه، ورضيه لعباده*.

قال شيخ الاسلام، ابن تيمية رحمه الله تعالى*، وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده، لا يدعى الا هو*، ولا يخشى ولا يتقى الا هو*، ولا يتوكل الا عليه، ولا يكون الدين الا له*، وأن لا يتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ*، فاذا جعل الامام والشيخ كأنه اله يدعى مع غيبته وموته*، ويستغاث به ويطلب منه الحوائج كأنه مُشبَّهٌ بالله، فيخرجون عن حقيقة التوحيد الذي أصله شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله، انتهى.

وثبت عن النبي ﷺ، أنه قال لابن عباس*، اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله* فلو جاز أن يسأل رسول الله ﷺ لما قصر سؤاله

واستعانته على الله وحده*، وابن عباس أحق الناس بأن يعلمه رسول الله ﷺ ما فيه له منفعة*، فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال*: واسألني واستعن بي*، بل أتى ﷺ بمقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد اخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى*، فأين ذهبت عقول هؤلاء الضّالّين عن هذه النصوص والله المستعان.

وقال الشيخ رحمه الله*، واعلم أن لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين، دعاء العبادة ودعاء المسألة*، وكل عابد سائل، وكل سائل عابد*، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه*، واذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ المسئول والطلب*، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر، وان لم يكن هناك صيغة سؤال*، ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة*، أو دعاء مسألة من الرغبة والرهبة والخوف والطمع، انتهى.

فتبين أن أبيات البردة التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه* وماذا بعد الحق الا الضلال*.

وقول المعترض لا سيما والناظم على جانب عظيم من الزهد والورع والصلاح* بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه*، وهذا كله صار هباء منثوراً حيث لم يرضوا عنه*.

أقول هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب*، والظاهر أنه لا حقيقة لذلك*، فانه لا يعرف الا بهذه المنظومة*، فلو قدر أن لذلك أصلاً فلا ينفعه ذلك مع تلك الأبيات*، لأن الشرك يحبط الأعمال*، كما قال تعالى: ﴿**ولو أشركوا لحبط عنهم ما كان يعملون***﴾، وقد صار العمل مع الشرك هباء منثوراً*، قال سفيان بن عيينة احذروا فتنة العالم الفاجر*، والعابد

الجاهل*، فان فتنتها فتنة لكم مفتون*، فان كان للرجل عبادة فقد فتن بأبياته كثير من الجهال*، وعبادته ان كانت فلا تمنع كونه ضالاً كما يرشد الى ذلك آخر الفاتحة*، قال سفيان بن عيينة، من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود*، ومن فسد من عبادنا، ففيه شبه من النصارى*، فالواجب علينا أن نبيّن ما في كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلو*، وأما الشخص وأمثاله ممن قد مات فيسعنا السكوت عنه*، لأنا لا ندري ما آل أمره اليه وما مات عليه*، وقد عرف أن كلام خالد الأزهري لا حجة فيه*، وأهل الغلو والشرك ليس عندهم الا المنامات والأحوال الشيطانية*، التي يحكيها بعضهم عن بعض*، كما قال لي بعض علماء مصر أن شيخنا مشى بأصحابه على البحر*، فقال لا تذكروا غيري*، وفيهم رجل ذكر الله فسقط في البحر*، فأخذ بيده الشيخ*، فقال: ألم أقل لكم لا تذكروا غيري، فقلت هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين*، لا ثالث لهما*، أحدهما أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الأوثان*، أو أنها حال شيطانية*، وأسألك أيها الحاكي لذلك*، أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير الله*، فأقر وقال لا حجة فيها على ذلك*، والمقصود بيان أنه ليس عند الغلاة من الحجة على ما زخرفوه*، أو حرفوه أو كذبوه*، وما قال الله وقال رسوله فهذا بحمد الله كله عليهم لا لهم*، وما حرفوه من ذلك رد الى صحيح معناه*، الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمنا والتزاماً*.

قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾، وذكر المعترض حكاية يقول عن غير واحد من العلماء العظام*، انه رأوا النبي ﷺ والمنظومة تنشد بين يديه*، الى قوله: لكن الخصم مانع ذلك كله بقوله إنهم كفّار.

فالجواب: أن يقال ليس هذا وجه المنع وانما وجهه، إنها حكاية مجهولة عن مجهول*، وهذا جنس اسناد الأكاذيب*، فلو قيل من هؤلاء العظام وما أسماؤهم، وما زمنهم، وما طبقتهم، لمن يدر عنهم*، وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة، ولا رواية يقظة*، فكيف اذا كانت أحلاماً*، والمعترض كثيراً ما يحكي عن هيا بن بيا*. ثم قال المعترض على قول المجيب*، وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممتنع شرعاً وعقلاً، قال المعترض، من أين هذا الامتناع وما دليله من العقل والسمع.

فالجواب: أن يقال معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن مثلك*، وإنما معرفتك في اللجاج الذي هو كالعجاج*، الذي يحوم في الفجاج*.

أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات سورتي الزمر ويونس وغيرها*، وقد بسطنا القول في ذلك بما يغني عن اعادته*، فليرجع اليه*.

وأما دليله من العقل*، فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل، بأن النجاة والسعادة والفلاح، وأسباب ذلك كله، لا تحصل الا بالتوجه الى الله تعالى وحده*، واخلاص الدعاء والالتجاء له وإليه*، لأن الخير كله بيده وهو القادر عليه*، وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء*، كما قال تعالى: **﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير*﴾**، فتسوية المخلوق بالخالق، خلاف العقل*، كما قال تعالى: **﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون*﴾**. فالذي له الخلق والأمر والنعم كلها منه*، وكل مخلوق فقير إليه لا يستغني عنه طرفة عين*، هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب اليه، ويرهب منه، ويتخذ معاذاً وملاذاً*، ويتوكل عليه.

وقـد قال تعـالى: ﴿يا أيهـا الناس أنتم الفقـراء الى الله، والله هو الغني الحميد*﴾، وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون في قول الله تعـالى: (وعـلى ربهم يتوكلون)، أي لا يـرجون سـواه ولا يقصـدون الا اياه*، ولا يلوذون الا بجنابه*، ولا يطلبون الحوائج الا منـه*، ولا يرغبـون الا اليه*، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن*، وأنـه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، لا معقب لحكمه*، وهو سريع الحساب.

ولهـذا قال سعيـد بن جبير، التـوكل جمـاع الايمـان*، ذكـره العلماء في تفسيره*، وليتأمـل ما ذكـره الله عن صاحب يـاسين من قـوله: ﴿أأتّخِـذُ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرٍّ، لا تُغْنِ عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقـذون*، إني إذاً لفي ضـلال مبين*﴾، فهـذا دليل فـطري عقـلي سمعي *وأمـا قـول المعترض أن قول الناظم، ومن علومك علم اللوح والقلم، أن من بيانية.

فالجواب: أنه ليس كما قال، بل هي تبعيضيـة*، ثم لو كـانت بيانيـة، فـما ينفعـه والمحـذور بحالـه*، وهو أنـه يعلم ما في اللوح المحفـوظ*، وقد صرح المعترض بذلك*، فقال ولا شـك إنه أوتي علم الأولـين والآخرين*، وعلم ما كان وما يكون.

فالجواب: هذه مضاربة لما هو صريح في كتاب الله وسنّة رسوله*، بـأن الإحـاطـة بمـا في اللوح المحفـوظ، علماً ليس الا لله وحـده*، كـذلـك علم الأولين والآخرين ليس الا لله وحده*، الا ما أطلع الله عليه نبيه في كتابه*، كما قال الله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من عمله، الا بما شاء وسع كرسيّـه السمـوات والأرض*﴾، فـالـرجـل في عمي عن قـول الله تعـالى بشيء من علمـه، وقال تعـالى: ﴿الله الـذي خلق سبـع سمـوات ومن الأرض مثلهن يتنـزل الأمر بينهن لتعلمـوا أن الله على كـل شيء قديـر* وأن الله قد أحـاط

بكل شيء علماً﴾، وقد تقدم لهذه الآيات نظائر*، فإحاطة العلم بالموجودات والمعلومات التي وجدت واستوجدت لله وحده*، لم يجعل ذلك لأحد سواه*.

وقال تعالى: **﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها* قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو﴾**، فأسند علم وقت الساعة الى ربه بأمره، كقوله تعالى: **﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها*، فيم أنت من ذكراها*، الى ربك منتهاها*﴾**، وأمثال هذه الآيات مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كله إلا ما استثناه بقوله: **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء*﴾**، ومن تبعيضية ها هنا بلا نزاع*، وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام*، ما نقص علمي وعلمك في جانب علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر*.

فتأمل هذا وتدبّر*، وأما قول المعترض وتأويله لقوله تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله﴾**، فتأويل فاسد*، ما قاله غيره ولا يقوله مسلم*، من أنه يعلم الغيب بتعليم الله له*، والمنفي في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك*، فما أجرأ هذا الجاهل على هذا التأويل*، وما أجهله بالله وبكتابه*، فيقال في الجواب لا ينفعك هذا التأويل الفاسد*، اذ لو كان أحد يعلم جميع الغيب بتعليم الله*، لصدق عليه أن يقال هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله*، فما بقي على هذا، لقصر علم الغيب على الله في هذه الآية معنى*، وحصل الاشتراك نعوذ بالله من الافتراء على الله*، وعلى كتابه وصرف ما لم ينزل الله به سلطاناً. وأما قوله في قول الناظم،ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي. ان الأخذ باليد هي الشفاعة.

فالجواب: أن حقيقة هذا القول وصريحه طلب ذلك من غير الله*، فلو

صح هذا الحمل*، فالمحذور بحاله*، لما قد عرفت من الاستغاثة بـالأموات والغائبين، والاستشفاع بهم في أمر هـو من الله* ممتنع حصـوله من غـير الله لكونه تألهاً وعبـادة، وقد أبـطله القرآن* فهـذا المعترض الجـاهل يـدور على منازعة الله في حقه وملكه*، وشمول علمـه*، والله يجزيه بعلمه.

وأما قوله: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو﴾، فقيل المراد بهـا الخمس المذكورة في سورة لقمان وهـذا قبل أن يـطلع نبيه عليهـا*، والا فقد ذكر عامة أهل العلم، أنـه لم يتوفـاه الله تعالى حتى علّمـه الله كل شيء حتى الخمس.

فـالجواب: أنـظر الى هذا المفـتري الجـاهـل البليـد*، كيف اقتفى أثـر صاحب الأبيات بجميع ما اختلقـه وافتراه*، وأكـثر من الأكاذيب عـلى أهل العلم*، فان قوله ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله حتى علّمه كل شيء حتى الخمس*، فحاشا أهـل العلم الذين يعـرفون بـأنهم من أهل العلم*، من هذه المقالـة*، وعامـة أهل العلم بـل كلهم على خـلاف ما ادعـاه سلفاً وخلفاً*.

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله في تفسير الكبـير الذي فـاق على التفاسير، ابتدأ تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة، فقال تعالى: ﴿ان الله عنـده علم الساعـة﴾، والتي تقوم فيهـا القيـامـة*، لا يعلم ذلـك أحـد غـيره*، ﴿وينـزل الغيث﴾ من السـماء لا يقـدر عـلى ذلـك أحـد غـيره*، ﴿ويعلم مـا في الأرحام﴾ الأنـاث ﴿وما تـدري نفس مـاذا تكسب غـداً﴾، يقول ومـا تعلم نفس حيّ مـاذا تعمـل في غـد، ﴿ومـا تـدري نفس بـأي أرض تمـوت﴾ يقول ومـا تعلم نفس حيّ بأي أرض يكـون مـوتهـا ﴿ان الله عليم خبير﴾، يقول إن الـذي يعلم ذلك كله هـو الله دون كل أحـد سواه وذكـر

سنده عن مجاهد* ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾، قال، جاء رجل الى النبي ﷺ*، فقال امرأتي حبلى*، فأخبرني ماذا تلد، وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث*، وقد علمت متى ولدت، فمتى أموت*، فأنزل الله ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾، الى آخر السورة، قال: فكان مجاهد يقول* هن مفاتيح الغيب التي قال الله: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو*﴾.

وأخرج بسنده عن قتادة، ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾، الآية. خمس من الغيب، استأثر الله بهن*، فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً*، وبسنده عن عائشة رضي الله عنها، من قال إن أحداً يعلم الغيب الا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله، قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله*﴾، وبالسند عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: مفاتيح الغيب خمس*، لا يعلمهن الا الله*، ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ الآية. ثم قال لا يعلم ما في غد الا الله*، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث الا الله*، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة الا الله*، ولا يعلم أحد ما في الأرحام الا الله*، ولا تدري نفس بأي أرض تموت.

وبسنده عن مسروق، عن عائشة، قالت: من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب. ثم قرأت ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ*، قال خمس لا يعلمهن الا الله* ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾ الآية، انتهى ما ذكره ابن جرير.

وذكر البغوي في تفسير حديث ابن عمر وعائشة المتقدم، ثم قال: وقال

الضحاك ومقاتل*، مفاتيح الغيب خزائن الأرض*، وقال عطاء، ما غاب عنكم من الثواب*، وقيل انقضاء الأجل*، وقيل أحوال العباد من السعادة والشقاوة*، وخواتيم أعمالهم*، وقيل ما لم يكن بعد أن يكون أم لا يكون وما لا يكون كيف يكون وانتهى.

قلت ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات*، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزل الله في كتابه*، وما أخبر به عن نفسه*، أو أخبر به رسوله ﷺ، وأجمع عليه العلماء فان الله استأثر بعلمه عن خلقه*، ووصف نفسه بأنه علّام الغيوب*، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب.

وأما قوله ولو أن عبارات أهل العلم مثل البيضاوي وأبي السعود والقسطلاني*، وأمثالهم تجدي اليكم شيئاً لذكرناها*، لكنها تمحى بلفظة واحدة*، وهي أنهم كلهم كفّار*، فلا نقبل منهم أحداً، ومن هذه حاله فلا حيلة به.

فالجواب: أنه ليس للبيضاوي ومن ذكر*، عبارات تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنى الآيات*، ومعاذ الله أن يقول المجيب*، إن هؤلاء كفّار*، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين*، أنه كفر أحداً قد مات من هذه الأمّة*، فمن ظاهره الاسلام، فلو وجد في كلامه زلة من شرك أو بدعة*، فالواجب التنبيه على ذلك*، والسكوت عن الشخص*، لما تقدم من أنّا لا ندري ما خاتمته، وأما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين*، فانهم من المتأخرين الذين نشأوا في اغتراب من الدين*، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام مخالفة لما عليه السلف*، وأئمة الاسلام من الارجاء ونفى حكمة الله*، وتأويل صفات الله*، وسلب معانيها ما

يقارب ما في كشاف الزمخشري*، والأرجاء والجبر يقابل ما فيه من نفي القدر*، وكلاهما في طرفي نقيض*، وكل واحد خالف ما عليه أهل السنّة والجماعة في ذلك*، ومعلوم أن صاحب الكشاف أقدم من هؤلاء الثلاثة*، وأرسخ قدماً منهم في فنون من العلم*، ومع هذا فقال شيخ الاسلام البلقيني*، استخرجت ما في الكشاف من دسائس الاعتزال بالمناقيش*، وقال أبو حيان، وقد مدح الكشاف ما فيه من لطيف المعنى، ثم قال: ـ

ولكنه فيه مجال لناقد ... وزلات سوء قد اخذن المخانقا

فيثبت موضوع الاحاديث جاهلاً ... ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقاً

وينسب إبداء المعاني لنفسه ... ليوهم أغماراً وان كان سارقاً

ويسهب في المعنى الوجيز دلالة ... بتكثير الفاظ تسمى الشقاشقا

يقوّل فيها الله ما ليس قائلاً ... وكان محباً في المخاطب وامقا

ويشتم أعلام الأئمة ضلة ... ولا سيما ان ولجوه المضائقا

الى أن قال:

لئن لم تداركه مِنْ الله رحمة ... لسوف يرى للكافرين مرافقا

فاذا كان هذا في تفسير مشهور* وصاحبه معروف بالذكاء والفهم*، فما دونه من المتأخرين أولى بأن لا يتلقى من كلامهم بالقبول*، الا ما وافق تفسير السلف*، وقام عليه الدليل*، وهذا المعترض من جهله يحسب كل بيضاء شحمة*، يعظم المفضول من الاشخاص والتصانيف*، ولا يعرف ما هو الأفضل*، ولو كان له أدنى مسكة من فهم ومعرفة للعلماء ومصنفاتهم*، لعلم أن أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير*، هذه الثلاثة التي نقلنا منها*، تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري*، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي*، وتفسير العماد اسماعيل ابن كثير*، فهذه أجل التفاسير*،

ومصنفوها أئمة مشهورون*، أهل سنّة ليسوا بجهمية ولا معتزلة ولا قدرية ولا جبرية ولا مرجئة بحمد الله*، وأكثر ما في هذه التفاسير الأحاديث الصحيحة*، وآثار الصحابة*، وأقوال التابعين وأتباعهم*، فلا يرغب عنها الا الجاهلون الناقصون المنقوصون والله المستعان.

والمصنفون في التفسير وغيره غير ما ذكر البيضاوي وأبي السعود البحر لأبي حيان لأنه كثير ما ينقله في تفسيره عن السلف والأئمة*، وكذلك تفسير الخازن*، وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلفين*، وذكر عباراتهم*، ويعتمد أقوال السلف فهو الذي ينبغي النظر إليه*، والرغبة فيه*، وعلى كل حال فليس في تفسير البيضاوي وأبي السعود وشرح القسطلاني ومواهبه*، ما ينفع هذا الجاهل المفتري*، وكل يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ*.

وقول المعترض على قول المجيب*، علماؤهم شر من تحت أديم السماء فيقال: هل ورد هذا الحديث في أهل العراق، فهم على عهد النبي ﷺ كفّار مجوس*، أو فيما يأتي*، فهذه شناعة على غالب علماء الأمة*، ومنهم الامام أبو حنيفة والامام أحمد وأمثالهم.

فالجواب: أن هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئاً*، ولا يفرق بين أهل السنّة والجماعة وأهل البدعة والضلالة*، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ، قال: لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمّتي الأوثان*، ولا تزال طائفة من أمّتي على الحق ظاهرين*، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك*، رواه البرقاني في صحيحه.

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمّته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى*، فاليهود افترقت احدى وسبعين*، والنصارى على اثنتين وسبعين*، وهذه

الأمة على ثلاث وسبعين فرقة*، كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة*، وأول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم، الخوارج* قاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان*، والقدرية في أيام ابن عمر وابن عباس*، وأكثر الصحابة موجودون*، ومن دعاتهم معبد الجهني*، وغيلان القدري الذي قتله هشام بن عبد الملك*، وكذلك الغلاة في علي، الذي خدّ لهم على الأخاديد*، وحرقهم بالنار*، ومنهم المختار بن أبي عبيد الذي قتله مصعب بن الزبير*، ادعى النبوة، وتبعه خلق كثير.

ثم ظهرت فتنة الجهمية وأول من أظهرها الجعد ابن درهم*، قتله خالد بن عبدالله القسري*، والصحابة رضي الله عنهم والتابعون، والأئمة متوافرون وقت ظهور مبادي هذه البدع*، لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة*، لأنهم متمسكون بالكتاب والسنّة*، منكرون لما خالف الحق*، وصح من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: لا يأتي على الناس زمان ولا والذي بعده شر منه*، حتى تلقوا ربكم*، سمعته من نبيكم ﷺ*، وظهرت بدعة جهم بن صفوان في زمن أبي حنيفة وأنكرها، وناظرهم*، وانتشرت في زمن الامام أحمد رحمه الله*، والفقهاء وأهل الحديث، وامتحن الامام أحمد*، فتمسك بالحق وصبر*، وصنف العلماء رحمهم الله المصنفات الكبار في الرد على الجهمية القائلين بخلق القرآن*، المعطلين لصفات الملك الديان، كالامام أحمد في رده المعروف*، وابنه عبد الله وعبد العزيز الكناني في كتاب الحيده*، وأبي بكر الأثرم*، والخلال وعثمان بن سعيد الدارمي*، وامام الأئمة محمد بن خزيمة*، واللالكائي وأبي عثمان الصابوني*، وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى*، وهذا كله انما هو القرون الثلاثة المفضلة، ثم بعدها ظهرت كل بدعة الفلاسفة*، وبدعة الرافضة*، وبدعة المعتزلة*، وبدعة المجبرة*،

وبدعة أهل الحلول*، وبدعة أهل الاتحاد*، وبدعة الباطنية الاسماعيلية*، وبدعة النصيرية والقرامطة ونحوهم*.

وأما أهل السنّة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد الله*، فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان*، والبلد الواحد من هذه الأمصار*، يجتمع فيها أهل السنّة وأهل البدعة*، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ويناضلونهم بالحجج والبراهين*، وظهر معنى قول النبي ﷺ*، خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم*، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف*، يقولون ما لا يفعلون*، ويفعلون ما لا يؤمرون*، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن*، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن*، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن*، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل*.

وقال ﷺ، بدأ الاسلام غريباً وسيكون غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون اذ فسد الناس، وفي رواية يصلحون ما أفسد الناس*.

وقد صنّف العلماء رحمهم الله في بيان الاثنتين والسبعين فرقة عدة مصنفات وبيّنوا ما تنتحله كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه أهل الفرقة الناجية*، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص في مخالفة هذه الفرق كلها*، وانما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق*، وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة*، والاحتجاج بالحق ونصرته*، وما ظهر فضل الامام أبو حنيفة والامام أحمد*، ومن قبلهما من الأئمة ومن بعدهما*، الا بتمسكهم بالحق ونصرته*، وردهم الباطل*، وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأصحابه، حين أجلب عليهم أهل البدع* وآذوهم بل أظهر الله بهم السنّة* وجعل لهم لسان صدق في الأمّة*، وكذلك من قبلهم ومن بعدهم*، كشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى*، لما

دعا الى التوحيد*، وبيّن أدلته*، وبيّن الشرك وما يبطله*، وفيه قال الامام العلامة الأديب أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى: ـ

وعاد به نهج الغواية طامسا   وقد كان مسلوكاً به الناس ترتع
وجرّت به نجد ذيول افتخارها   وحق لها بالألمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر   وانواره فيها تضيء وتسطع

فهذا المعترض لو تصور وعقل*، لتبينّ له أن ما احتج به، ينقلب حجة عليه*، وقول المعترض وان كان قد ورد في حق أهل الحرمين، فهذا ظاهر البطلان*، اذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان*، ولو قيل إنّ هذا الحديث وأمثاله، ورد في ذم نجد وأهلها*، فقد ورد في ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة منها قوله ﷺ، لا يزالون في شر من كذابهم الى يوم القيامة.

فالجواب: أن نقول*، الأحاديث التي وردت في غربة الدين وحدوث البدع وظهورها لا تختص بمكة والمدينة*، ولا غيرهما من البلاد*، والغالب أن كل بلد لا تخلو من بقايا متمسكين بالسنّة*، فلا معنى لقوله وان كان قد ورد في حق أهل الحرمين*، والواقع يشهد لما قلنا، وقد حدث في الحرمين*، في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم*، بل وفي وقت الخلفاء الراشدين*، ما هو معروف عند أهل العلم مشهور في السير والتاريخ*، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وقعة الحرة المشهورة*، ومقتل ابن الزبير في مكة*، وما جرى في خلال ذلك من الفتن وصارت الغلبة في الحرمين وغيرها لأهل الأهواء*، فإذا كان هذا وقع في خير القرون*، فما ظنك فيما بعد حين اشتدت غربة الاسلام*، وعاد المنكر معروفاً والمعروف منكراً*، فنشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير، وأما قوله: اذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان.

فالجواب: أن نقول مهبط الوحي في الحقيقة، قلب رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: **﴿نـزل به الـروح الأميـن* عـلى قلبك لتكـون من المنذرين﴾**، وقال تعالى: **﴿بل هو آيات بيّنات في صـدور الذين أوتـوا العلم*﴾**، فهذا محل الوحي ومستقره، وقولـه ومنبع الايمـان*، الايمان ينـزل به الـوحي من السماء*، لا ينبع من الأرض*، ومحله قلوب المؤمنـين، وهذه السـورة المكية في القــرآن معلومـة*، التي نــزلت عـلى النبي ﷺ*، وأكــثر من في مكـة المشركـون*، وفيها ذمهم والـرد عليهم كقولـه: **﴿وكذب بـه قـومـك وهـو الحق﴾**، وقـولـه **﴿وهم ينهـون عنـه وينـأون عنـه﴾**، وقـولـه: **﴿فـانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾**، ونحـو هذه الآيـات، كما في فصلت والمدثر وغيرهما*.

ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه الى المدينة*، وأهل الشرك لم يزالوا بها*، ومنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخولها بالوحي*، وقاتلوهم ببدر وأحـد والخندق*، وهم كانوا آخر العـرب دخولاً في الاسـلام*، حاشـا من هاجـر وكل هذا بعد نزول الـوحي*، ونحن بحمد الله لا ننكـر فضل الحـرمين*، بل ننكر عـلى من أنكره، ولكن نقـول الأرض لا تقدس أحـداً وانما يقـدس المرء علمه وعمله، فـالمحل الفـاضل قـد يجتمع فيـه المسلم والكافـر، وأهل الحق وأهل الباطل كما تقدم*، فأهل الحق يزدادون بالعمل الصالح في محـل الفضل لكثرة ثوابه*، وأهل الباطل لا يزيـدهم ذلك الا شـراً*، تعظم فيـه سيئاتهم*، كما قال تعالى في حرم مكة: **﴿ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عـذاب أليم*﴾**، فاذا كـان هذا الـوعيد في الارادة فعمـل السـوء أعـظم*، فـالمعول عليـه هو الايمـان والعمـل الصـالـح ومحله قلب المؤمن*، والنـاس مجزيون بأعمالهم*، ان خيـراً فخيرٌ وان شـراً فشر*، وقولـه ولو قيـل ان هذا الحديث ورد في ذم نجد وأهلها الى آخره.

فأقول الذم انما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل*، والأحاديث التي وردت في ذم نجد*، كقوله ﷺ، اللهم بارك لنا في يمننا*، اللهم بارك لنا في شامنا*، قالوا وفي نجدنا، قال: هناك الزلازل والفتن*، وبها يطلع قرن الشيطان*، قيل إنه أراد نجد العراق*، لأن في بعض ألفاظه ذكر المشرق*، والعراق شرقي المدينة*، والواقع يشهد له لا نجد الحجاز*، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث*، فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر في نجد الحجاز*، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ*، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب*، وكمقتل الحسين*، وفتنة ابن الاشعث*، وفتنة المختار وقد ادعى النبوة*، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله*، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال وسفك الدماء وغير ذلك* مما يطول عهده وعلى كل حال فالذم يكون في حال دون حال، ووقت دون وقت بحسب حال الساكن*، لأن الذم انما يكون للحال دون المحل*، وان كانت الأماكن تتفاضل وقد تقع المداولة فيها*، فان الله يداول بين خلقه حتى في البقاع*، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر وبالعكس، وأما قول المعترض منها قوله ﷺ لا يزالون في شر من كذابهم

فالجواب: ان هذا من جملة كذبه على رسول الله ﷺ*، وجهله بالعلم لا يميز بين الحديث وغيره*، وهذا الكلام ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه*، في نفر من بني حنيفة*، سكنوا الكوفة في ولاية ابن مسعود عليها*، وكانوا في مسجد من مساجدها*، فسمع منهم كلمة تشعر بتصديق مسيلمة*، فأخذهم عبد الله بن مسعود وقتل كبيرهم ابن النواح*، وقال في الباقين لا يزالون في بلية من كذابهم*، يعني ذلك النفر فلا يذم نجد بنفر أحدثوا حدثاً في العراق*، وقد أفنى الله كل من حضر مسيلمة في القرن

الأول*، ولم يبق بنجد من يصدق مسيلمة الكذاب*، بل من كان في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم*، ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلمة ويكذبونه*، فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة لا عين ولا أثر*، فلو ذم نجد بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصدقه لذمّ اليمن*، بخروج الأسود العنسي*، ودعواه النبوة*، وما ضر المدينة سكن اليهود فيها*، وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه*، معقل الاسلام*، وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول ﷺ*، وشدة عداوتهم له بل هي أحب أرض الله اليه*، فاذا كان الأمر كذلك فأرض اليمامة لم تعص الله*، وانما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم*، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله*، فطهر الله تلك البلاد منهم ومن سلم منهم من القتل دخل في الاسلام*، فصارت بلادهم بلاد اسلام بنيت فيها المساجد*، وأقيمت الشرائع*، وعبد الله فيها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم ونفر كثير منهم*، مع خالد بن الوليد*، لقتال العجم*، فقاتلوا مع المسلمين فنالت تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الاسلام*، على أنها تفضل على كثير من البلاد*، بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه*، ان النبي ﷺ، قال وهو بمكة لأصحابه، أريت دار هجرتكم فوصفها*، ثم قال: فذهب وهلي الى أنها اليمامة أو يثرب*، ورؤيا النبي ﷺ حق وكفى بهذا فضلاً لليمامة وشرفا لها على غيرها*، فان ذهاب وهله ﷺ في رؤياه اليها لا بد أن يكون له أثر في الخير يظهر*، فظهر ذلك الفضل بحمد الله في القرن الثاني عشر*، فقام الداعي يدعو الناس الى ما دعت اليه الرسل من افراد الله بالعبادة*، وترك عبادة ما سواه*، واقامة الفرائض والعمل بالواجبات*، والنهي عن مواقعة المحرمات*، وظهر فيها الاسلام أعظم من ظهوره في غيرها في هذه الأزمان*، ولولا ذلك ما سب هؤلاء نجد واليمامة بمسيلمة*.

اذا عرف ذلك فليعلم أن مسيلمة وبنو حنيفة انما كفروا بجحودهم بعض آية من كتاب الله جهلاً أو عناداً*، وهذا المعترض وأمثاله جحدوا حقيقة ما بعث الله رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات*، التي تفوت الحصر*، وعصوا رسول الله ﷺ بارتكاب ما نهى عنه من الغلو والشرك*، فجوزوا أن يدعى مع الله غيره*، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن وجوزوا أن يستعان بغير الله*، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك*، وجوزوا الالتجاء الى الغائبين والأموات والرغبة اليهم*، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهي*، وجعلوا لله شريكاً في ملكه وربوبيته، كما جعلوا له شريكاً في إلهيته، وجعلوا له شريكاً في إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها وقد قال تعالى مبيناً لما اختص به من شمول علمه: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار*، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾، إلى قوله: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه﴾ الآيات.

وهذه الأصول كلها في الفاتحة*، يبيّن الله تعالى أنه هو المختص بذلك دون كل من سواه*، ففي قوله الحمد لله رب العالمين*، اختصاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته والهيته وملكه وشمول علمه وقدرته وكماله في ذاته وصفاته ﴿رب العالمين﴾، هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم، والمتصرف فيهم بحكمته ومشيئته*، ليس ذلك إلا له*، ﴿مالك يوم الدين﴾*، فيه تفرده بالملك كقوله: ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله)*، وقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾*، فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها*، وكذلك الاستعانة، وفي اياك نستعين أيضاً توحيد الربوبية*.

وهذه الأصول أيضاً في ﴿قل أعوذ برب الناس*﴾، فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم والمدبر لهم*، ﴿ملك الناس﴾ هو الذي له الملك كما في الحديث الوارد في الأذكار*، لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير*، وقوله: ﴿اله الناس*﴾، هو مألوههم ومعبودهم لا معبود لهم سواه*، فأهل الايمان خصّوه بالآلهية*، وأهل الشرك جعلوا له شريكاً يُؤلهونه بالعبادة*، كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك*.

وفي ﴿قل يا أيها الكافرون*﴾، براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين*، ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾*، الى قوله: ﴿لكم دينكم ، ولي دين﴾، فهذا هو التوحيد العملي وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً.

وفي ﴿قل هو الله أحد﴾، توحيد العلم والعمل ﴿قل هو الله أحد﴾، يعني هو الله الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ في الاثبات، الا على الله عزّ وجلّ*، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله*، وقوله ﴿الله الصمد*﴾، قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه، يعني الذين يصمد الخلائق اليه في حوائجهم ومسائلهم.

قلت وفيه توحيد الربوبية وتوحيد الآلهية، وقال الأعمش عن شقيق عن أبي وائل*، الصمد السيد الذي قد انتهى سؤدده، وقال الحسن أيضاً الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له*، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد*، كأنه جعل ما بعده تفسيراً له*، وقال سفيان بن منصور عن مجاهد الصمد المصمت الذي لا جوف له*، قال أبو القاسم الطبراني في كتاب السنّة*، وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عزّ وجلّ، وقال

مجاهد: **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾**، يعني لا صاحبة له*، وهذا كما قال تعالى: **﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم*﴾**، أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه*، أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه.

قلت فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الآلهية والربوبية، وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير*، وما فيها من مجامع صفات كماله ونعوت جلاله*، ومن له بعض تصور يدرك هذا بتوفيق الله*، **﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾**.

وأما قول المعترض المجيب*، ونوع الشرك جرى في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية*، رحمه الله تعالى، أقول هذه البردة متقدمة على زمن شيخ الاسلام ومع هذا لم ينقل عنه فيها كلمة واحدة.

فالجواب: تقدم البردة على زمن شيخ الاسلام، ان كان كذلك فماذا يجدي عليه*، وما الحجة منه على جواز الشرك*، وأيضاً فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا تقبل*، وهو لم يطلع الا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام*، ولم يفهم معنى ما أطلع عليه*، وهو في شق وشيخ الاسلام في شق*، وليس في كلام شيخ الاسلام الا ما هو حجة على هذا المعترض*، لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت*، فان كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه الله*، المؤيد بالبرهان فقد تقدم من كلامه ما يكفي ويشفي في تميز الحق من الباطل*، وكلامه رحمه الله في أكثر كتبه يبيّن هذا الشرك وينكره ويرده، كما رد على البكري حين جوز الاستغاثة بغير الله* ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب البردة داخل تحت

كلام شيخ الاسلام في الرد عليه والانكار*، وأنا أورد هنا جواباً لشيخ الاسلام عن سؤال من سأله عن نوع هذا الشرك وبعض افراده*، فأتى بجواب عام شامل كاف واف*.

قال السائل: ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ويطلب منهم ازالة الألم*، ويقول يا سيدي أنا في حسبك وفيمن يستلم القبر*، ويمرغ وجهه عليه ويقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ ونحو ذلك.

الجواب: الحمد لله رب العالمين*، الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وهو عبادة الله وحده لا شريك له واستعانته والتوكل عليه ودعاءه بجلب المنافع ودفع المضار، كما قال تعالى: **﴿انّا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين* الا لله الدين الخالص﴾** الآيات، وقال تعالى: **﴿وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾**، وقال تعالى: **﴿وادعوا الله مخلصين له الدين﴾**. وقوله: **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾**، الآيات.

قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيز أو الملائكة، قال تعالى: **﴿هؤلاء الذين تدعون عبادي يرجون رحمتي*، كما ترجون رحمتي*، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي*﴾**، فاذا كان هذا حال من يدعو الانبياء والملائكة فكيف بمن دونهم، قال تعالى: **﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾** الآية، وقال: **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير*، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له﴾***، فبيّن سبحانه أنه من دعا من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم*، أنهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه* وأنه ليس له شريك في

ملكه، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير*، وأنه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء*، وان الشفعاء لا يشفعون عنده الا لمن ارتضى*، فنفى بذلك وجوه الشرك*، وذلك أن من دعي من دونه، إما أن يكون مالكاً، وإما أن لا يكون مالكاً*، واذا لم يكن مالكاً، فإما أن يكون شريكاً، وإما أن لا يكون شريكاً*، واذا لم يكن شريكاً، فإما أن يكون معاوناً، وإما أن يكون سائلاً طالباً، فأما الرابع، فلا يكون الا من بعد اذنه*، كما قال تعالى: **﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾**، وكما قال تعالى: **﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾**، وقال تعالى: **﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون، قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون﴾**، وقال تعالى: **﴿ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾**، وقال تعالى: **﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾**، الى قوله: **﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون﴾**.

فبيّن سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كان كافراً*، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشائخ وغيرهم أرباباً*، فلا يجوز أن يقول لملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء كان حياً أم ميتاً*، اغفر ذنبي وانصرني على عدوي أو اشف مريضي أو ما أشبه ذلك*، ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم*، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه.

قال تعالى: وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني

وأمي آلهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب﴾، والآية الثانية، وقال: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون*﴾**..

وإن قال أنا أسأله لأنه أقرب مني الى الله ليشفع لي لأني أتوسل الى الله به، كما يتوسل الى السلطان بخواصه وأعوانه*، فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فانهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم*، ولذلك أخبر الله عن المشركين، أنهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى.

وقد قال سبحانه: **﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾**، الى قوله: **﴿ترجعون*﴾**، وقال: **﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾**، وقال: **﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾**.

فبيّن الفرق بينه وبين خلقه*، فان من عادة الناس أن يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه*، فيسأله ذلك الشافع فيقضي حاجته، إما رغبة وإما رهبة وإما حياء وإما غير ذلك*، فالله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع*، فلا يفعل الا ما يشاء، وشفاعة الشافع عن اذنه والأمر كله لله*، فالرغبة يجب أن تكون اليه، كما قال تعالى: **﴿فاذا فرغت فانصب* والى ربك فارغب﴾**، والرهبة تكون منه، قال تعالى: **﴿واياي فارهبون﴾**، وقال: **﴿فلا تخشوا الناس واخشون*﴾**، وقد أمرنا أن نصليَ على النبي ﷺ في الدعاء، وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا.

وقول كثير من الضلال هذا أقرب الى الله مني وأنا بعيد منه*، لا يمكن

أن ندعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك*، هو من قول المشركين، والله تعالى يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان*﴾. وقد روى أن الصحابة رضي الله عنهم، قالوا: يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه*، أم بعيد فنناديه*، فنزلت الآية.

وقد أمر الله العباد كلهم بالصلاة*، ومناجاته، وأمر كلاً منهم أن يقول: ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾.

ثم يقال لهذا المشرك، أنت اذا دعوت هذا، فان كنت تظن أنه أعلم بحالك*، أو يقدر على سؤالك*، أو أرحم بك من ربك*، فهذا جهل وضلال وكفر*، وان كنت تعلم أن الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم*، فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره*، وان كنت تعلم أنه أقرب الى الله منك وأعلى منزلة عند الله منك*، فهذا حق أريد به باطل*، فانه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة*، فان معناه أن يثيبه ويعطيه*، ليس معناه أنك اذا دعوته كان الله عند قضاء حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوته أنت، فانك ان كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء، فالنبي والصالح لا يعين على ما يكره الله، ولا يسعى فيما يبغضك اليه، وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول منه، فإن قلت هذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب اذا دعوته أنا.

فهذا القسم الثاني*، وهو أن يطلب منه الفعل، ولا يدعوه*، ولكن يطلب أن يدعو له*، كما يقال للحي*، أدع لي، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء*، فهذا مشروع في الحي*، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم، فلم يشرع لنا أن نقول أدع لنا وأسأل لنا ربك ونحو ذلك*، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة ولا التابعين*، ولا أمر به أحد من

الأئمـة*، ولا ورد في ذلك حـديث* بـل الـذي ثبت في الصحيـح أنهم لمـا أجدبوا زمن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما*، فقال اللهم انا كنا اذا أجـدبنا نتـوسل اليـك بنبينا فتسقينـا* وانا نتـوسل اليـك بعم نبينا فـاسقنا* فيسقون* فلم يجيئوا الى قبر النبي ﷺ قائلين: يا رسـول الله أدع الله لنا، أو استقي لنـا ونحن نشكو اليـك مـا أصـابنـا ونحـو هـذا، ولم يقله أحـد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل كـانوا اذا جاءوا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه، ثم اذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبـلي القبر، بل ينحرفون فيستقبلون القبلة*، ويدعون الله وحده لا شريك لـه*، كما كانوا يدعونه في سائر البقاع.

وفي الموطأ وغيره أن النبي ﷺ قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبـد*، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد*.

وفي السنن أيضاً أنه قال: لا تتخذوا قـبري عيداً*، وصلوا عـليّ حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني*، وفي الصحيح أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه*، لعن الله اليهود والنصـارى اتخذوا قبـور أنبيائهم مسـاجد*، يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها*، ولـولا ذلك لأبـرز قبره لكن خشي أن يتخذ مسجداً*.

وفي سنن أبي داود عنه، أنه قال: لعن الله زوارات القبور*، والمتخذين عليها المساجد والسّرج.

ولهذا قال العلماء لا يجوز بناء المساجد عـلى القبور، وقـالوا إنـه لا يجوز أن ينـذر لقبر ولا للمجـاورين عند القـبر، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك كله نذر معصيـة، ولم يقل أحـد من أئمة المسلمـين أن الصلاة عند القبور في المساجد مستحبة، ولا الـدعاء هنـاك أفضل، بـل

اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد وفي البيوت أفضل من الصلاة عند قبر، لا قبر نبي ولا صالح سواء سميت مشاهد أم لا، وقد شرع الله ذلك في المساجد دون المشاهد.

وقال: ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها**﴾، ولم يقل في المشاهد، وقال تعالى: ﴿**قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد**﴾، وقال تعالى: ﴿**انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**﴾.

وذكر البخاري في صحيحه، والطبري وغيره في تفاسيرهم في قوله تعالى: ﴿**وقالوا لا تَذَرُنّ آلهتكم ولا تَذَرُنَّ ودّاً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾*، وقالوا هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم*، ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصناماً*، فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها، هو أصل الشرك وعبادة الأوثان*.

ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ، أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين*، فانه لا يتمسّح به ولا يقبله، وليس في الدين ما شرع تقبيله الا الحجر الأسود*.

وقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: والله اني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع*، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك*.

ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ركني البيت اللذين يليان الحجر ولا يستلمهما، ولا مقام ابراهيم، ولا صخرة بيت المقدس*، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين، انتهى.

وقال رحمه الله في الرد على البكري بعد كلام له سبق*، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعائه، سبباً في الأمور التي لا يقدر عليها الا الله*، ومن الذي قال إنك اذ استغثت بميت أو غائب من البشر نبياً كان أو غير نبي*، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله*، ومن الذي شرع ذلك وأمر به*، ومن الذي فعل من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان*، فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين*.

إحداهما أن هذه أسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها الا الله*، والثانية أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها*، فإنه ليس كلما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه*، الى أن قال*، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمراً*، فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً أو غائباً*، وأن يستغيثوا به سواء كان ذلك عنده قبره أم لم يكن عند قبره*، بل نقول سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبي، من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين*، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين* فان أحداً منهم ما كان يقول اذا نزلت به شدة أو عرضت له حاجة لميت*، يا سيدي فلان أنا في حسبتك أو أقض حاجتي*، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين*، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته*، ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم، ولا اذا بعدوا عنها*، بل ولا أقسم بمخلوق على الله أصلاً*، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الأنبياء*، ولا الصلاة عندها وقد كرّه العلماء كمالك وغيره، أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه*، وذكروا أن هذا من البدع

التي لم يفعلها السلف*، وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال: قبر (معروف) الترياق المجرب*، وقول بعضهم فلان يدعى عند قبره*، وقول بعض الشيوخ اذا دعت حاجة فاستغث بي*، أو قال استغث عند قبري ونحو ذلك*، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم*، ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الاسلام بعد القرون المفضلة*، وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد*، محدثة في الاسلام*، والسفر اليها محدث في الاسلام*، لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة، بل ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد*، يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها، ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجداً*.

وثبت في الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس، أن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجداً، الا، فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك*، وقد تقدم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس، فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك نبيِّنا فتسقينا*، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون*، فلم يذهبوا الى القبر ولا توسلوا بميت، ولا غائب، بل توسلوا بالعباس*، وكان توسلهم به توسلاً بدعائه كالامام مع المأموم، وهذا تعذر بموته.

فأما قول القائل عن ميت من الأنبياء والصالحين اللهم اني أسألك بفلان*، أو بجاه أو بحرمة فلان*، فهذا لم ينقل لا عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة ولا التابعين، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز فكيف يقول القائل للميت أنا استغيث بك واستجيرك وأنا في حسبك أو سل الله لي ونحو ذلك.

فتبيّن أن هذا ليس من الأسباب المشروعة لو قدر أن له تأثيراً، فكيف

اذا لم يكن له تأثير صالح، وذلك ان من الناس الذين يستغيثون بغائب، أو ميت من تتمثل له الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمته وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه كما تفعل شياطين الأصنام*، فان أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته اذ هو ينهى عن ذلك*، وأما بعد الموت، فهو لا ينهى، فيفضي ذلك الى اتخاذ قبره وثناً يعبد*.

ولهذا قال النبي ﷺ، لا تتخذوا قبري عيداً الى آخره، وقال اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد*.

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم﴾ الآية، ان هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، ولهذا المعنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد، انتهى.

وأخرج ابن ابي شيبه عن الزبير أنه رأى قوماً يمسحون المقام فقال*، لم تؤمروا بهذا، انما أمرتم بالصلاة عنده، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة، في قول الله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى*﴾، قال: انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه*، ولقد تكلفت هذه الأمّة أشياء ما تكلفته الأمم قبلها*.

فان كان المعترض يستدل بكلام شيخ الاسلام، فهذا صريح كلامه المؤيد بالأدلّة والبراهين*، وكلام العلماء كمثل كلام الشيخ في هذا المعنى كثيرٌ جداً، ولو ذكرناه لطال الجواب*، وأما قول المعترض، بل مدح الصرصري واثنى عليه بقوله: قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور.

فالجواب: أن هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره،

وقد كذب على الاقناع والشفا، وليس في الكتابين الا ما يبطل قوله، وفي الحديث ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى*، اذا لم تستح فاصنع ما شئت*، والا فكلام شيخ الاسلام في رد ما يقوله الصرصري وانكاره موجود بحمد الله*، قال رحمه الله، في رده على ابن البكري بعد وجهين ذكرهما*.

الثالث: أنه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به وهذا جائز في حياته لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والممات، وهذا ما علمته ينقل عن أحد العلماء، ولكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة*، وكمحمد بن النعمان، وهؤلاء لهم دين وصلاح لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام*، وليس معهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي*، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس، بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد*، ويدعوه وأكثرهم من يأتي الى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده*، وهؤلاء ليس لهم مستند شرعي من كتاب الله أو سنّة رسوله أو قول عن الصحابة والأئمة، وليس عندهم الا قول طائفة أخرى*، قبر معروف ترياق مجرب*، والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ونحو ذلك*، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء*، وقضى بعض تلك الحوائج*، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين أو الكواكب والأوثان، فان الشياطين كثيراً ما تتمثل لهم فيرونها*، وانها قد تخاطب أحدهم ولا يراها*، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال*، وكلّما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً، كانت هذه الأحوال الشيطانية عندهم أكثر*، وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو لباس أو غير ذلك، وهو لا يرى أحداً أتاه به فيحسب ذلك كرامة*، وانما

هو من الشيطان، وسببه شركه بالله*، وخروجه عن طاعة الله ورسوله الى طاعة الشيطان، فأضلتهم الشياطين بذلك*، كما كانت تضل عباد الأصنام، انتهى ما ذكره شيخ الاسلام رحمه الله*، من انكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الأمور الشركية وبيّن أسبابها.

وأما قول المعترض وفيه توسل عظيم، ان لم يزد على قول صاحب البردة لم ينقص عنه.

فالجواب: ان هذا من عدم بصيرته وكبير جهله*، فان من له أدنى معرفة وفهم، يعلم أن بين قول صاحب البردة وقول الصرصري في أبياته تفاوتاً بعيداً، فقد نبهنا على ما يقتضيه كلام صاحب البردة من قصر الهية والربوبية والملك*، وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته، ودعوة الخلق الى عبادته وحده، وجهاد الناس على ذلك، وبلّغ الأمّة ما أنزله الله تعالى عليه في الآيات المحكمات، في تجريد التوحيد*، والنهى عن الشرك ووسائله كما قدمنا الاشارة اليه.

وأما الصرصري، ففي كلامه التوسل بالنبي ﷺ، والاستغاثة به بلا قصر ولا حصر للاستغاثة، والاستعانة في جانب المخلوق وقد أنكره شيخ الاسلام رحمه الله*، وذكر أنه لا دليل من كتاب ولا سنّة عليه ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة.

وقد بيّن رحمه الله أن استغاثة الحي بالحي انما هي بدعائه وشفاعته*، وأما الميت والغائب فلا يجوز أن يستغاث به وكذلك الحي فيما لا يقدر عليه الا الله، وان أهل الاشراك ليس معهم الا الجهل والهوى*، وعوائد نشأوا عليها بلا برهان*، وقد عرفت أن هذا المعترض لم يأت الا بشبهات واهية*، وحكايات سفسطائية أو منامات تضليلية، كما قال كعب بن زهير.

فلا يغرّنك ما منّت وما وعدت ان الأمانيَ والأحلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين الا دعوى مجردة محشوة بالأكاذيب، وليس معهم بحمد الله دليل من كتاب أو سنّة أو قول واحد من سلف الأمّة وأئمتها*، وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنّة*، وما عليه الصحابة والأئمة*، ولو استقصينا ذكر الأدلة وبسط القول لاحتمل مجلداً ضخماً*.

وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي واختيارها على قصائد شعراء الصحابة كحسان بن ثابت*، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم*، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة ما لم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عشر المعشار*، وما ذاك الا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد الى ما يكرهه الله ورسوله*، فزينها الشيطان في نفوس الجهال والضلال* فمالت اليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها الا الحق والصدق*، وما قصروا فيها جهدهم عمّا يصلح أن يمدح به رسوله ﷺ*، وتحروا فيها ما يرضيه وتجنبوا ما يسخطه ﷺ*، وما نهى عنه من الغلو*، فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفا ابن عقيل وهو في القرن الخامس*، لما صعبت التكاليف على الجهال الطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم*، اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم.

قال وهم عندي كفّار بهذه الأوضاع الى آخره ومما يتعين ان نختم به هذا الجواب.

فصل: ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله ونفعنا بعلومه، قال بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور وأن مقصودها ثلاثة أشياء.

أحدها تذكير الآخرة والاعتبار والاتعاظ*، الثاني الاحسان الى الميت وأن لا يطول عهده فيتناساه*، فاذا زاره أو أهدى اليه هدية من دعاء أو صدقة*، ازداد بذلك سروره وفرحه*، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة*، وسؤال العافية فقط*.

ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم*.

الثالث احسان الزائر الى نفسه باتباع السنّة والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ*، وأما الزيارة الشركية*، فأصلها مأخوذ من عباد الأصنام*، قالوا الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله*، لا يزال تأتيه الالطاف من الله*، وتفيض على روحه الخيرات*، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها*، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها*، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء على الجسم المقابل له*.

قالوا فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت*، ويعكف بهمته عليه*، ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره*، وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم*، كان أقرب الى الانتفاع به*، وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي*، وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها*، وهذا بعينه هو الذي أوجد لعباد القبور اتخاذها أعياداً وتعليق الستور عليها*، وايقاد السرج وبناء المساجد عليها*، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية*، وسد الذرائع المفضية اليه*، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده*، وكان رسول الله ﷺ في شق، وهؤلاء في شق*، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها*، وتشفع لهم عند الله قالوا فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله*، وتوجه بهمته اليه وعكف

بقلبه عليه*، صار بينه وبينه اتصال يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله*، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان*، وهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان*، من الانعام والأفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به*، فهذا سرّ عبادة الأصنام*، وهو الذي بعث الله رسله*، وأنزل كتبه بإبطاله*، وتكفير أصحابه*، ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم*، وسبى ذراريهم وأوجب لهم النار*، والقرآن من أوله إلى آخره مملوءٌ من ردٍّ على أهله وابطال مذهبهم.

قال الله تعالى: **﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون*، قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون*﴾**.

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده*، وهو الذي يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه*، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له*، والذي يشفع عنده انما يشفع باذنه وأمره*، بعد شفاعته سبحانه الى نفسه*، وهي ارادته من نفسه أن يرحم عبده*، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم*، وهي التي أبطلها الله سبحانه بقوله*: **﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة*﴾**.

وقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون*﴾**.

وقال تعالى: **﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع﴾**.

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه*، بل اذا أراد سبحانه

رحمته بعبده أذن هو لمن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿ما من شفيع الا من بعد اذنه *﴾، وقال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾.

فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه*، ولا الشافع شفيع من دونه*، بل يشفع باذنه*، والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور*، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له*، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له*، ويقول اشفع في فلان*، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيّد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد*، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه*، وهم الذين ارتضى الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾، وقال تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾*، فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضى قول المشفوع له*، واذنه للشافع* فأما المشرك فانه لا يرضاه ولا يرضى قوله*، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين*، رضاه عن المشفوع له واذنه للشافع*، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة.

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده فليس لأحد معه من الأمر شيء*، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون*، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه*، ولا يفعلون شيئاً الا من بعد اذنه لهم*، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً*، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره واذنه*، فاذا اشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظناً منه أنه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله*، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه*، فإن هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء*، حيث يتخذ الرجل

من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج *.

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بينهما، هو الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والسيّد والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به الى أحد قط والمحتاج من كل وجه الى غيره*، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم*، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم*، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس*، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم*، وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع*، لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فينتقص طاعتهم لهم*، ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم على الكره والرضا*.

فأما الذي غناه من لوازم ذاته*، وكل ما سواه فقير اليه لذاته*، وكل من في السموات والأرض عبيد له مقهورون لقهره مصرفون بمشيئته* لو أهلكهم جميعاً، لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة.

قال تعالى: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئاً، ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعاً، ولله ملك السموات والأرض**﴾، قال في سيدة آي القرآن آية الكرسي: ﴿**له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه**﴾.

وقال تعالى: ﴿**قل لله الشفاعة جميعاً، له ملك السموات والأرض***﴾، فأخبر أن ملكه السموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده، وأن أحداً لا يشفع عنده الا باذنه*، فانه ليس بشريك بل مملوك محض*،

بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض.

فتبيّن أن الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض*، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هي المعروفة عند الناس ويقيدها تارة بأنها لا تنفع الا باذنه*، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه*، فانه الذي أذن، والذي قبل، والذي رضي عن المشفوع*، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة*، وقوله فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته*، ولا يشفع فيه*، ومتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوّه ومخوفه الذي يتقرب اليه وحده*، ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه*، هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له.

قال تعالى: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله*، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**.

فبيّن سبحانه أن متخذي الشفعاء مشركون*، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم*.

وسر الفرق بين الشفاعتين أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده لا خلقاً ولا أمراً ولا اذناً*، بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الأسباب، وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجله ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه وقد يكون عنده ما يخالفه*، كمن يشفع اليه في أمر يكرهه*، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض فيقبل شفاعة الشافع*، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع*، فيردها*، وقد يتعارض عنده الأمران*، فيبقى مترددا بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد، وبين

الشفاعة التي تقتضي القبـول*، فيتوقف الى أن يـترجح عنـده أحد الأمـرين بمرجح*، وهذا بخلاف الشفـاعة عنـد الرب سبحـانه وتعـالى فانـه لم يخلق شفاعة الشافع، ويأذن له فيها ويحبها منـه ويرضى عن الشـافع*، لم يكن أن توجد، والشافع لا يشفع عند بمجرد امتثال أمـره وطاعتـه له*، فهـو مأمـور بـالشفاعـة مطيـع بامتثـال الأمر*، فـانّ أحداً من الأنبيـاء والملائكـة وجميـع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله وخلقه*.

فـالرب تعـالى هو الـذي يحـرك الشفيـع حتى يشفـع*، والشفيـع عنـد المخلوق هو الذي يحـرك المشفوع اليـه حتى يقبل*، والشـافع عنـد المخلوق مستغن عنـه في أكـثر أمـوره*، وهـو في الحقيقـة شريكـه ولـو كـان مملوكـه وعبده*، فالمشفوع عنده محتاج اليه فيما يناله من النفع والنصر والمعاونة وغـير ذلك*، كما أن الشافع محتاج اليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره*، فكل منهـما محتاج الى الآخـر*، ومن وفقه الله لفهم هـذا الموضـع تبينّ لـه حقيقـة التوحيد والشرك*، والفرق بين ما أثبت الله من الشفاعـة وما نفـاه وأبطله، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور*﴾، ومن لـه خبرة بمـا بعث الله به رسـوله*، وبمـا عليه أهـل الشرك والبدع اليـوم علم أن بـين السلف وبـين هؤلاء الخلوف أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء، والسلف على شيء، كما قيل: -

سـارت مشرّقـة وسرت مـغـرّبـا　　　شـتّـان بـين مشرّق ومـغـرّب

والأمـر والله أعظم ممـا ذكرنـا، انتهى. وبه كمـل الجواب والحمـدلله الذي هدانا لدينه الذي رضيه لعباده وما كنـا لنهتدي لـولا أن هدانـا الله*، وصلى الله على محمد النبي الأميّ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً جزيلاً وفيـاً وافراً.

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

. . . .

الحمدُ لله رب العالمين، وبه العون على إبطال زُخْرفِ المُلحدين، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ولا ندّ له ولا مُعين.

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين يُحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وعلى أتباعهم الذين شهدوا لله بالوحدانية ولرسوله بالبلاغ المُبين وسلَّم تسليماً.

أمَّا بعدُ:

فاعلم أيُّها الطالبُ للهدى المتباعد عن أسباب الضلال والرَّدى، أني رأيتُ ورقةً لبعض الناكبين عن الحق المُبين، المعرضين عن توحيد ربِّ العالمين[2]، فإذا هي مُفصحةٌ عن ضلال مفتريها، معلنة بفساد طوية مُنشيها ومتلقّيها؛ مع تناقضها وبشاعة ما فيها، فتارةً تراه سائلاً مُسترشداً، وتارة مُفتياً مُضللاً مُفنداً، لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري؛ فعزمتُ على أنْ أعرض ورقته على بعض أصحابنا الذين لهم مَلَكةٌ في معرفة العلوم، ولهم بصرٌ ناقد وفهم مُستقيم في تمييز الصحيح من السقيم؛ لأكتفي بهم في ردّ ذلك الزيغ والضلال

---

(١) في الأصل: بسم الله الرحمن الرحيم، قال شيخَنا عبد الرحمن بن حسن قدَّس الله روحه.

(٢) هو أحمدُ بن علي بن أحمد بن سُليمان المرائي؛ كما نص على ذلك المؤلف في آخر الورقة ١٠/ ب من هذا الكتاب.

والكذب المحال[1]، على طريق التفصيل تارة والاجمال. وهذا الرجل وإنْ كان من أجهل العوام فإنَّه يحاول بسجعه نقضَ عُرى الاسلام.

ثم إني عزمتُ على نقض ما بناه من ذلك [الباطل][2] على استفراغ وسْعٍ واستمهال، وذلك أولى من الترك والاهمال.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

فأخذتُ في ردِّ قوله مُستعيناً بربنا العظيم [١/أ] مستعيذاً بالله من شرِّ مُتبعي خَطوات الشيطان الرجيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل على من صدَّ الناس عن سواء السبيل.

قال محمَّد بن نصر: حدثنا اسحاق، أنبأنا عبد الرحمن بن مهدي، عن حمَّاد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: خطّ لنا رسولُ الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيلُ الله» ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وشماله، وقال: (هذه سُبل وعلى كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه) وقرأ: ﴿**وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه**﴾ [سورة الأنعام / ١٥٣] الآية[3].

قلتُ: وهنا بليةٌ ينبغي التنبيهُ عليها قبل الشروع في المقصود، وهي: أنَّ الكثير من أهل هذه الأزمنة وقبلها قد غرَّهم من أنفسهم أمران، أحدهما:

أنهم إنْ أحسنوا القول رأوه كافياً ولو ضيّعوا العمل وارتكبوا النقيض. وما عرفوا قولَ الصَّادق المصدوق ﷺ في الخوارج «يقولون من خير قول البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[4].

وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يذمُّ ويمقت من يقول ولا يفعل ومن يخالف

---

(١) الأصل: والمحال.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) محمد بن نصر المروزي في السنة رقم ١١، وأخرجه أحمد في المسند ١/٤٣٥، ٤٦٥، والطبري في التفسير رقم ١٤١٦٨ وأبو نعيم في الحلية ٦/٢٦٣ والحاكم في المستدرك ٢/٣١٨ وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح رقم ٣٦١١ ومسلم في الصحيح رقم ١٠٦٦ وأحمد في المسند ١/١٣١ من حديث علي.

قـولُه فعلَه، كقـولـه تعـالى: ﴿كـبُر مقتاً عنـد الله أنْ تقـولـوا مـا لا تفعلون﴾ [الصف / ٣] وكقوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قـالوا آمنـا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنَّا معكم إنما نحنُ مُستهزؤن﴾ [البقـرة / ١٤]، وقد ورد: ليس الايمانُ بالتحلّي ولا بالتّمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدَّقته الأعمال[1].

الأمرُ الثاني: أنَّ الأكثر ظنوا أنَّ انتسابهم إلى الاسلام ونطقَهم بالشهـادتين عـاصمٌ للدم والمال وإنْ لم يعملوا بمدلول لا إلـه إلاَّ الله من نفي الشرك وتركه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى كالدعاء والرَّجاء والتوكل وغير ذلك. ولم يعرفوا معنى قـول الله تعالى: ﴿فـاعبد الله مخلصـاً له الـدين * ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر /٢ ـ ٣] وقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلاَّ ليعبدوا الله مخلصين لـه الدين حنفاء ويقيمـوا الصلاة ويؤتـوا الزكـاة وذلك دين القيمـة﴾ [البينة / ٥] وقوله: ﴿فإنْ تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [التوبة / ٥].

فإنَّ قوله: ﴿مخلصاً﴾ حالٌ من ضمير الفـاعل المستـتر في قولـه: ﴿فاعبـد الله﴾ أي [١/ ب]: حالة كونك مُخلصاً له الأعمال الباطنة والظاهرة، وكذلك في قوله: ﴿مُخلصين﴾ حالٌ من الضمير البارز في قوله: ﴿إلاَّ ليعبـدوا﴾ أي: حالـة كونهم مُخلصين له إرادتهم وأعمالهم دون كلّ من[2] سواه، ولهذا قال: ﴿حُنفاء﴾ والحنيف هـو: الموحِّـدُ المقبلُ علـى الله، المعرض عن كـل ما سـواه. وهـذا هـو التوحيد الذي خُلقوا له وبَعثَ الله به رُسله وأنزل به كتبه.

يُقرر ذلك: ما أخبر بـه عن قوم هـودٍ لمَّا قـال لهم: ﴿يا قـوم اعبدوا الله مـا لكم من إلهٍ غيرُه أفلا تتقون﴾ [الأعراف / ٦٥] فأجابوا ذلـك، بقولهم: ﴿أجئتنـا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ [الأعراف / ٧٠]

وفي قصة صالح لما قال لقومه: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرُه﴾ ﴿قالوا يا صالحُ قد كُنت فينا مرجوّاً قبل هذا اتنهانا أنْ نعبدَ ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شكٍ مما تدعونا إليه مُريب﴾ [هود / ٦١، ٦٢]، وكما قال قومُ شُعيب: ﴿يا شعيب أصلاتك تأمرك أنْ نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود / ٨٧].

---

(١) أخرجه الخطيبُ البغدادي في اقتضاء العلم العمل رقم ٥٦ من كلام الحسن البصري.

(٢) (ط): ما.

فلا إله إلاَّ الله ما أشبه حال الأكثرين من هذه الأمة بحال تلك الأمم؛ لما دُعوا إلى هذا التوحيد الذي هو أصلُ دين الاسلام، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد ديناً سواه، وبه أرسل جميع الرسل وأنزل به جميع الكتب؛ كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء / ٢٥] وقال تعالى: ﴿كتابٌ أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدُن حكيمٍ خبير * أنْ لا تعبدوا إلاَّ الله إنني لكم منه نذير وبشير * وأنْ استغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمًّى ويؤتِ كل ذي فضل فضله وان تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ [هود / ١ - ٣].

إلى أمثال هذه الآيات. وقد صحَّ أنّ رسول الله ﷺ لما قال لقومه: قولوا لا إله إلاَّ الله تُفلحوا، قالوا: ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عجاب﴾[1] [ص / ٥] كما هو مذكورٌ في القرآن العزيز.

فأيُّ دليلٍ أصرحُ وأوضح وأبين - من هذه [٢ / أ] الأدلة - على أنَّ الرسل من أولهم إلى آخرهم إنَّما بُعثوا بإخلاص العبادة لله تعالى، والنهي عن عبادة كلٍّ ما سواه. وهذا هو التوحيد الذي جحدته الأممُ، وهو الذي خلق الله له الخليقة من الثقلين؛ كما قال تعالى: ﴿وما خلقتُ الجن والإنسِ إلاَّ ليعبدون﴾ [الذاريات / ٥٦] قال عليٌّ رضي الله عنه - في معنى هذه الآية -: إلاَّ لآمرهم أن يوحِّدون.

وقد عرفتَ أنَّ هذا هو أصلُ الدين الذي هو أساس الملة، قال تعالى: ﴿قُل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلُ كان أكثرهم مُشركين * فأقم وجهك للدين القيِّم من قبل أن يأتي يومٌ لا مردَّ له من الله يومئذ يصَّدَّعون﴾ [الروم / ٤٢، ٤٣] وقال تعالى: ﴿وإذْ قال ابراهيمُ لأبيه وقومه إنني براءٌ مما تعبدون * إلاَّ الذي فطرني فإنّه سيهدين * وجلعها كلمةً باقية في عَقبه لعلهم يرجعون﴾ [الزخرف / ٢٦، ٢٧، ٢٨] أي: إلى[2] لا إله إلاَّ الله.

والخليلُ عليه السلام أتى بمضمون هذه الكلمة، بقوله: إنني براءٌ مما تعبدون إلاَّ الذي فطرني. وأبدى سبحانه وتعالى وأعاد في هذا الكتاب المجيد، في النهي عن الشرك

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٢٣/ ١٢٥ عن ابن عباس، وأصلُه عند أحمد في المسند ٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١ من حديث ربيعة بن عبَّاد الديلي.

(٢) (ط): إلى. ساقطة.

المنافي لهذا التوحيد، وأفصح عن كفرِ فاعله وأسجل عليه بالوعيد الشديد، فقال: ﴿ومن أضلُّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيبُ له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ إلى قوله: ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ [الأحقاف / ٥ - ٦] وقال تعالى: ﴿إنْ تَدْعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ [فاطر / ١٤].

وقال تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإنْ فعلت فإنَّك إذاً من الظالمين﴾ [يونس / ١٠٦] وقال تعالى: ﴿فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذَّبين * وانذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء / ٢١٣، ٢١٤] وقال تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا بُرهان له به فإنما حسابُه عند ربه إنَّه لا يُفلح الكافرون﴾ [المؤمنون / ١١٧].

وقال تعالى: ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفَّونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلُّوا عنَّا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ [الأعراف / ٣٧] وقوله: ﴿ثمَّ قيلَ لهم أينَ ما كُنتم تُشركون * من دون الله قالوا ضلُّوا عنَّابلْ لم نكن ندعوا [٢ / ب] من قبلُ شيئاً﴾ [غافر / ٧٣، ٧٤] وغير ذلك من الآيات.

فأيُّ بيان أوضحُ من هذا في تعريف الشرك الذي حرَّمه الله وأخبر أنَّه لا يغفره. وهذا لا يختصُّ بالدعاء، بل كلُّ نوعٍ من أنواع العبادة صرفُه لغير الله شركٌ عظيم.

والتحقيقُ أن الدعاء نوعان: دعاءُ مسألة، ودعاءُ عبادة. وكلا النوعين لا يجوز[1] إلاَّ لله، وصرفُه لغير الله شرك؛ كما سبق بيانه في الآيات المحكمات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام / ١٦٢] والصلاةُ هنا: تشمل الصلاة الشرعية واللغوية التي هي الدعاء؛ كما هو مذكورٌ في كُتب التفسير.

وفي حديث ابن عباس «وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[2] وفيه معنى ﴿أيَّاك نعبدُ واياك نستعين﴾.

---

(١) (ط): لا يجوز صرفه.

(٢) قطعة من حديث أخرجه الترمذي في الجامع رقم ٢٥١٨ وقال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد في المسند ١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، وأفرده الحافظ ابن رجب برسالة قيمة سماها =

وقال تعالى: ﴿**فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه**﴾ [العنكبوت / ١٧] وهذا من عطف العام على الخاص. وقال تعالى: ﴿**فإياي فارهبون**﴾ [النحل / ٥١] ﴿**وإياي فاعبدون**﴾ [العنكبوت / ٥٦] ﴿**وإياي فاتقون**﴾ [البقرة / ٤١].

كما قال تعالى: ﴿**وإلى ربك فارغب**﴾ [الشرح / ٨] وقال: ﴿**فصلِّ لربك وانحر**﴾ [الكوثر / ٢] وتقديمُ المعمول في هذه الآيات يفيدُ الحصر، أي: لا غيري، وقال تعالى: ﴿**فلا تخشوا الناس واخشون**﴾ [المائدة / ٣] وقال: ﴿**فلا تخافوهم وخافون**﴾ [آل عمران / ١٧٥].

وهذه الآياتُ وما في معناها: تدلُّ على أنَّ الله تعالى إنَّما أراد من عباده أنْ يوحِّدوه بأعمالهم وأنْ لا يجعلوا له شريكاً في العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿**قل إنَّما أنا بشرٌ مثلُكم يوحى إليّ أنَّما إلهكم إلـهٌ واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ [فصلت / ٦] وقال: ﴿**إنني أنا الله لا إله ألاَّ أنا فاعبُدني وأقم الصَّلاة لذكري**﴾ [طه / ١٤] وقال موسى عليه السلام لبني إسرائيل لـمَّا عبدوا العجل ﴿**إنما إلهكم الله الذي لا إله إلاَّ هو وسعَ كلَّ شيء علماً**﴾ [طه / ٩٨].

وقال تعالى: ﴿**إنَّ إلهكم لواحد * رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق**﴾ [الصافات / ٤ ـ ٥] وقال: ﴿**قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أمْ لهم شركٌ في السموات اتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إنْ كنتم صادقين**﴾ [فاطر / ٤٠] وقال تعالى: ﴿**وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ [الجن / ١٨] [٣ / أ].

وقال تعالى: ﴿**وإنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإنْ أطعتموهم إنكم لمشركون**﴾ [الأنعام / ١٢١] وهذا هو الشركُ في الطاعة؛ كما قال تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم**﴾ [التوبة / ٣١] فذكر في هذه الآية الشرك في الطاعة والشرك في الألوهية، وهذا بيِّنٌ من حديث عديّ بن حاتم رضي الله عنه[1].

= نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس، مطبوعة ولديَّ منه نسخة خطية جيدة، كما شرحه ضمن كتابه الحافل جامع العلوم والحكم ص ١٣٢.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع رقم ٣٠٩٤، وحسَّنه في بعض النسخ، وابن جرير في التفسير رقم ١٦٦٣٢ وابن أبي شيبة في المصنف ١٣/٤١١، وانظر بقية التخريج في كتاب الانتصار ٣٤.

وأمَّا الربوبية فقد أقرَّ بها أكثرُ المشركين من الأمم أعداء الرسل، وهذا مُبينّ في قصص الأنبياء؛ كما في سورة الأعراف، وهود، والشعراء، وغير ذلك.

والخصومةُ بينهم وبين الأمم إنَّما هي فيما بُعثوا به إليهم: من النهي عن الشرك في العبادة كالمحبة والدعاء والتوكل والرجاء وغير ذلك، وعن الشرك في الطاعة: وهو إيثارُ ما عليه الأسلاف، والاعتماد على ما قالوه مما يخالفُ شرع الله وأحكامه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار» رواه البخاري[1]؛ ولمسلم عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلاَّ الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُم مالُه ودمه وحسابه على الله»[2].

قال شيخُنا رحمه الله تعالى: وهذا من أعظم ما يُبينّ معنى لا اله إلاَّ الله؛ فإنَّه لم يجعل التلفُّظ بها عاصماً للدم والمال، بَلْ ولا معرفة معناها مع التلفظ بها بَلْ ولا الاقرار بذلك، بَلْ ولا كونه لا يدعو إلاَّ الله وحده. حتى يُضيف إلى ذلك الكفرَ بما يُعبد من دون الله؛ فإنْ شكَّ أو تردد لم يحرُم ماله ودمه. فيا لها من مسألةٍ ما أجلَّها، ويا له من بيان ما أوضحَه وحُجةٍ ما أقطعها للمنازع[3].

وكلامُ العلماء في بيان هذا التوحيد وتقريره وبيانِ ما وقع فيه الأكثر من الشرك وعبادة الأوثان، أكثرُ من أن يُحصى. ونذكرُ طرفاً منه:

قال شيخُ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرِّسالة السنية - لما ذكر الخوارج ومروقهم من الدين [٣ / ب] - : فإذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه من انتسب إلى الاسلام ومرق منه مع عبادته العظيمة فليُعلم أنَّ المنتسبَ إلى الاسلام في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً، وذلك بأسباب، منها: الغلوّ الذي ذمَّه الله في كتابه حيث قال: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ [المائدة / ٧٧] الآية. وعليٌّ رضي الله عنه حرَّق الغالية، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كِنْدة فقذفهم فيها، واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم. وكذلك الغلوّ

---

(١) البخاري في الصحيح رقم ١٢٣٨، ٤٤٩٧، ٦٦٨٣. وأخرجه أحمد في المسند ١/٣٧٤، ٤٢٥، ٤٦٢، ٤٦٤.

(٢) مسلم في الصحيح رقم ٢٣.

(٣) كتاب التوحيد الباب الخامس المسألة الخامسة ٢٦ (القسم الأول بمجموعة المؤلفات العقيدة).

في بعض المشايخ، بل الغلوّ في علي بن أبي طالب، بل الغلوّ في المسيح ونحوه. فكلُّ من غلا في نبيٍ أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية، مثل أنْ يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو اغثني أو ارزقني أو اجبرني أو أنا في حسبك! ونحو هذه الأقوال. فكلُّ هذا شركٌ وضلال يُستتاب صاحبه فإنْ تاب وإلاَّ قُتل؛ فإنَّ الله تعالى إنَّما أرسل الرسل ليعبدوه وحده، لا يجعلوا معه إلهاً آخر.

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى ـ مثل المسيح والملائكة والأصنام ـ لم يكونوا يعتقدون أنَّها تخلُق الخلائق أو تُنزل المطر وتُنبت النبات، وإنَّما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم، ويقولون: ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا إلى الله زُلفى، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. فبعث الله رسوله ينهى أنْ يُدعى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاءَ استعانة؛ فقال تعالى: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾ [الاسراء ٥٥ ـ ٥٧]. وقال طائفةٌ من السلف: كان أقوامٌ يدعون المسيح وعزيرا والملائكة.

إلى أن قال: وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين، وهو[1] التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكُتب، قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كلِّ أمةٍ رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ [النحل / ٣٦] وقال ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلاَّ نوحي إليه أنه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون**﴾ [الأنبياء / ٢٥] وكان رسول الله ﷺ يحقق التوحيد ويعلِّمه أمته [٤ / أ] حتى قال له رجلٌ: ما شاء الله وشئت، قال: «اجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده»[2] وقال: «لعن الله اليهودَ والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذِّر ما فعلوا. وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» وقال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم»[3].

---

(١) (ط): وهي.

(٢) أخرجه ابن ماجة في السنن رقم ٢١٣١ وأحمد في المسند ١/٢١٤، ٢٨٣، ٣٤٧ والبخاري في الأدب المفرد رقم ٧٨٣ واللفظ له، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت رقم ٣٤٥ والطبراني في الكبير رقم ١٣٠٠٥، وانظر بقية التخريج في كتاب فتح المجيد، يسَّر الله نشره.

(٣) انظر تخريجها في كتاب فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد.

ولهذا اتفق أئمةُ الإسلام على أنَّـه لا يشرعُ بنـاء المساجـد على القبـور ولا الصلاة عندها، وذلك لأنَّ من أكبر أسباب عبـادة الأوثان كـان تعظيمُ القبـور. واتفق العلماءُ من السَّلف أهل السنة والجماعة أنـه من سلَّم على النبي ﷺ عنـد قبره أنَّه لا يتمسَّح بحُجرتـه ولا يُقبِّلها، لأنـه إنَّما يكـون لأركان بيت الله، فـلا يُشبَّه بيتُ المخلوق ببيت الخالق.

كلُّ هذا: لتحقيق التوحيد الذي هو أصلُ الدين ورأسهُ، الذي لا يقبل الله عمـلاً إلاَّ به ولا يغفـر لمن تركه؛ كما قـال تعالى: ﴿إنَّ الله لا يغفـر أنْ يُشرك به ويغفـر مـا دون ذلـك لمن يشـاء ومن يُشرك بـالله فقـد افـترى إثـماً عـظيـماً﴾ [النساء / ٤٨]، ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضلَ الكلام وأعظمه. فأعظمُ آيةٍ في القـرآن آيـة الكـرسي ﴿الله لا إلـه إلاَّ هـوَ الحي القيوم﴾ [البقـرة / ٢٥٤] وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلاَّ الله دخـل الجنة»[1] والإلـه: هو الذي يـألهه القلب عبـادةً له واستعـانة بـه ورجاء لـه ومحبة وخشيـة وإجلالاً انتهى[2].

وقال العلاَّمـةُ ابنُ القيم رحمه الله تعـالى: وأمَّا الشرك فهـو نوعـان: أكبرُ وأصغر. فالأكبر: لا يغفره الله إلاَّ بالتوبـة منه. وهـو أن يتخذ من دون الله نـدا يحبـه كما يحبُّ الله، بـل أكـثرهم يحبـون آلهتهم أعـظم من محبـة الله ويغضبـون لمنتقصي معبوديهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحدٌ رب العالمين.

وقد شاهدنا هذا نحنُ وغيرُنا منهم جهرة، ويزعمون أنَّـه بابُ حـاجته إلى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عُباد الأصنام سـواء. وهذا القـدر هو الـذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون [٤ / ب] بحسب اختلاف آلهتهم من الحجر والبشر، قـال الله تعالى حـاكياً عن أسـلاف هؤلاء ﴿والذين اتخذوا من دون أوليـاءَ مـا نعبُدهم إلاَّ ليقرِّبونا إلى الله زُلفى إنَّ الله يحكم بينهم في مـا هم فيه يختلفـون إنَّ الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفَّار﴾ [الزمر / ٣] ومـا أعزّ من يتخلَّص من هـذا، بَلْ ما أعزّ من لا يُعادي من أنكره.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن رقم ٣١١٦ وأحمد في المسند ٥/٢٣٣ والحاكم في المستدرك ١/٣٥١ وصححه ووافقه الذهبي من حديث مُعاذ.

(٢) الوصيـة الكبرى للحافظ ابن تيمية ٣٥ ـ ٣٦، ٤٨ ـ ٥٦.

والـذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفِهم: أنَّ آلهتهم تشفعُ لهم عنـد الله، وهذا عينُ الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخـبر أنَّ الشفاعة كلَّها له.

وذكر: قولَ الله تعالى: ﴿قُل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقـالَ ذرةٍ في السموات ولا في الأرض وَمَـا لَهم فيهـما من شـركٍ ومـا لـه منهم من ظهير * ولا تنفعُ الشفاعةُ عنده إلاَّ لمن أذن له﴾ الآية [سبأ ٢٢، ٢٣].

ثم قال: والقرآن مملوءٌ من أمثالها، ولكنَّ أكـثر الناس لا يشعـرون بدخـول الواقع تحته، ويظنُّه في قوم قد خَلَوا ولم يعقبوا وارثاً. وهذا هـو الذي يحـولُ بين القلب وفهم القرآن؛ كما قال عمرُ بـن الخطاب رضي الله عنه: إنَّما تُنقض عُرى الاسلام عُروةً عروة إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية.

وهذا لأنه لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمَّه، فوقع فيه وأقره وهـو لا يعرف أنَّه الذي كان عليه أهلُ الجاهلية. فتُنقضُ بذلك عُرى الاسلام، ويعـود المعروفُ مُنكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفَّر الـرجلُ بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويُبدَّع بمتابعة الرسول ﷺ ومفارقة الاهـواء والبدع، ومن له بصيرةٌ وقلب حيٌّ يرى ذلك عياناً. والله المُستعان.

ثم قال: وأمَّا الأصغر فكيسير الرياء، والحلف بغير الله، وقولـه: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلاَّ الله وأنت، وأنا متـوكلٌ عـلى الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

قلتُ: [٥ / أ] فلما قال: وقد يكون أكبر. أخذ يُبين أنواع الأكبر، فقـال: ومن أنواعه النذر لغير الله، والتـوكل عـلى غير الله، والعمـل لغير الله، والانـابة لغير الله، والخضوع والذل لغير الله، وابتغاء الرزق من غيره، وإضافة نعمه إلى غيره.

ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثـة بهم والتوجـه إليهم. وهذا أصلُ شرك العالم. فإنَّ الميت قـد انقطع عمله، وهـو لا يملك لنفسه نفعـاً ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له عنـد الله؛ وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده. فإنَّ الله تعالى لا يُشفع عنده[1] إلاَّ باذنـه، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمالُ التوحيد.

---

(١) (ط): عنده أحد.

فجاء هذا المشرك بسببٍ بمنع الإذن، والميتُ محتاجٌ إلى من يدعو له كما أوصانا النبيُّ ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أنْ نترحَّم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة[1]. فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارةَ العبادة، وجعلوا قبورهم أوثانا تُعبد. فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعادات أهل التوحيد، ونسبتهم إلى التنقص بالأموات. وهم قد انتقصوا[2] الخالق بالشرك، وأولياءَه الموحدين بذمِّهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم. وهؤلاء أعداءُ الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم.

ولله درّ خليله إبراهيم، حيثُ يقول: ﴿**واجنبني وبني أنْ نعبد الأصنام * ربِّ إنهنَّ أضللن كثيراً من الناس**﴾ [ابراهيم / ٣٥، ٣٦] وما نجا من شَرك هذا الشرك الأكبر إلَّا من جرَّد توحيدَه لله، وعادى المشركين في الله، وتقرَّب بمقتهم إلى الله. انتهى.

فرحمةُ اللهِ ومغفرته ومرضاته على هذا الشيخ، ما أحسنَ بيانه وأوضحه. فقد صرَّح بأنَّ هذا هو الشركُ الأكبر، فبطل ما افتراه عليه المشركون [٥ / ب].

وهذا الذي ذكره هو الذي عمَّت به البلوى في كثير [من][3] الأمصار في هذه الأعصار، وهو الشركُ الأكبر والذنب الذي لا يُغفر إلَّا أن يُتاب منه قبل الوفاة، وقال رحمه الله في الكافية الشافية شعراً:

والشركُ فهو توسلٌ مقصوده الزُّ ... لفى من الربِّ العظيم الشان
بعبادة المخلوق[4] من حجرٍ ومن ... بشرٍ ومن قبرٍ[5] ومن أوثان[6]

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح رقم ٩٧٥ من حديث بريدة، وأخرجه أيضاً من حديث عائشة رقم ٩٧٤ والنسائي في المجتبى ٤/٩١، وأخرجه الترمذي في الجامع رقم ١٠٥٣ من حديث ابن عباس، وأخرجه أحمد في المسند ٢/٣٧٥ من حديث أبي هريرة بألفاظ مختلفة.

(٢) (ط): تنقصوا.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) الأصل: المخلوق أيا كان.

(٥) الأصل: ومن قبر.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ٢١١.

ومنها أيضاً[1]:

والشـركُ فـاحـذره فشركٌ ظـاهـرٌ ... ذا القِسم ليس بـقـابـل الغـفـرانِ
وهـو اتخـاذ الـنـدٍّ لـلرحمـن أيـ ... ـاً كـان مـن حجـرٍ ومـن إنسـان
يـدعـوه أو يـرجـوه ثـم يخـافُـه ... ويحـبـه كـمـحـبـةٍ الـديَّـان[2]

قال في الاقناع: قال شيخُ الاسلام: من دعا عليّ بن أبي طالب فهو كافر، ومن شكَّ في كُفره فهو كافر.

وقال أيضاً: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً[3]

وقال العلاَّمةُ في الكافية أيضاً:

فتـوسُّطُ الشفعـاء والشركـاء والـظُّـ ... ـهـراء أمـرٌ بـيِّنُ الـبـطلان
مـا فـيـه إلاَّ محض تـشبـيـهٍ لهـم ... بـالله وهـو فـأقـبـح البُـهـتـان[4]

وقال بعضُ شيوخنا[5] رحمهم الله تعالى:

نفـوس الـورى إلاّ القليـلِ ركـونها ... إلى الغي لا يـلفى لـديـن حنينهـا
فسـل ربـك التَّثبيت أي مـوحـد ... فـأنت على السمحـاء بـاد يقينهـا
وغـيرك في بيـدا الضـلالـة سـائـر ... ولـيس لـه إلاَّ القـبـور يـدينهـا

وقال محمَّدُ بنُ اسماعيل الأمير الصنعاني[6] رحمه الله تعالى: الأصلُ الرابع: أنَّ المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مُقرُّون أنَّ الله خَلَقهم ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [الزخرف/ ٨٧] وأنه الذي خلق السموات والأرض[7] ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) المصدر السابق ١٥٧.

(٣) الإقناع لطالب الانتفاع للحجَّاوي ٤/ ٢٩٧.

(٤) الكافية الشافية ٢١٣.

(٥) المؤرخ الأديب النحوي، أبو بكر، حسين بن غنام الاحسائي ت ١٢٢٥ هـ. عنوان المجد ١/ ٣١١.

(٦) الكحلاني، المعروف بالأمير، من ذرية الحسن رضي الله عنه، فقيهٌ محدث. ت ١١٨٣. البدر الطالع ٢/ ١٣٣.

(٧) ما بينهما ساقط من (ط).

العليم﴾ [الزخرف / ٩]، وبأنه [٦ / أ] الرازق الذي يُخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وأنَّه الذي يُدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرجُ الحي من الميت ويخرجُ الميت من الحي ومن يدبرُ الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾** [يونس / ٣١].

﴿قُل لِمن الأرضُ ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكَّرون * قل من ربُّ السموات السبعِ ورب العرشِ العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكُوت كلِّ شيء وهو يُجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنَّى تُسحرون﴾ [المؤمنون / ٨٤ ـ ٨٩].

وهذا فرعونُ مع علوِّه في كُفره ودعواه أقبح دعوى، ونطقه بالكلمة الشنعاء، يقول الله في حقه حاكياً عن موسى عليه السلام **﴿لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلّا رب السموات والأرض بصائر﴾** [الاسراء / ١٠٢] وقال ابليس: **﴿إنّي أخافُ الله رب العالمين﴾** [الحشر / ١٤] وقال: **﴿رب بما أغويتني﴾** [الحشر / ٣٩] وقال: **﴿رب انظرني﴾** [الحجر / ٣٦].

وكلُّ مشرك مقرٌّ بأنَّ الله خالقه وخالق السموات والأرض، وربهن ورب ما فيهما ورازقهم؛ ولذا تحتجُ عليهم[1] الرسل بقولهم: **﴿أفمن يخلُق كمن لا يخلُق﴾** [النحل / ١٧] وبقولهم: **﴿انّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذُباباً ولو اجتمعوا له﴾** [الحج / ٧٣] الآية[2]. والمشركون مقرُّون بذلك لا ينكرونه.

الأصلُ الخامس: أنّ العبادة أقصى بابِ الخضوع والتذلل، ولم تُستعمل إلَّا في الخضوع لله؛ لأنه مُولي أعظم النعم، حقيق[3] بأقصى غاية الخضوع، كما في الكشّاف.

ثم إنَّ رأس العبادة وأساسَها التوحيدُ لله الذي تُفيده كلمته ـ التي إليها دعت جميعُ الرسل ـ وهي لا إله إلَّا الله. والمراد اعتقاد معناها، لا مجرَّد قولها باللسان. ومعناها: إفرادُ الله بالعبادة والالهية، والنفي والبراءة من كلِّ معبودٍ

---

(١) (ط): ولهذا تحتج الرسل.

(٢) الآية. ليست في (ط).

(٣) الأصل: حقيقاً. تحريف.

دونه. وقد علم الكفارُ هذا المعنى؛ لأنهم أهلُ اللسان العربي، فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيءٌ عُجاب. انتهى[1].

وقال شيخُ [٦ / ب] الاسلام ابن تيمية رحمه الله: تواترت الأحاديثُ بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلاّ الله، ومن شهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله. لكن جاءت مقيدةً بالاخلاص واليقين، وبموتٍ[2] عليها، وكلُّها مقيدةٌ بالقيود الثقال.

وأكثرُ من يقولها لا يعرف الاخلاص ولا اليقين، وغالبُ أعمال هؤلاء إنَّما هو تقليدٌ واقتداء بأمثالهم، وهم أقربُ الناس من قول الله تعالى حاكياً عن المشركين: ﴿إنَّا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون﴾ [الزخرف / ٢٣].

وحينئذٍ فلا منافاة بين الأحاديث؛ فإنَّه إذا قالها باخلاصٍ ويقين، ومات على ذلك امتنع أنْ تكون سيئاتُه راجحة على حسناته، بل كانت حسناتُه، راجحة فيحرم على النار؛ لأنه إذا قالها باخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب. فإنَّ كمال الاخلاص ويقينه موجبُ أن يكون الله أحب إليه من كل شيء سواه، وأخوف عنده من كل شيء. فلا يبقى في قلبه يومئذٍ إرادةٌ لما حرَّم الله، ولا كراهة لما أمر الله، فهذا هو الذي يحرم على النار وإنْ كان له ذنوبٌ قبل ذلك، فهذا الايمان وهذه التوبة وهذا الاخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين والكراهة لا يتركن له ذنباً إلاَّ مُحي عنه كما يمحو النهارُ الليل.

فمن قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غيرُ مصرٍ على ذنب أصلاً، فيغفر له ويحرم على النار.

وإنْ قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يُناقض ذلك، فهذه الحسنات لا يُقاومها شيءٌ من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة.

وقال رحمه الله تعالى: وأصلُ الدين: أنْ يكون الحبُّ لله والبغض لله، والموالاة لله والمعاداة لله، والعبادة لله والاستعانة بالله، والخوف من الله، والرجاء لله والاعطاء لله والمنع لله، وهذا إنما يكون بمُتابعة رسول الله الذي أمرُه أمر

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ٢٣ ـ ٢٥ (ط صبيح ١٣٧٣ هـ).

(٢) (ط): والموت.

الله[1] ونهيُه نهي الله، ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة لله، ومعصيته معصية لله. وصاحب الهوى يُعميه الهوى ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله [٧ / أ] في ذلك ولا يطلبُه، ولا يرضى لرضى الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضبه لهواه، ويكون مع ذلك معه شُبهةُ دين: أنَّ الذي يرضى له ويغضب له هو السنة. فإنْ قُدِّر أنَّ الذي معه دين الاسلام، ولم يكن قصده أنْ يكون الدين كله، بل قصدَ الحمية لنفسه وطائفته، أو الرياء ليعظم أو يُثني عليه، أو فعل ذلك شجاعة وطبعا، أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مُجاهداً في سبيله؛ قال الله تعالى: **﴿وما تفرَّق الذين أُوتوا الكتاب إلَّا من بعد ما جاءتهم البيِّنة * وما أُمروا إلَّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾** الآية [البينة / ٤، ٥].

وقال رحمه الله تعالى في منهاج السنة ـ لما ذكر كلامَ صاحبِ المنازل[2]، وأنَّ التوحيد عنده على ثلاثة أوجه: الأول توحيدُ العامَّة، وهو شهادة أنْ لا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، هذا هو التوحيد الظاهر الجلي الذي نفى الشرك الأعظم وعليه نُصبت القبلة، وبه وجبت الذمة، وبه حُقنت الدماء والأموال وانفصلت دارُ الاسلام من دار الكفر. هذا كلامُ صاحب المنازل، وذكر بعده[3] الوجهين، وذكر شيخُ الاسلام ما فيها من الشطح والبدعة، ثم قال شيخُ الإسلام ـ: أمَّا التوحيدُ الأول الذي ذكره فهو التوحيدُ الذي جاءت به الرسُل، ونزلت به الكتب، وبه بعث الله الأوَّلين والآخرين من الرسل، قال تعالى: **﴿واسأل من أرسلنا من قبلكَ من رُسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهةً يُعبدون﴾** [الزخرف / ٤٥] وقال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أنْ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة﴾** [النحل / ٣٦] وقال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلَّا نوحي إليه أنه لا إله إلَّا أنا فاعبدون﴾** [الأنبياء / ٢٥].

---

(١) أمر الله. ليست في (ط).

(٢) أبو اسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي الهروي، حافظ ت ٤٨١. تذكرة الحفاظ ١١٨٣/٣، وقد شرح العلامة ابن القيم كتاب منازل السائرين هذا في كتاب مدارج السالكين.

(٣) (ط): بعد.

وقد أخبر الله تعالى عن كلٍّ من الرسل، مثل نوح وهود وصالح وشُعيب وغيرهم، أنهم قالوا لقومهم: اعبد الله مالكم من إلهٍ غيره [٧ / ب]. وهذا أول دعوة الرسل وآخرها؛ قال النبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح المشهور «أُمرت أنْ أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلَّا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلَّا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح أيضاً: «من مات وهو يعلم أنْ لا إله إلَّا الله دخل الجنة» وقال: «من كان آخر كلامه لا إله إلَّا الله دخل الجنة»[1] والقرآنُ كلُّه مملوءٌ من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليقِ النجاة والفلاح وأقصى[2] السعادة في الآخرة به.

ومعلومٌ أنَّ الناس متفاضلون في تحقيقه، وحقيقتُه إخلاصُ الدين كله لله. والفناءُ في هذا التوحيد مَقْرونٌ بالبقاء، وهو أن تُثبت إلهية الحق في قلبك وتنفي إلهية ما سواه، فتجمعُ بين النفي والاثبات، فتقول: لا إله إلَّا الله. فالنفي هو الفناء، والاثبات هو البقاء. وحقيقته: أنْ تفنى بعبادته عن عبادة ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبموالاته عن موالاة ما سواه، وبسؤاله عن سؤال ما سواه، وبالاستعاذة به عن الاستعاذة بما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه، وبالانابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه، وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه، وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه[3].

وفي الصحيحين، عن النبي ﷺ أنَّه كان يقول إذا قام يصلِّي من الليل، بعد التكبير «اللهم لك الحمد، أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، وقولك الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حقٌّ والجنة حق والنار حق، والنبيون حقٌّ ومحمد حق. اللهم لك أسلمت [٨ / أ] وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك

---

(١) ينظر في تخريجها فتح المجيد.

(٢) المنهاج: واقتضاء.

(٣) فتحكيمُ القوانين الوضعية بأيّ صورةٍ كانت: نوعٌ من أنواع الشرك الناقض لمعاني كلمة التوحيد، واعتداءٌ سافر على حاكمية الله، وتطاولٌ مخذولٌ على خصائص الألوهية. فضلاً عن اشتمالها على الظلم الفادح، وقصورها الذي هو شأن كلِّ عملٍ بشري.

خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت»[1].

[و][2] قال تعالى: **﴿قل أغير الله اتخذ ولياً فاطرِ السموات والأرضِ وهو يُطعم ولا يطعم﴾** [الانعام / ١٤] وقال تعالى: **﴿أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مُفصلاً﴾** [الأنعام / ١١٤] وقال: **﴿أفغير الله تأمروني أعبدُ أيها الجاهلون * ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملُك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبدوكن من الشاكرين﴾** [الزمر / ٦٤ ـ ٦٦] وقال تعالى: **﴿قل انني هداني ربي إلى صراطٍ مُستقيم * ديناً قيماً ملَّة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين * قال إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرتُ وأنا أولُ المسلمين * قل أغير الله أبغي رباً وهو ربُّ كلّ شيء ولا تكسب كلُّ نفسٍ إلاَّ عليها﴾** [الأنعام / ١٦١ ـ ١٦٤].

وهذا التوحيدُ كثيرٌ في القرآن؛ وهو أولُ الدين وآخره، وباطن الدين وظاهره، وذروة سنام هذا الدين[3] لأولي العزم من الرسل، ثم للخليلين محمد وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم.

فقدت ثبت عن النبي ﷺ ـ من غير وجه ـ أنَّه قال: «إنَّ الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً»[4] وأفضلُ الرسل بعد محمد ﷺ ابراهيم؛ كما ثبت في الصحيح عنه، أنه قال عن خير البرية: «انه ابراهيم»[5].

وهو الامامُ الذي جعله الله إماماً وجعله أُمَّة. والأمةُ القدوة الذي يُقتدى به، فإنَّه حقق هذا التوحيد وهو الحنيفية ملته، قال تعالى: **﴿قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكمُ العداوةُ والبغضاء أبداً حتى تُؤمنوا بالله وحده إلاَّ قول ابراهيم لأبيه لأستغفرنَّ لك وما أملكُ لك من الله من شيءٍ ربنا عليك توكَّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير * ربنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا**

---

(١) البخاري في الصحيح رقم ١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٣٨٥، ٧٤٤٢، ٧٤٩٩، ومسلم في الصحيح رقم ٧٦٩، وأخرجه أحمد في المسند ١/٢٩٨، ٣٠٨ من حديث ابن عباس.

(٢) إضافة من المنهاج.

(٣) المنهاج: التوحيد.

(٤) ينظر تخريجه في فتح المجيد.

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح رقم ٢٣٦٩ وأحمد في المسند ٣/١٧٨، ١٨٤ من حديث أنس.

واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم * لقد كان لكم فيهم أسوةٌ حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ [الممتحنة / ٤ ـ ٦].

وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه [٨ / ب] انني براء مما تعبدون إلَّا الذي فطرني فإنَّه سيهدين * وجعلها كلمةً باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ [الزخرف / ٢٦ ـ ٢٨] وقال عن ابراهيم أنه قال: ﴿يا قوم إني بريءٌ مما تُشركون * إني وجَّهت وجهي للذي فطر السموات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين * وحاجَّة قومه قال اتحاجُّوني في الله وقد هدان ولا أخافُ ما تُشركون به إلَّا أنْ يشاء ربي شيئاً﴾ [الأنعام / ٧٨ ـ ٨٠] انتهى[1].

وقال: ومحبةُ الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح النفس، وهو عبادةُ الله وحده لا شريك له ـ فلا صلاح للنفس إلَّا في ذلك وبدونه تكون فاسدة ـ وهو[2] دينُ الاسلام الذي اتفقت عليه الرسل؛ قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كلِّ أمة رسولا أنْ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل / ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فاقم وجهك للدين حنيفاً فِطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدينُ القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * مُنيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ [الروم / ٣٠، ٣١]. فالغايةُ الحميدة التي بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادةُ الله وحده، وهي حقيقة لا إله إلَّا الله.

وكلُّ من لم يحصل له هذا الاخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء / ١١٦].

فمن آمن بأنَّ الله ربُّ كل شيء وخالقه ولم يعبد الله وحده ـ بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه ـ بل من سوَّى بين الله وبين بعض المخلوقين[3] في الحب ـ بحيث يحبه كما يحب الله ويخشاه كما يخشى الله ويرجوه كما يرجو الله ويدعوه كما يدعو

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ٥/٣٤٦ ـ ٣٥١.

(٢) (ط): وهذا هو.

(٣) (ط): المخلوقات.

الله ـ فهو مشركُ الشركَ الذي لا يغفره الله، ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه، وكان حليماً شُجاعاً. انتهى.

وقال العلاَّمةُ ابنُ القيم رحمه الله تعالى ـ بعد ذكره الشرك في الربوبية ـ النوع الثاني: أهلُ الإشراك بالله في إلهيته، وهم[1] المقرّون بأنه وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه وخالقه، وأنه ربهم ورب آبائهم الأولين، ورب السموات السبع ورب العرش العظيم، وهم مع هذا [٩ / أ] يعبدون غيرَه ويعدلون به سواه في المحبة والطاعة والتعظيم، وهم الذين اتخذوا من دونه أنداداً. فهؤلاء لم يوفوا[2] ﴿**إياك نعبد**﴾ حقه، وإن كان لهم نصيبٌ من نعبدك، لكن ليس لهم نصيب من ﴿**إياك نعبد**﴾ المتضمن معنى لا نعبد إلاَّ إياك حباً وخوفاً ورجاء وطاعة وتعظيماً، فـ ﴿**إياك نعبد**﴾ تحقيقٌ[3] لهذا التوحيد، وإبطالٌ للشرك في الالهية؛ كما أنَّ ﴿**إياك نستعين**﴾ تحقيقٌ لتوحيد الربوبية وإبطال للشرك به، وكذلك قوله: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم**﴾. فإنهم أهلُ التوحيد، وهم أهل تحقيق[4] ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾. وأمَّا أهلُ الاشراك فهم أهلُ الغضب والضلال.

فإنَّ هذا الانقسام ضروريٌ، بحسب انقسامهم في معرفة الحق والعمل به: إلى عالمٍ به عامل بموجبه، وهم أهل النعمة، وعالمٍ به معاند له وهم أهل الغضب، وجاهلٍ به وهم الضالون. وهذا الانقسام إنما نشأ بعد إرسال الرسل، فلولا الرسل لكانوا أمةً واحدة، فانقسامهم إلى هذه الأقسام مستحيلٌ بدون هذه الرسالة. انتهى.

والمقصودُ من هذه المقدمة: العلمُ بأنَّ التوحيد الذي بعث الله به رسوله[5] غريبٌ في الناس جداً، وأكثرُهم لا يعرف حقيقتَه ولا يعرف الشرك الأكبر المنافي له. وغاية ما عندهم هو أنْ يعرف أنَّ الله تعالى ربَّه وخالقه، وخالق جميع المخلوقات ورازقها والمتصرف فيهم.

وقد عرفت مما سلف أنَّ أكثر الأمم ـ من أعداء الرسل ـ يعرفون ذلك

---

(١) (ط): وهم. ساقطة.

(٢) (ط): يعرفوا. تحريف.

(٣) الأصل: تحقيقاً. تحريف.

(٤) الأصل: التحقيق.

(٥) (ط): رسله.

ويقرون به؛ كما أقرَّ به كفارُ قريش لمّا بعث الله محمداً ﷺ. وهذا مقرَّرٌ في القرآن أتم تقرير.

وأمّا توحيدُ الألهية ـ الذي هو مضمون لا إله إلَّا الله الذي دلَّ عليه القرآن من أوَّله إلى آخره ـ: فالأكثرُ لا يعرفونه، مع أنَّ سورَ القرآن الكريم مشحونةٌ ببيانه، كقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتّخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ [البقرة / ١٦٥]، وقوله: ﴿له دعوة الحقِّ والذين يدعون من دونه [٩ / ب] لا يستجيبون لهم بشيء﴾ [الرعد / ١٤] الآية، وقوله[1]: ﴿وقضى ربك أنْ لا تعبدوا إلَّا إياه﴾ [الاسراء / ٢٣]، وقوله: ﴿فاعبد الله مُخلصاً له الدين إلا لله الدين الخالص﴾ [الزمر / ٢ ـ ٣].

وقوله: ﴿وما أمروا إلَّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ الآية [البينة / ٥]، وقوله: ﴿وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن / ١٨]، وقوله: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة﴾ [الأحقاف / ٥] الآية، وقوله: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ [فاطر / ١٣] الآية.

وقوله: ﴿إنَّ إلهكم لواحد * رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ [الصافات / ٤ ـ ٥]، وقوله: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ [المؤمنون / ١١٧] الآية، وقوله: ﴿وإذ قال إبراهيمُ لأبيه وقومه إنني براءٌ مما تعبدون إلَّا الذي فطرني فانه سيهدين﴾ [الزخرف / ٢٦]الآية، وقوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلَّا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء / ٢٥].

إلى أمثال ذلك مما لا يُحصى في القرآن كثرة، في بيان هذا التوحيد وما ينافيه من الشرك بالله، الذي هو أعظمُ ذنب عُصي الله به؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ [المائدة / ٧٢].

فإذا تأمَّلتَ القرآن وجدت الله[2] قد احتج على المشركين فيما جحدوه من توحيد الألهية بما أقرُّوا به من توحيد الربوبية؛ كما قال تعالى: ﴿قل من يرزُقُكم من السماء والأرض﴾ إلى قوله: ﴿فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾

---

(١) (ط): وقوله. ساقط.

(٢) (ط): وجدته.

[يونس / ٣١]، وقوله: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إنْ كُنتم تعلمون﴾ [المؤمنون / ٨٤] الآيات. فإذا أقرُّوا أنَّ الله ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه وأنه المُتصرِّفُ في جميع خلقه لزمهم أن يعبدوه[1] وحده؛ فإنَّ الاقرار بهذا التوحيد يستلزم الاقرار بالنوع الآخر، ولا بُدَّ منهما جميعاً.

وأمَّا الثالث من أنواع التوحيد: فهو أنْ نصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به[2] رسوله على ما يليق بجلال الله، إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل؛ فإنَّ صفات الرب تعالى وأسماءه[3] تدلُّ على كمالِ الربِّ تعالى، وتنفي عن الله ما نفى عن نفسه ونفى عنه رسولُه ﷺ من كلِّ ما ينافي كمالَ حياته وقوميته وكمالَ غناه، كما نزه الله نفسه [١٠/أ] ونزهه[4] عنه رسولُه ﷺ؛ كما قال: ﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾ [الشورى / ١١]، وقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يُولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾ [الاخلاص].

وكما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «إنَّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» الحديث[5]. ونحو هذا ـ مما نزَّه الله عنه نفسَه ونزهه عنه رسولُه ﷺ[6] ـ كثيرٌ في الكتاب والسنة. فالمهديّون المؤمنون يُثبتون ما أثبته الله ورسوله من معاني أسمائه وصفاته على ما يليق بجلاله، وينفون عنه مشابهةَ المخلوقين وسِمات المُحدَثين، وينفون عنه ما نفى عن نفسه ونفاه عنه رسولُه ﷺ من كلِّ ما لا يليق به، والله أعلم.

فما أعزَّ من يعرف حقيقةَ التوحيد، بل ما أعزَّ من لا يُعادي من عرفه ودعا إليه؛ فلقد عمّ الجهلُ بالتوحيد حتى نُسب أهلهُ إلى الابتداع، ونُسب من أنكره إلى الاتباع.

وما أحسنَ ما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ـ لما ذكر حديث «بدأ

---

(١) الأصل: لزمه أن يعبده.

(٢) (ط): به. ساقطة.

(٣) الأصل: وأسمائه. تحريف.

(٤) (ط): ونزههه. تحريف.

(٥) ما بينهما معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٦) قطعةٌ من حديث أخرجه مسلم في الصحيح رقم ١٧٩ وابن ماجة في السنن رقم ١٨٣ وأحمد في المسند ٣٩٥/٤، ٤٠١، ٤٠٥ وابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم ٢٨ ـ ٣٢، ١٠٠، ١٠١ وابن مَنده في كتاب الايمان رقم ٧٧٥ ـ ٧٧٩ من حديث أبي موسى.

الاسلامُ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»[1] ـ: بل الاسلامُ الحق ـ الذي كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ـ اليومِ أشدُّ غربةً منه في أول ظهوره، وإنْ كانت أعلامُه ورسومه الظاهرة مشهورةً معروفة.

فالاسلامُ الحقيقي فينا غريبٌ جداً، وأهله غرباء بين الناس، وكيف تكون فرقةٌ واحدة بين فرقٍ ـ لهم اتباعٌ ورياسات ومناصب وولايات ـ لا يقوم لها سوقٌ إلاَّ في مخالفة ما جاء به الرسول ﷺ؟! فإنَّ نفس ما جاء به يضادُّ أهواءَهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات ـ التي هي مُنتهى فضيلتهم وعلمهم ـ والشهوات ـ التي هي [غاية][2] مقاصدهم وإرادتهم ـ

فكيف لا يكون المؤمنُ السائر إلي الله على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم، وأعجب كلٌ منهم برأيه. فإذا أردت معرفةَ الإعراض عن الدين تَعلُّماً وعملاً فتأمل ما هم عليه، فالله المستعان

واعلم يا مَن له عقلٌ ونورٌ يمشي به في الناس، أني تأمَّلتُ الورقَة التي قدَّمتُ الاشارةَ إليها ـ وهي لأحمد[3] بن علي المَرائي ـ فإذا هو قد حشاها بالرّعونات والحماقات، التي هي من نتائج الجهل الصميم والعقل غير المستقيم. فإذا نظر فيها العاقل علِم أنَّها لا تصدُر إلاَّ من جاهل [١٠ / ب] مُعجب بنفسه، لإقامته بين جهلة العوام، فإنَّ أكثرهم لا يميّز بين الصحيح من السقيم من الكلام.

فلو كان ما أبداه من أساجيعه من وراء كفايةٍ ومن عِلم ودراية لكان أحرى بمراجعة الصواب، والرجوع عمَّا أخطأ فيه من الخطاب. وقد قال بعضُهم شعراً:

ولو كان هذا من وراء كفايةٍ   لهان ولكن من وراء تخلُّف

فاعجب لقوله: أمَّا بعدُ فيقول العبدُ المُسترشد للعلم والعمل لا للمراء والجدل.

فالجواب: تأمل أيها المنصفُ ما بعد هذا من كلامه، تجده مُناقضاً لما قال مشتملاً على المراء والجدال؛ كحال أمثاله من أهل الأهواء، ويخبط على أثرهم

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح رقم ١٤٥، وانظر بقية التخريج في كتاب سبيل النجاة ٢٥.

(٢) اضافة من (ط).

(٣) الأصل و (ط): لحمد. وهو تحريف.

خبط عشواء، وقد تضمَّنت رسالتُه من الأحبُولات للجهال والتلبيس على من عقولهم كعقول الأطفال؛ فمن ذلك:

أنه أكثر الحطَّ على من يقول على الله بلا علم. ولا شك أنَّ ذلك من أكبر الذنوب، وأعظم المثالب والعيوب. ولكنه اتَّزر بما عابه من ذلك وارتدى، في آخر مقاله والابتداء. وهكذا حالُ من لا علم لديه، ولا دراية له تُنسب إليه، فتراه يعيب أمراً وهو يتقلَّب فيه، فتارةً يُظهره وتارة يخفيه، وكلُّ إناءٍ ينضحُ بالذي فيه. فتأمل ما يأتيك[1] من جوابه، تجد[2] عجباً.

ثم إنَّه قال: والمسألةُ المشار إليها والمسؤول عنها هي التي غصَّت بها الحناجر، وأسبلت على الخدود دموع المحاجر، وهي قولُ الجهال الطَّغام: من أقام ببلدٍ قد استولى عليها العساكر ولا عنها يُهاجر فهو كافر.

فالجواب: أنَّ هذا قولٌ مُختلقٌ، ولا نعلم قائلاً به على الاطلاق كما زعم صاحب الورقة، وهذا من بهرجه وزِبْرجه[3] وتهويله. أسوة أمثاله ممن يفتري على المسلمين ويقوِّلهم ما لا يقولون[4]؛ ليدفع بهذا عن نفسه الشناعة. وليس بنافعه شيئاً، بل هو عينُ الضرر عليه؛ لأنه تشبَّث بما لا يُجدي. وليس عند أهل الأهواء [١١ / أ] إلَّا التلبيس والشكوى؛ لما تلطخوا به من العيوب والأسوى، إذ ليس معهم حقٌّ يعتمد عليه، ولا برهانٌ لهم تطمئن نفوسُهم إليه. فترى أحدَهم ضيِّقَ الصدر والبال؛ لأن بضاعته إنما حقيقتها الشكوك والخيال. بخلاف صاحب الحق؛ فإنَّ معه من البصيرة والعلم واليقين ما يدفع الشكَّ والالباس، ويهوِّن عليه مؤنة المعارضين من الناس.

وأكبَر همِّ المؤمن ما بينه وبين ربه، يرجو رحمته ويخاف عقوبة ذنبه؛ كما قال تعالى: ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون**﴾ [المؤمنون / ٦٠] الآية.

---

(١) (ط): سيأتيك.

(٢) (ط): ترى.

(٣) البَهرج: الباطل الرديء، والزِّبْرج: السحاب الرقيق الذي لا غناء فيه.

(٤) (ط): ما لم يقولوا.

يسيرُ إلى الله بين مشاهدة مِنَّةِ الله عليه، ومطالعة عيب نفسه «أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي»[1].

وأمَّا الفاجر فقلبُه خال من خشية الله، آمنٌ من مكر الله يمضي في الغفلة والمعاصي قُدماً قدما.

فيا عجباً من صاحب هذه الورقة، ما الذي يُؤمّنه [و][2] قد تلطَّخ بما تلطخ به، والمعاصي بريدُ الكفر. وكان الواجبُ عليه أنْ يغصَّ من العبرات، ويسبلَ الدموع في الخلوات والجلوات على ما فرَّط فيه من الطاعات، ووقع منه من الفرطات. فاهتمامه من نفسه لنفسه أولى من الاهتمام بما قيل أو يقال. فلو صحَّ عن أحدٍ لكان فيه إجمال، ويتطرق إليه الاحتمال. على أنَّه ليس من قبيل المُحال، الذي لا يُنسب إلاَّ إلى الطغام والجهال.

فأين الأسباب المؤمِّنة لهذا المسكين من أن يقع في زيغ الزائغين وطريقة[3] الأئمة المضلين، فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «أخوف ما أخاف على أُمتي الأئمة المضلين»[4].

وأمَّا شتمه لخواص المسلمين[5] من أهل الهجرة والدين، وتسميتهم بالجهال الطغام فهو دليلٌ على إعجابه بنفسه، ورضاه بعمله؛ وذلك من أكبر الذنوب وأعظم العيوب. فإنَّه من تدبَّر القرآن وتفكر فيما قصه الله تعالى عن أهل الكتاب وأمثالهم من أهل الفهم والرأي ـ وأنهم تركوا [١١ / ب] الحق الذي بعث الله به رسوله بعد ظهوره، واختاروا لأنفسهم أسباب الردى

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الصحيح رقم ٦٣٠٦، ٦٣٢٣، والترمذي في الجامع رقم ٣٣٩٠ والنسائي في المجتبى ٨/٢٧٩ وأحمد في المسند ٤/١٢٢، ١٢٥ والطبراني في كتاب الدعاء رقم ٣١٢ ـ ٣١٦ من حديث شداد بن أوس.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

(٣) (ط): وطريق.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن رقم ٤٢٥٢ والترمذي في الجامع رقم ٢٢٣٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في السنن رقم ٤٠ وأحمد في المسند ٥/٢٧٨، ٢٨٤ والدارمي في السنن رقم ٢١٥ عن ثوبان، وأصل حديثه عند مسلم في الصحيح رقم ٢٨٨٩، وأخرجه أحمد في المسند ٦/٤٤١ والدارمي في السنن رقم ٢١٧ من حديث أبي الدرداء، وأخرجه أحمد في المسند ١/٤٢ من حديث عمر، وأخرجه ٤/١٢٣ من حديث شداد بن أوس، وأخرجه ٥/١٤٥ من حديث أبي ذر، بألفاظ متقاربة.

(٥) (ط): المسلمين. ساقطة.

والهلاك، ولم ينفعهم الله بعلمهم ولا برأيهم وفهمهم - خاف على نفسه من أنْ يزيغ كما زاغوا، وأن يضل كما ضلّوا. وهذا إنما يحصل بتوفيق الله ورحمته لعبده.

وصاحبُ هذا الكلام قد نسي ما وقع منه من المداهنة والموادة لأرباب البغي والعدوان على أهل الاسلام والايمان، والصد عن سبيل الله، فأعظِم بها من ذنوب ومثالب وعيوب. وما ذكرناه من الواقع من كثيرٍ من أعيان أهل نجد لا يمتري فيه من في قلبه أدنى حياة.

وظاهرُ حال هذا[1] المعترض: أنه لما جهل حقيقة هذا الذنب العظيم عدَّة من نوع[2] الواجب أو الجائز أو المكروه، وكلامُه في ورقته يدور على هذه الثلاثة؛ فلذلك استوحش مما أنس به المسلمون، وأنس بما استوحش منه العارفون. فلو تصور الواقع منه لسالت على الخد منه دموعُ المحاجر، وغصَّت من مخافة الوعيد تلك الحناجر؛ كما دلَّ على عظيم ذلك الذنب الكثيرُ من الآيات والأحاديث والبينات.

واعلم أنَّ هذا المغرور لما كذَّبته ظنونُه التي قعدت به عن واجب الهجرة والجهاد، وتبينَّ أنه أخطأ سبيل الهدى والسداد، وعلم أنَّ المسلمين قد ميَّزوه بحاله وقبيح فعاله بادر إلى التَّشكي والتهويل، والتباكي والعويل، وحاول قلب الحقائق فاستهجن الصدق والمعروف، واستحسن الباطل؛ لكونة عنده هو المألوف. فأعظِم بها عقوبةً أطفأت نور العقلِ، وأعمت البصيرة، فصاحبُها في ظلمات الجهل والريب. ولما قال رجلٌ لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هلكتُ إن لم آمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، فقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: هلكتَ إنْ لم يعرف قلبك المعروف وينكر المنكر[3]. قال بعضُ السلف: أنتم تخافون الذنوب، وأنا أخاف الكفر. يا ربنا نسألك الثبات على الايمان.

ومما [يجب أن][4] يُعلم: أنَّ الله تعالى فرض على عباده الهجرةَ عند ظهور الظلم [١٢ / أ] والمعاصي؛ حفظاً للدين، وصيانة لنفوس المؤمنين عن شهود

---

(١) (ط): هذا. ساقطة.

(٢) (ط): أنواع.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٥/ ١٧٤ وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٣٥.

(٤) إضافة من (ط).

المنكرات، ومخالطة أهل المعاصي والسيئات، وليتميز أهلُ الطاعات والايمان عن طائفة الفساد والعدوان، وليقوم علمُ الجهاد الذي به صلاحُ البلاد والعباد. ولولا الهجرة لما قام الدين ولا عُبد رب العالمين، ومن المحال أن تحصل البراءة من الشرك والظلم والفساد بدونها.

ومن لوازم ترك الهجرة غالباً: مشاهدة الـمُنكرات، ومداهنة أرباب المعاصي والسيئات[1] ومـوادتهم، وانشراح الصدر لهم؛ فإنَّ الشر يتداعى ويجر بعضُه بعضاً، فلا يرضون عمَّن هو بين أظهرهم بدون هذه الأمور. ولا بد لهم[2] من رضاهم، والمبادرة في هواهم.

ثم إنَّه قال قولاً يُنبىء من له أدنى معرفة أنَّ هذا لا يصدر إلاَّ ممن هو غريقٌ في الجهالة، قد عرى من المعقول والمنقول، وذلك قوله: إنّ الله قدّم حرمةَ ابنِ آدم على حُرمته، وأباحه ما حرَّم عليه من أكل الميتة إذا خاف على نفسه الضرر.

ووجهُ خطئه وجهله: أنَّه جعل ذلك أصلاً قاس عليه تركَ الهجرة، وفي زعمه أنَّه اضطر إلى تركها كما اضطر إلى الأكل من الميتة من خاف على نفسه التلف. فأقول: لا يخفى ما في هذا القياس من الفساد؛ وذلك من وجوه:

منها: أنه في مصادمة نصوص الكتاب والسنة التي دلَّت على وجوب الهجرة على من له قدرةٌ عليها، وإنْ كان يتوقع بها القتل والموت؛ كما أنه لا يترك الجهادَ خوفاً من القتل، كما قال تعالى: ﴿**فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأُكفرنَّ عنهم سيئاتهم ولأُدخلنهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حُسن الثواب**﴾ [آل عمران / ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿**والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا ليرزُقنَّهم الله رزقاً حسناً وإنَّ الله لهو خيرُ الرازقين**﴾ [الحج / ٥٨]. فلم يجعل الله تعالى هذه الأمور التي قد تقع للمهاجر عذراً عن الهجرة؛ لأن الهلاك في الهجرة والجهاد هو السلامةُ، فإنَّه شهادةٌ والشهداء ﴿**أحياءٌ عند ربهم يُرزقون * فرحين**

---

(١) ما بينهما معلَّقٌ في هامش الأصل وعليه كلمة صح. وهو انتقال نظر.

(٢) (ط): لهم. ساقطة.

بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران / ١٦٩، ١٧٠] وقد يحصلُ للمهاجر ما يحبُّه من حُسن العاقبة في الدنيا مع ما يرجو[1] في الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿ومن يُهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغماً كثيراً وسعة﴾ الآية [النساء / ١٠٠].

ونظيرُ تركِ الهجرة خوفاً من الفقر أو القتل، مداهنةُ أهل المعاصي خوفاً [١٢ / ب] من أذاهم؛ وقد قال تعالى في حقهم: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصرٌ من ربك ليقولن إنَّا كنا معكم أوليس اللهُ بأعلم بما في صدور العالمين﴾ [العنكبوت / ١٠].

وهذا الذي جعل فتنةَ الناس كعذاب الله قد يدعى أنَّ الضرورة دعته إلى ذلك لو كانت عُذراً، وقد علمتَ أنَّ ترك الهجرة عرضةٌ لذهاب الدين، وذهابُ الدين هو هلاكُ النفس السَّرمدي ﴿قل إنَّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألاَ ذلك هو الخسران المُبين﴾ [الزمر / ١٥] هذا في تركهم الهجرة.

وأمَّا الهجرةُ فإنَّ الغالب على أهلها السلامة والعز والتمكين، كما جَرى ذلك لرسول الله ﷺ وأتباعه سلفاً وخلفاً، وبها يحصلُ الجهاد وتعلو كلمة الله، ويعمل في الأرض بطاعة الله.

ومصالحُ الهجرة في الدنيا أكثر من أنْ تُحصر؛ كما قال تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر﴾ [النحل / ٤١] فبطل هذا القياس من وجهين:

الأول: أنه في[2] مصادمة النصوص الثابتة، والقياسُ في مصادمة النص فاسدُ الاعتبار عند العلماء قديماً وحديثاً؛ فإنَّ القياس إنما يُصار إليه عند الضرورة إليه إذا عُدم النص، ولم يوجد للحكم دليل في الكتاب والسنة لا نصاً ولا ظاهراً، فحينئذٍ يجوز عند بعض العلماء لدُعاءِ الضرورة إليه، وله شروطٌ ومفسدات، وله أنواعُ أربعة لا يعرفها هذا المُعترض. وأنَّى له بمعرفةِ الصحيح منها والسقيم والجائز والممتنع مع قصر الباع وعدم المحصول والاطلاع.

الوجه الثاني: عدمُ الجامع ووجود الفارق؛ فإنَّ الحكمة في إباحة تناول

---

(١) (ط): يرجوه.

(٢) (ط): في. ساقطة.

لقمة من الميتة إذا اضطر إليها قد أبيحت له في تلك الحال لأن الأكل واجبٌ صيانة للنفس عن الهلاك طاعة لله، مطلوبٌ لما يفضي إليه ذلك من التقوِّي على أداء الفرائض والطاعات.

قال شيخُ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: ومن المحرمات ما يُباح عند الضرورة كالدم [١٣ / أ] والميتة، فهذه في حال الاباحة ليست محرَّمةً أصلاً، وليس له أنْ يعتقد تحريمَها حينئذ، وإنَّما تنازع العُلماء هل السبب الحاظر لها موجودٌ وقت الضرورة وأبيحت للمعارض الراجح، أو السبب الحاظر زائلٌ. وهذا مبنيٌ على مسألة تخصيص العلة، فمن قال إنَّ العلة تُخصَّص، يقول: إنَّ علة الحظر قائمة ولكن تخلَّف حكمها لمانع، ومن قال لا تخصص، قال: إنَّ علة التحريم لا توجد مع عدم التحريم. والنزاعُ لفظي.

وقال رحمه الله تعالى: فإنَّ الأكل والشرب واجبٌ، حتى لو اضطر إلى الميتة وجب عليه الأكل عند عامة العلماء؛ لأن العبادات[1] لا تؤدّى إلاَّ بهذا، وما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب. انتهى.

قلتُ: وهذا موجودٌ في الهجرة، وأولى؛ لأن العبادات[1] لا تؤدى إلاّ بها، ولا يقوم الدينُ والعمل به إلاّ بالهجرة. فبالهجرة يَحفظ المرءُ دينَه، ويتمكن من العمل به، ويعادي ويوالي فيه، وغير ذلك من المصالح الدينية التي تفوت [الحصر][2]. فلو احتجنا إلى القياس لكان هذا من قياس الأولى، عكس ما عند صاحب الورقة؛ فإنّ ضرورة العبد إلى الهجرة فوق كلِّ ضرورة، ولو كان فيها تلف النفس والمال، والعبد[3] مضطرٌ إليها عند الحاجة إليها أعظم من ضرورته إلى الطعام والشراب.

ثم اعلم أنه من كبير جهله أنه[4] أخذ يقيسُ تركَ ما وجب فعلُه على فعل ما يجب فعله، فقاس التركَ على الفعل وقاس المحرم على الواجب. وهذا أفسدُ شيءٍ، وأبعدُه عن القياس. فالعكس والحالة هذه أشبه بالقياس صورة ومعنى. فتأمله فإنَه يُطلعك على جهل هذا الرجل.

---

(١) (ط): العبادة.

(٢) إضافة من (ط).

(٣) (ط): فالعبد.

(٤) (ط): أنه. ساقطة.

فالعارفُ يلتمس له العذر حيث أنه جاهل، ولولا جهلُه لكانت هذه فريةً منه عظيمة على دين الله.

ومن المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقلٍ ومعرفة [١٣ / ب] أنَّ الهجرة من أعظم فرائض الدين، وهي أصلٌ وقاعدةٌ من قواعد الاسلام التي ينبني عليها الكثير من الأحكام. ومن جهله أنه لم يميّز بين الضرورة والضرر، كما قد عرفت في[١] كلامه الذي أسلفتُه.

ومن المعلوم عند من له بصيرةٌ ودين أنَّ الهجرة لا ضرورةٍ فيها ولا ضرر، فدعواه الضرورة ممنوعةٌ من أصلها، فغاية ما في الهجرة: بأنَّ فيها مشقةً في المبادىء على النفس من جهة مفارقة المألوفات من الوطن أو المال أو غيرها من الأصناف الثمانية المذكورة في أول سورة براءة[٢].

وهذا شأنُ الشرائع كالجهاد، فإنَّ فيه مشقة؛ كما قال تعالى: ﴿**وقالوا لا تنفروا في الحر قُل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون**﴾ [التوبة / ٨١] الآية، وقال تعالى: ﴿**كُتب عليكم القتال وهو كُرهٌ لكم وعسى أنْ تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم**﴾ الآية [البقرة / ٢١٦].

ولم يعذر الله تعالى أُناساً[٣] تخلَّفوا عن الجهاد في غزوة تَبُوك[٤] بما فيها من المشقة، حتى قال الله تعالى فيهم شرَّ ما قال لأحد، فقال: ﴿**يحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرِضوا عنهم إنهم رجسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون**﴾ [التوبة / ٩٥].

ومن المعلوم أنَّه ليس في ترك الجهاد من المفاسد في الدين ما في ترك الهجرة، بل المفاسدُ التي في ترك الجهاد موجودةٌ في ترك الهجرة وأكثر منها، كما لا يخفى على ذوي البصائر والفهم، وكان الجهاد من ثمرتها ومصالحها.

قال شيخُ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: والشرائعُ جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فهي تأمرُ بما يترجَّح مصلحتُه وإنْ

---

(١) (ط): من.

(٢) سورة التوبة الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٣) (ط): ناساً.

(٤) في رجب سنة تسع من الهجرة، وهي آخر غزاة غزاها النبي ﷺ بنفسه، وكان خروجه في عام جدب وفي حر شديد. الدُّر في اختصار المغازي ٢٨٦.

كان فيه مفسدةٌ مرجوحة كالجهاد، وتنهى عن ما ترجَّحت مفسدته وإنْ كان فيه مصلحة مرجوحة[1] كتناول المحرمات من الخمر وغيره؛ ولهذا أمرنا الله أنْ نأخذ بأحسن ما أُنزل إلينا من ربنا، والأحسنُ إمَّا واجبٌ أو مستحب، قال تعالى: **﴿واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم﴾** [الزمر / ٥٥] فأمر باتباع الأحسن، والأخذ به [١٤ / أ]، قال تعالى: **﴿فبشر عبادي * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾** [الزمر / ١٧، ١٨] فاقتضى أنَّ غيرهم لم يهده. انتهى.

وتأمل ما وقع فيه التاركون للهجرة من سوء الحال في الدين والدنيا، فيالها من عبرةٍ ما أبينها لمن اعتبر، والحمدُ لله الذي أنقذ من شاء من عباده من المهالك برحمته، وأهلك من شاء بعدله **﴿ليهلك من هلك عن بينةٍ ويحيى من حيَّ عن بينة وإنَّ الله لسميعٌ عليم﴾** [الأنفال / ٤٢]

فإذا عرفتَ ذلك،فأقول: عجباً لهذا الـمُفتري المغرور، كيف تجسَّر على الخوض في أحكام الله ودينه بضرب الأمثال والأقيسة الفاسدة وهو لا يعرف القياس وشروطه والمقبول منه والمردود، بل ولا يعرف أنواعه كقياس الأولى والعلة والدلالة والشبه والمخالفة، ولا يعرف مفسدات القياس عند العلماء ولا من يجوِّزُ منه ذلك ممن لا يجوِّز منه، ومن يجوِّزه من العلماء عند الضرورة ومن لا يجوزه منهم مطلقاً، ومن أنكره من عُلماء السلف: كجعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهما، فإنه أنكره على أبي حنيفة رحمه الله تعالى كما هو معروفٌ عنه عند العلماء، يروونه عن ابن شُبرمة، أنه قال لأبي حنيفة: اتق الله ولا تقِس، فإنَّا نقفُ غداً نحن ومَن خالفنا بين يدي الله تعالى، فنقول: قال الله قال رسول الله[2] وتقول أنت وأصحابك: رأينا وقِسْنا، فيفعلُ الله بنا وبك ما شاء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقيسوا الدين؛ فإنَّ الدين لا يُقاس، وأول من قاس إبليس. أخرجه الديلمي[3]، وقال ابنُ سيرين: القياس شرّ، وأول من قاس ابليس، وإنما عُبدت الشمس والقمر بالمقاييس[4]، وقال الامامُ أحمد رحمه

---

(١) (ط): مرجوحة. ساقطة.

(٢) (ط): رسوله.

(٣) الديلمى في مسند الفردوس رقم ٧٤٥٠ عن علي بن أبي طالب.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم ١٧٦٥٥ والدارمي في السنن رقم ١٩٥.

الله تعالى: أكثر ما يخطىء الناس من جهة التأويل والقياس.

وقال شيخ الاسلام بن تيمية قدَّس الله روحه: إنَّما المُتبع في إثبات أحكام الله: كتاب الله [١٤ / ب] وسنة رسوله ﷺ وسبيل السابقين الأولين، لا يجوز إثبات حُكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصاً أو استنباطاً، بحال. وأمَّا الأقيسةُ الفاسدةِ فإنها أكثرُ ما عند أهل الضلال، وأوَّلُ من قاس إبليس.

وقال: إنَّ اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

والمقصود: أنْ يعلم المسلمُ أنَّ بذل النفس[1] في طاعة الله ومرضاته أمرٌ مطلوب للرب تعالى من عبده؛ ليكون الدين كله لله. فمن رغب بنفسه عن ذلك، وآثر مرادَها وراحتَها وشهوتها على مُراد ربه وإقامة دينه وطلب مرضاته فقد عرَّض نفسه لمقت الله وعقابه، وحرَم نفسه ما حصل للمؤمنين المتقين من جزيل ثوابه. فلا يرجون عبدٌ إلَّا ربه ولا يخافن إلَّا ذنبه، ومن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلَّا نفسه.

ثم إنَّ هذا المغرور المسكين، قال: وأباحه الكفرَ إذا أُكره عليه؛ قال عز من قال: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلَّا من أُكره﴾ [النحل / ١٠٦]، نزلت في عمَّار بن ياسر، أخذه المشركون فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، قال (كيف تجدُ قلبك) قال: مطمئناً بالايمان[2].

فالجوابُ، وبالله التوفيق، أنْ نقول: لا يخفى أنَّ هذا الرجل ادعى لنفسه أمراً لا وجود له ولا حقيقة، واستدلَّ بدليل هو في الحقيقة عليه لا له، وذكر أمراً مُجملاً مبهماً؛ تشبيهاً على العامة ليُلبِّس عليهم أمر دينهم. وفي ضمنه أنَّه أقرَّ على نفسه بما صدر منه مما لا يُحبه الله ويرضاه، غير أنَّه اعتذر عن نفسه بالإكراه.

ومن له أدنى مسكة من عقل وتمييز يعلم أنَّه لا عذر لهذا الرجل فيما قد صدر منه؛ فإنَّ دعواه الاكراه ممنوعةٌ: لأنه إنْ كان على الاقامةِ عندهم فهذا باطلٌ قطعاً؛ لأنهم لم يحبسوه ولم يجعلوه في وثاق، ولم يجعلوا على كلِّ نقب من نقوب القرية حرساً يمنعه الخروج منها، ولا جعلوا على طُرقاتها رصداً، والمناهل

---

(١) (ط): النفوس.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٤/١٨٢ وأبو نعيم في الحلية ١/١٤ وابن سعد في الطبقات ٣/٢٤٩. وانظر بقية التخريج من الدلائل في حكم موالاة أهل الاشراك ٤٥.

قريبةٌ[1] وفيها القبائل، والفرار بالدين واجب. فأين الاكراه؟!.

هذا وقد حصل منه من الاقبال والادبار، والتصدر والافتخار [١٥ / أ] ما هو معلومٌ عند من يعرف هذا الشخص بالاضطرار. فأين حال هذا وأمثاله من حال عمّار؟!.

رضي الله عن عمار؛ فإنّه تبرأ من المشركين وسبهم، وسب دينهم ومعبوداتهم، فلذلك تصدَّروا له ولأهله بالعداوة الشديدة وما ثمَّ قرية ولا قبيلة على الاسلام. فجعلوا يضربونه أشد الضرب، ويعذّبونه أشد العذاب، وحبسوه في بئر ميمون، وقتلوا أباه وأمه، وكان النبي ﷺ إذا مرَّ بهم يقول: «اصبروا يا آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة»[2]. ومع هذا وغيره لم يقع منه[3] إلّا القول دون الفعل، وأنتم سارعتم بلا إكراه، وقلتم وفعلتم تقرباً إليهم واختياراً من غير أنْ يكون منهم طلب لما فعلتموه. فما طلبوا منكم ذلك، ولا امتنعتم ولا أكرهتم عليه. فأين أنتم وعمار، فهو وأنتم في طرفي نقيض. شعراً:

سارت مشرِّقةً وسرتَ مغرباً ... شتّان بين مشرِّقٍ ومغرب

وفي الصحيحين، عن خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بُردةً في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تدعو لنا ألا تستنصر لنا. قال: فجلس محمراً وجهه، ثم قال: «والله إنَّ من كان قبلَكم ليؤخذ الرجل فيمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه ما يصرفه ذلك عن دينه ويقعد الرجل فتحفر له الحفرة فيوضع المنشار على رأسه فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه» الحديث[4].

وبعدَ ما وقع بعمار وأهلِه من المشركين ما قوع أَذِنَ النبيُّ ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة؛ لما اشتد بهم أذى المشركين، فهاجروا وفيهم عمار رضي الله عنه، ثم إنَّه رجع هو وبعضُ المهاجرين فهاجروا إلى المدينة، وفي تلك الأحوال

(١) الأصل و (ط): قريب. ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/٣٠٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٩٣: ورجاله ثقات، والخطيب البغدادي في التاريخ ١١/٣٤٣، والبغوي وابن مَنده وابن عساكر كما في الكنز ١١/٧٢٨ من حديث عثمان، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/١٠٤ والحاكم في المستدرك ٣/٣٨٣ والحارث بن أبي أسامة كما في المطالب العالية ٤/٨٣ بألفاظ مقاربة.

(٣) الأصل: منهم.

(٤) البخاري في الصحيح رقم ٣٦١٢، ٣٨٥٢، ٦٦٤٣ وأحمد في المسند ٥/١٠٩، ١١١، ٦/٣٩٥.

لم يطمئن أحدٌ منهم إلى المشركين ولا داهنهم بدينه، واستمروا على عداوتهم والبراءة منهم حتى هاجروا إلى المدينة. وقصتهم في السير وكتب الحديث والمغازي مشهورة.

فأين القلب المطمئن [١٥ / ب] بالإيمان، وهو يرغبُ إلى أولئك الأشرار ويتعرَّض لما بأيديهم[١] من حطام الدنيا، ويتودّد إليهم بأساجيع المدح كسجع الكهان، ويقول: اكتبوا لي كذا اجعلوا لي كذا!!، ونحو ذلك من صيغ الطلب، كما في المكاتبات المشحونة[٢] بالمديح والدعوات والتعظيمات، والمجازفات الموشحة بنظم الأبيات. فسُبحان من لا يخفى عليه خافية من أقوال خلقه وأعمالهم؛ وفي الحديث «إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[٣].

ونذكرُ أيضاً طرفاً مما يتعلَّق بمعنى الآية: قال العمادُ بن كثير في تفسيره: أخبر تعالى عمَّن كفر به بعد الايمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأنّ به أنه قد غضب عليهم؛ لعلمهم بالايمان ثم عُدولهم عنه، وأنَّ لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، وطُبع على قلوبهم فهم لا يعقلون شيئاً ينفعهم، وخُتم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ولا أغنت عنهم شيئاً، فهم غافلون عمّا يُراد بهم.

وأمَّا قوله: ﴿إلاَّ من أكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾ فهو استثناءٌ ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه؛ مكرها على ما قاله، بضربٍ وأذى، وقلبُه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالايمان بالله ورسوله. وروى العَوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه؛ حين عذبه المشركون، فوافقهم على ذلك مستكرهاً. وروى ابنُ جرير بسنده، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذَّبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال: (كيف تجدُ قلبك) قال: مطمئناً بالايمان. فقال النبي ﷺ «إنْ عادوا فعد»[٤].

---

(١) (ط): في أيديهم.

(٢) (ط): الموشحة.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح رقم ٢٥٦٤ وابن ماجه في السنن رقم ٤١٩٥ وأحمد في المسند ٢ / ٢٨٥، ٥٣٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٢٤.

وقال ابنُ اسحق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه رضي الله عنهم ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة يعذّبونهم برمضاء مكة، فيمرُّ بهم رسولُ الله ﷺ، فيقول فيما بلغني «صبراً يا آل ياسر فإنَّ موعدَكم الجنة» فأما أُمُّه فقتلوها وهي تأبى إلَّا الإسلام.

قال [١٦/أ]: وحدثني حكيم بن جُبير، عن سعيد بن جبير، قال: قلتُ لابن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم، قال: نعم والله، إنْ كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه، ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضرر الذي به، حتى يُعطيهم ما سألوه من الفتنة، افتداءً منهم مما يبلغون من جهدهم[١].

قال العمادُ ابن كثير[٢]: والأفضلُ والأولى أنْ يثبت المسلمُ على دينه، ولو أفضى إلى قتله؛ كما ذكره الحافظ ابنُ عساكر في ترجمة عبد الله ابن حُذافة السَّهمي ـ أحدُ الصحابة ـ أنَّه أسرته الرومُ، فجاؤوا به إلى عند ملكهم، فقال له: تنصرَّ وأنا أُشركك في ملكي وأزوجك بنتي، فقال: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب عن أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، فقال: إذاً أقتلُك. قال: أنت وذاك. قال: فأمر به فصُلب، وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه[٣] دين النصرانية، فأبى، ثم أمر به فأنزل ثم أمر بقدْر ـ وفي رواية ببقرة من نحاس ـ فأحميت، وجاءوا بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فاذا هو عظامٌ يلوح. وعرض عليه فأبى، فأمر[٤] به أنْ يُلقى فيها، فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى. فطمع فيه ودعاه، فقال: إني[٥]إنما بكيتُ لأن نفسي إنما هي نفسٌ واحدة تُلقى في هذا القِدْر الساعة في ا لله، فأحببتُ أنْ يكون [لي][٦] بعدد كل شعرةٍ في جسدي نفسٌ تعذب هذا العذاب في الله.

---

(١) السيرة لابن هشام ١/ ٢٧٩.

(٢) كتب في هامش الأصل ما نص: قف رحمك الله وتدبر.

(٣) الأصل و (ط): على. والمثبت من التفسير.

(٤) (ط): ثم أمر.

(٥) (ط): إني. ساقطة.

(٦) إضافة من التفسير.

وفي بعض الروايات: أنّه سجنه ومنعه[1] الطعام والشراب أياماً، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل، فقال: أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأشمّتك بي، فقال الملك فقبّل رأسي وأنا أطلقك، فقال: وتطلقُ معي جميع أسارى المسلمين، قال: نعم، قال فقبّل رأسه، فأُطلق معه جميعُ أسارى المسلمين عنده. فلمّا رجع، قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: حقٌّ على كل مسلم أنْ يُقبِّل رأسَ عبد الله بن حُذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبّل رأسه رضي الله عنهما[2].

قال العمادُ رحمه الله تعالى: وكما كان بلالُ رضي الله عنه [١٦ / ب]يأبى على المشركين ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل، حتى أنهم ليضعون الصخرةَ العظيمة على صدره في شدّة الحر، ويأمرونَه أنْ يشرك بالله فيأبى عليهم، وهو يقول: أحدٌ أحد. ويقول: والله لو أعلم كلمةً هي أغيظَ لكم منها لقلتها. رضي الله عنه وأرضاه.

وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري رضي الله عنه لما قال له مسيلمة الكذّاب: أتشهد أنَّ محمداً رسول الله، فيقول: نعم. فيقول: أتشهد أني رسول الله، فيقول: لا أسمع، فلم يزل يقطعه إرباً إرباً، وهو ثابتٌ على ذلك[3].

قلتُ: فهذه حالُ أصحاب رسول الله ﷺ، وما لقوا من المشركين من شدة الأذى. فأين هذا من حال هؤلاء المفتونين، الذين سارعوا إلى الباطل وأوضعوا فيه، وأقبلوا وأدبروا، وتوددوا وداهنوا، وركنوا وعظّموا، ومدحوا؟!! فكانوا أشبه بما قال الله تعالى: **﴿ولو دُخلت عليهم من أقطارها ثم سُئلوا الفتنة لآتوها وما تلبَّثوا بها إلا يسيرا﴾** [الأحزاب / ١٤] نسألُ الله تعالى الثبات على الاسلام، ونعوذ به من مضلّات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ومن المعلوم أنَّ الذين أسلموا وآمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به، لولا أنهم تبرءوا من الشرك وأهله، وبادؤا[4] المشركين بسب دينهم وعيب آلهتهم، لما

---

(١) (ط): ومنع منه.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢٦.

(٣) المصدر السابق ٤/٥٢٥.

(٤) (ط): وبادروا.

تصدَّوا لهم بأنواع الأذى؛ وذلك لأنهم أعلمُ الأمة بالحنيفية، وأعلمهم[1] بالتوحيد، كما قال تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم أنا بُرآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة / ٤] الآية.

ثم إنه قال في رسالته: فمن شرح بالكفر صدراً، وارتدَّ وطابت نفسُه بالكفر، فهو الكافر.

فالجوابُ، أنْ يُقال: تِعدادُه هذه الثلاثة تدلُّ على جهله بنواقض الاسلام؛ لأن كلَّ واحدةٍ من هذه الثلاث يكفرُ صاحبها. وبين هذه الثلاث [١٧ / أ] تلازم،فمن شرح بالكفر صدراً فقد ارتد وطابت نفسه بالكفر، ومن طابت نفسه بالكفر فقد ارتد وشرح بالكفر صدراً. فحظُّ هذا الرجل التنطع بالكلام من غير تصور للمعنى.

ثم إنَّ آخر هذه الآية يُرشد إلى أنَّ الذي أوقعهم في انشراح الصدر بالكفر هو إيثارُ الدنيا على الآخرة، فقال: ﴿ذلك بأنَّهم استحبُّوا الحياةَ الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [النحل / ١٠٧] فإذا استحبَّ الوطنَ أو المال، أو الأزواج أو العشيرة، أو المساكن أو التجارة، أو غير ذلك من أمور الدنيا، وترك لأجل ذلك ما وجب عليه من الهجرة والجهاد، فقد تناوله هذا الوعيد؛ كما قال تعالى: ﴿قل إنْ كان آباؤُكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجُكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربَّصوا[2] حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [التوبة / ٢٤].

قال المفسِّرون في قوله تعالى: ﴿ولكنه أخلدَ إلى الأرض واتَّبع هواه﴾ [الأعراف / ١٧٦] أي: مال إلى الدنيا وزهرتها، وآثرها على طاعة الله ومرضاته[3].

فإذا كان هذا هو الواقعُ من هؤلاء، فما هذا! القلبُ الذي اطمأن بالايمان، مع وجود ما ينافي ذلك من إيثار الدنيا والطمأنينة إليها والرغبة فيها،

---

(١) (ط): واعلم.

(٢) (ط): إلى آخر الآية.

(٣) ينظر تفسير الحافظ بن كثير ٣/ ٥١٠.

وترك ما أوجب الله تعالى عليه لأجلهـا.

ومن ادَّعى ما ليس فيه كذَّبته شواهدُ الامتحـان، قال الله تعـالى: ﴿وقُل اعملوا فسـيري اللهُ عملكم ورسـولـهُ والمؤمنـون وسـتـردُّون إلى عـالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [التوبة / ١٠٥].

ثم إنَّه قال: وما أجلسه في بلده، إلاّ حماية لنفسه وماله وولده.

فالجوابُ، أنْ نقول: هذا هو المحذور الأكـبر، والذنب الأعـظم الذي ثبت الوعيدُ عليه في آية براءة، فلو كان لهذا فقهٌ أو معرفة لما اعتذر عن نفسه بأشيـاء لم يعذر الله [١٧ / ب] بها أحداً من خلقه، فلو أحبَّ الله على ما سواه لما آثر محبة النفس والمال والولد عليه.

وقد ثبت في رواية أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أمـر الله نبيـه ﷺ بالهجـرة إلى المدينـة، فمنهم من يتعلَّق به أهلُه وولـده، يقـولـون: ننشدك بالله ألاَّ تضيّعنا. فيرقُّ عليهم، ويـدع الهجرة، فـأنزل الله تعـالى ﴿قل إنْ كـان آباؤكم وأبنـاؤكم﴾ إلى قولـه: ﴿والله لا يهـدي القـوم الفاسقـين﴾[1]. إذا عرفت ذلك، فلا يخفى أنَّ أهل نجد في هذه الحادثة صاروا أصنافاً.

فالصنفُ الأول: دخلوا تحت حكم هذه الآية؛ لـمَّا ابتلوا بالعـدو أخلدوا إلى الأرض، ورضـوا بالمقـام معهم وتحت أمرهم. فـتركـوا مـا وجب عليهم من الفرار بدينهم ومُفارقة عدوِّهم؛ إيثاراً لـدُنياهم، وأحبـوا المقام، وداهنـوا أولئك الأقوام، وخدموهم وأعانوهم، وتقرَّبوا إليهـم بما لم يحبه الله ولا يرضاه، بلا قسر ولا إكراه.

الصنفُ الثاني: وهم أشد، نقضـوا عهد الاسـلام واستجلبوا العـدو إلى الأوطان، وآووهم وظاهروهم ونصروهم، ونابـذوا المسلمين المهـاجرين بـالشتم والسب وألبَّـوا العدو عليهم، وصـارت مسبة من هـاجر هي ديـدنهم[2]، وسفَّهـوا المسلمين، واستصلحوا بزعمهم حالهم: ظناً منهم أنه لا طاقة لأحد بهذا العدو، أو أنَّ أمرهم سيستقر في جميع البلاد النجدية، فضلَّ سعيُهم وخابت آمالُهم، والله غالبٌ على أمره ولكنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ١٦٤.

(٢) (ط): دينهم.

الصنفُ الثالث: حصل منهم إقامةٌ بين أظهرهم، ولم يتبين منهم ما تبين[1] من الصنفين، وهؤلاء قسمان: مستطيعٌ للهجرة، وغيرُ مستطيع، والله أعلم بحالهم.

وهؤلاء لم يظهر[2] في العلانية ما يُستدل به على السريرة، بل رُبَّما ظهر منهم كراهةَ الباطل والفساد والمعاصي، وهم على خطرٍ، والله أسأل أنْ يمنَّ على الجميع بالتوبة النصوح.

الصنف الرابع: أُناسٌ نفروا في الابتداء، وجاهدوا وصبروا، لكنهم بعد ذلك لم يستقيموا على ذلك، وحصل لم فتنةٌ صاروا فيها فرقاً، فعسى الله [١٨ / أ] أنْ يتداركهم برحمته، وأنْ يتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم.

وأمَّا الصنفُ الخامس: فهم[3] الذين ثبتوا، ولم يمكّنوا منهم عدواً، وصبروا على ركوب الأهوال في جميع الأحوال. نسأل الله لنا ولهم الثبات على الاسلام، والاستقامة على الإيمان. والفضلُ لله تعالى على من ثبت واستقام، وصبر على أذى الخلق في طاعة الحق، وبالله التوفيق.

ووجدتُ لعالِم الحجاز ومُفتيهم، الامام محمَّد بن أحمد الحِفْظي[4]، فصلاً نافعاً فيما وقع من الفتنة بالحجاز بعد وقعة بَسَل[5] المعروفة، وما جرى في تلك المدة من الافتتان عن الدين، وذكر: أنَّ الله أطفأ نار المُفسدين، وأطلع نور الموحدين، ولكنه قد حصل في تلك المدة الماضية أمورٌ عظام، هي أكبر الذنوب وأعظم الآثام، قد بلغ الشيطانُ فيها مراده ممن كان يدعي الاسلام.

منها: أنَّ منهم من كره[6] ما أنزل اللهُ في كتابه من شرائع الدين، ومنهم من

---

(١) (ط): يتبين.

(٢) (ط): يظهروا.

(٣) (ط): فمنهم.

(٤) محمد بن أحمد بن عبد القادر بن بكري بن محمد العُجيلي، فقيهٌ داعية، أديبٌ مؤرخ ت ١٢٣٧ الاعلام للزِّركلي ٦/ ١٧.

(٥) (ط): سبل. تحريف. وهو وادٍ خصب من أودية الطائف. لا يزال يحمل هذا الاسم إلى اليوم، التقت فيه جيوش الدولة السعودية الأولى مع جموع البائس المخذول محمد علي (باشا)؛ غير أنَّه بسبب التنافس الذي نشب بين عبد الله وفيصل إبني سعود على القيادة لم تستطع قواتها الصمود، فانهزمت لا تلوي على شيء. ينظر المقامات للمؤلف (الدر السنية ٩/ ٢٢٤) وعنوان المجد لابن بشر ١/ ٣٧٠.

(٦) (ط): كرم. تحريف.

طعن في ذلك وأبغض الاسلام والمسلمين، ومنهم من ظَاهر ووالى على طمس أعلام الموحدين، وأرادوا إحياء أضدادها من أعمال الجاهلية وأفعال المشركين، ومنهم من استهزأ بالله وآياته ورسوله والمؤمنين، ومنهم من رضي بذلك وعزم عليه وأعان بنفسه أو ماله أو لسانه.

وقد ورد الوعيدُ الشديد فيمن أعان ولو بشطر كلمة في قتل مسلم[1]، فكيف الإعانة على حرب الاسلام والمسلمين. ومنهم من تخلق واتصف[2] بأخلاق المنافقين، وأبرز ما كان يُكنّه من الداء الدفين، ومنهم من أشاع الكذب والأراجيفَ بقوة العدوّ وضعف أهل الايمان، فارِحاً بذلك شامتاً بالمسلمين، ومنهم من ظن بالله ظنَّ السوء بأنه أدال العدوَّ واضمحلَّ ما كان من النصر والتمكين، ومنهم من نقض بيعته ونكث [١٨ / ب] صفقته واستبدل الرخيص بالثمين.

وهذه الأمور كلُّها جرت بغير إكراه ولا تعيين، وكلُّ واحدة منها تخدشُ في وجه إيمان فاعلها، وتفتُّ في عضد إسلام عاملها، وهي من المعاند: ردةٌ عن الاسلام وإمَّا نفاقٌ في الدين. وذكر الأدلةَ من القرآن.

ثم[3] قال: فالانسان أعرفُ بنجاسته وطهارته، وأخبرُ بمعصيته وطاعته، وكفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبربك عليك رقيباً. ولعلك أنْ تقول: هوّلت الأمر. فأقول: بل الأمر أكبرُ مما حسبت، وأكثر مما سمعت ﴿**وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم**﴾ [النور / ١٥]. وذكر الأدلة على ذلك.

ثم قال: وفي السنن، أنّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حكم بكفر أهل مسجد الكوفة[4]، قال واحد: إنما مسيلمة على حق فيما قال، وسكت

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن رقم ٢٦٤٩، قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/٣٣٤: هذا إسناد ضعيف، وابنُ أبي عاصم في كتاب الديات ٢٣ والبيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٢ والديلمي في مسند الفردوس رقم ٥٨٢٢ من حيث أبي هريرة، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/٧٤ وأخبار أصبهان ١/١٥٢، ٢٦٤ وابن عساكر في التاريخ كما في الكنز ١٥/٣١ من حديث ابن عمر، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٩٨: فيه عبد الله بن خراش، ضعفه البخاري وجماعة ووثقه ابن معين وقال: ربما أخطأ، وبقية رجاله ثقات من حديث ابن عباس.

(٢) (ط): من اتصف أو تخلق.

(٣) (ط): ثم. ساقطة.

(٤) (ط): في الكوفة.

الباقون. فأفتى بكفرهم جميعاً

فلا يأمن الانسان أنْ يكون قد صدر منه كلمةَ كفر، أو سمعها وسكت عليها ونحو ذلك. فالحذر الحذر أيها العاقلون، والتوبة التوبة أيها الغافلون؛ فإنَّ الفتنة حصلت في أصل الدين لا في فروعه ولا في الدنيا، فيجب أنْ تكون العشيرة والأزواج والأموال والتجارة والمساكن وقاية للدين وفداء عنه، ولا يجعل الدين فداء عنها ووقاية لها.

قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجُكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربَّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [التوبة / ٢٤].

فتفطَّن لها وتأمّلها؛ فإنَّ الله أوجب أنْ يكون الله ورسوله والجهاد أحب من تلك الثمانية كلها، فضلاً عن واحدة منها أو أكثر أو شيء دونها مما هو أحقر[1]. فليكن الدين عندك أغلى الأشياء وأعلاها، والتوبة أهم الأمور وأولادها. انتهى المقصودُ من كلامه.

رحم الله تعالى هذا الامام، ما أبصره. والحمدُ لله الذي جعل في كل زمان من يقول الحق ويرشدُ [١٩ / أ] إلى الهدى والصدق، وتندفع بعلمه حُجج المبطلين وتلبيس الجاهلين المفتونين.

فيا لها نعمة[2] لا يستطيع من وفِّق لها أنْ يقوم بشكرها، فما ذاك إلَّا بتوفيق الله وفضله وإحسانه.

وأمَّا هذا المغرور المسكين، وأمثاله: فإنَّهم خاضوا في غمرات الافتتان، وأطمأنت قلوبهم إلى أهل الظلم والعدوان، وأكثروا التردد إليهم[3] والمسير إليهم طوعاً واختياراً، وتعرَّضوا لما في أيديهم من حطام الدنيا سراً وجهاراً. فأين القلب المطمئن بالايمان إذا كان مدعيه يجري مع الهوى في كلِّ ميدان.

فما أشبه حال هذا وأمثاله بالضرب الثاني من الضروب الأربعة، الذين ذكرهم العلامة ابنُ القيم رحمه الله؛ وهم الذين لهم أوفرُ نصيب من قوله: ﴿لا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أَتوا ويُحبُّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنَّهم

(١) (ط): أحق.

(٢) (ط): من نعمة..

(٣) (ط): عليهم.

بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ [آل عمران / ١٨٨]. يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة، ويحبون أنْ يُحمدوا باتباع السنة والاخلاص، وهذا يكثر فيمن انحرف من الـمُنتسبين إلى العلم والعبادة عن الصراط المستقيم. فإنهم يرتكبون البدعَ والضلالات والرياء والسمعة، ويحبون أنْ يُحمدوا بما لم يفعلوا من الاتباع والاخلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال.

وأمَّا قولُ المعترض المفتري ـ في وصف نفسه في تلك الحالة ـ: أنه هاجرٌ للمناهي عاملٌ بالأوامر.

فهذا[1] في غاية التناقض والمكابرة؛ فقد أقرَّ قبلَ ذلك بأنَّه كان في إقامته معهم صابراً على ما ينو به منهم من المهاون والخسائر.

فإذا كان في عِدادهم، وفي سوادهم وطاعتهم ومعونتهم بالمال، فلا ريب أنَّ هذا كله من المناهي، فهو في أوامر أولئك الخلق لا في رضى الاله الحق. وكلامُه يناقض بعضُه بعضا؛ فإنَّ العامل بأوامر الله، الهاجر لمناهيه لا تكون حاله كذلك من موالاة الباطل والركون إليه، ومظاهرة أهله وتعظيمهم، والتذلل لهم والخضوع بين أيديهم. وكلُّ هذه الأمور قد أسجل اللهُ في كتابه على فاعلها بالوعيد الشديد، وسَلْبِ الايمان وحبوط الأعمال، والله المستعان.

[١٩ / ب] فلو ترك هؤلاء المراء والجدل[2]، وأحجموا عن هذه الترهات، وتابوا وأنابوا إلى عالم السر والخفيَّات،[3] لكان خيراً لهم.

وأمَّا قوله: فذاك والله عندنا المسلم المُهاجر!!!

فأقول: ألا تعجبون يا إخواني من هذا المسكين، وأيم الله لا يقول هذا من له أدنى[4] مسكة من عقل. يدَّعي الهجرة، ويقصرها على من تركها رأساً. أين ذهب عقلُه عن قول الله تعالى: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ الآية [الحج / ٥٨]، وقوله: ﴿ومن يُهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغماً كثيراً وسعة﴾ [النساء / ١٠٠]، وقوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إنَّ أرضي واسعة فأياي فاعبدون * كلُّ نفس ذائقةُ الموت

---

(١) الأصل: وهذا.

(٢) (ط): والجدال.

(٣) (ط): والخفايات.

(٤) (ط): أدنى. ساقطة.

ثم إلينا ترجعون﴾ [العنكبوت / ٥٦، ٥٧]. إلى غير ذلك من الآيات المعرِّفة بالهجرة وثوابها، وأنَّها الانتقال من الأوطان والمساكن، ومفارقة الأهلين والإخوان في طاعة الله ومرضاته. فالمهاجر من[1] هجر أهلَ الكفر والمعاصي، بمفارقتهم والانتقال عنهم إلى محل لا يرى فيه مُنكراً ولا يسمع فيه باطلاً؛ تحيُّزاً بدينه، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة، وعليه المسلمون قاطبة.

فما أشبه هذا الرجل - في صرف الهجرة عن حقيقتها الشرعية - بالباطنية الملاحدة[2] في تأويلهم الشريعة على غير حقائقها التي أرادها الله من العباد.

قال العمادُ ابن كثير - في الآية الأولى -: يُخبر تعالى عمّن خرج مُهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وترك الأوطان والأهلين والخلَّان، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونُصرة دين الله، **﴿ثم قُتلوا﴾** أي: في الجهاد **﴿أو ماتوا﴾** حتف أنفهم[3] من غير قتال، فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجميل؛ كما قال تعالى: **﴿ومن يخرج من بيته مُهاجراً إلى الله ورسوله ثم يُدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾** [النساء / ١٠٠][4].

ومن المعلوم بالضرورة: أنَّ رسول الله ﷺ وأصحابه هاجروا عن مكة، وهي أفضل البلاد وأحبها إلى الله، ولحقوا بالمدينة امتثالاً لأمر الله، وطلباً لمرضاته، وعداوة لأعدائه، وقد قال الله تعالى فيمن لم يُهاجر معهم **﴿إنَّ الذين توفَّاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم﴾** إلى قوله: **﴿ألم تكن أرض الله واسعة** [٢٠ / أ] **فتُهاجروا فيها﴾** [النساء / ٩٧] ولم يستثن من هذا الوعيد إلَّا مَن ترك الهجرة لعدم الاستطاعة، فقال: **﴿إلَّا المُستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾** [النساء / ٩٨، ٩٩] وما سمُّوا مُهاجرين؛ وإنْ كانوا معذورين، يقولون: **﴿ربَّنا أخرجنا من هذه القرية الظالمِ أهلُها واجعل لنا من لدنك ولياً﴾** [النساء / ٧٥] الآية.

فسُبحان الله، ما أسرع هذا الرجل إلى الخطأ والخطل. وإنْ كان لا يُعذر

---

(١) (ط): من. ساقطة.

(٢) كالأسماعيلية والنصيرية والبُهرة والدروز، وما تفرع عنهم من الفرق الضالة. ينظر فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/١٤٥ وما بعدها.

(٣) (ط): أنوفهم.

(٤) تفسير الحافظ ابن كثير ٥/٤٤٣.

بالاقامة إلاَّ من جمع هذين الوصفين، فما عُذرُ امريءٍ صبر على المهاون والخسائر، ومشاهدة المعاصي والكبائر، وهو على مفارقة ذلك كله قادر. وما عذره في الصبر على ترك ما وجب عليه، وفعل ما حرَّمه الله تعالى.

لكن هؤلاء فرحوا بما عندهم من المُحال، وقنعوا بما ألِفوه من الخيال، وتركب من هذا إيثار ما عندهم على ما سواه، وقد يُحمل ذلك على أنْ يأمر بالباطل ويرتضيه، ومن لم يأمر به منهم لم ينْه عنه، بل يقرُّه ولا ينفيه، وقد يرجِّحُ أهل الشرك والمعاصي على الموحدين.

وهذا مما يُبتلى به أهل الأهواء، والمعافى من عافاه الله من إيثار أمر دنياه على أخراه. وهذا هو الواقع من بعض هؤلاء، وقد ذكر أئمتنا من أهل السنة رحمهم الله تعالى أنَّه وقع من أناس في زمانهم وقبله لا يبلغ هؤلاء معشار ما عندهم من الفهم والعلم. ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل. ولقد أحسن من قال:

يُقضى على المرء في أيام محنته   حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

والبصيرُ لا يغترُّ باستحسان هؤلاء وأمثالهم ما ركَّبوه وزينوه من باطلهم، ولا بتركهم الحق واستهجانهم له ولأهله؛ فإنَّ الله تعالى ميَّز الخلق بإراداتهم[1] وأعمالهم وأقوالهم، وبيَّن الصادق من الكاذب، وتدبر كتاب الله وتفكر في آياته وحُججه وبيناته، ولقد أحسن من قال شعرا:

فالحقُّ شمسٌ والعيون نواظر   لا تختفي[2] إلاَّ على العميان[3]

[٢٠/ ب] وأمَّا قوله: ومن كفَّر مُسلماً فهو الكافر.

فالجواب: أنَّه ما من أحد إلاَّ وهو يدَّعي الاسلام لنفسه، ولكل قولٍ حقيقة. وقد ذكر شيخُنا رحمه الله تعالى تعريفاً جامعاً لأصل الاسلام، قال: وأصلُ دين الاسلام وقاعدته أمران: الأمرُ بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه. الثاني: الإنذارُ عن الشرك في عبادة

(١) (ط): بارادتهم.
(٢) (ط): لكنها تخفى.
(٣) الكفاية الشافعية في الانتصار للفرقة الناجية ٢٥٢.

الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه وتكفير من فعله، والمخالف في ذلك أنواع:

فأشدُّهم مُخالفة: من خالف في الجميع، ومنهم من عبد الله وحده ولم يُنكر الشرك، ومنهم من أشرك ولم ينكر التوحيد، ومنهم من أنكر الشرك ولم يعاد أهله، ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم، ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه، ومنهم من أنكره ولم يعاد أهله، ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم، ومنهم من كفرهم وزعم أنه مسبة للصالحين، ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه، ومنهم من لم يعرف الشرك ولم يُنكره، ومنهم - وهو أشد الأنواع خطراً - من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره؛ فلم يبغض من تركه ولم يكفرهم، ومنهم من ترك الشرك وكرهه وأنكره ولم يعرف قدره؛ فلم يُعاد أهله ولم يكفرهم. وكلٌّ هؤلاء قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فيقالُ لهذا المسكين: تفطَّن في نفسك، هل أنت داخلٌ في هذه الأنواع. فإنْ كُنت فيها، فما أسلمت[1] حتى يثبت لك الاسلام.

ويقال أيضا: من هذا الذي كفَّرك وواجهك بالتكفير، فإنْ ثبت من شخص معروف، فيُنظر: هل وافق الحكم المحل أم[2] لا، فإنْ وافقه فلا اعتراض على من حكم بالدليل.

وإنْ لم يوافق الحكم المحل، قلنا: جوابٌ ثان عن قولك: من كفر مسلماً فهو الكافر. فيقال لك: [صحِّح][3] نسبة هذا القول إلى قائل معروف يُحتج بقوله. ويكفينا في قبوله: إذا كان له وجودٌ في دواوين الاسلام التي صنَّفها الحفاظ من أهل الحديث، فإنْ لم تجد له أصلاً بهذا اللفظ فكيف تحكيه جازماً به، وما كان كذلك فلا ينهض الاحتجاج به.

نعم قد ثبت في الصحيح، عن أبي ذر «ومن: دعا رجلاً بالكفر أو قال عدوَّ الله وليس كذلك إلاَّ حارَ عليه»[4].

فليتأمل قوله: (وليس [٢١ / أ] كذلك)، ومعنى قوله: (حار عليه)

---

(١) الأصل: سلمت.

(٢) (ط): أو.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح رقم ٦١ وأحمد في المسند ١٦٦/٥.

أي: رجع، قال الله تعالى ﴿إنَّه ظن أنْ لن يحور﴾ [الانشقاق / ١٤]. قال العلماء: وهذا وعيدٌ شديد إذا لم يكن خصومهم كذلك.

والكلامُ إنما هو على أفعال وأقوال تُناقض الاسلام، فإنَّ للاسلام نواقض مذكورة في كُتب الفقه لأرباب المذاهب الأربعة وغيرهم. فمن وقع في شيءٍ منها حكموا بردته إلاَّ أنْ يتوب ويُراجع الحق، فإنْ تاب توبة نصوحا - وهي التي استُكملت شروط التوبة له[1] - فانَّ الله تعالى يقبل توبة التائبين، إذا صحَّت منهم وظهر منهم[2] مِن صالح الأقوال والأعمال والأحوال ما يدلُّ على ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿**إلاَّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً**﴾ [النساء / ١٤٦].

فإذا حصلت هذه الأمورُ الأربعة ظاهراً وباطناً، فدلَّت الآيةُ على أن هذا[3] لا يكون مقدَّماً على أحدٍ من المسلمين، ولا يتولَّى شيئاً من أعمالهم، ولو صحَّت توبته بشروطها المذكورة في الآية.

وأمَّا من لم يُعرف له توبةٌ صحيحة، فالواجب أنْ يعامل معاملة أمثاله من المُنافقين بالإعراض عنه وجهاده على ما يقع منه؛ لأنَّ الله تعالى ميَّز عباده بالفتن، كما قال تعالى: ﴿**ولقد فتنَّا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين**﴾ [العنكبوت / ٣].

وقال تعالى: ﴿**أم حسبتم أنْ تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المُؤمنين وليجة والله خبيرٌ بما تعملون**﴾ [التوبة / ١٦]، وقال تعالى ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإنْ أصابه خيرٌ اطمأنَّ به وإنْ أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**﴾ [الحج / ١١].

وهذا الضربُ من الناس ينبغي أن يُنزَّلوا منازلهم التي أنزلهم الله، كما قال تعالى: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين**﴾ الآية [القلم / ٣٦]. فإذا كانوا قد أتوا شيئاً من المكفرات قولاً أو عملاً، أو ارتكبوا بدعة ولم يتوبوا توبة نصوحاً، فيجب على كلِّ مسلم أنْ يبغضهم على ذلك؛ كما ورد في الحديث «أوثقُ عُرى

---

(١) (ط): له ساقطة.

(٢) (ط): منهم. ساقطة.

(٣) (ط): أنه.

الايمان الحبُّ في الله والبغض في الله﴾[1]. فمن لم يحب أهل التوحيد والايمان، ويبغض أهل البدع والضلال، فقد نقضَ أوثقَ عُرى الاسلام.

[٢١ / ب] وقد جاءت الأحاديثُ والآثار بالتحذير من أهل البدع، والترغيب في هجرهم والبعد عنهم.

فمن ذلك: ما روى اللالكائي في [كتاب][2] السنة، عن الفُضيل بن عياض: من أتاه رجلٌ فدلَّه على مُبتدع، فقد غشَّ الإسلام. فاحذروا الدخول على أصحاب البدع، فإنَّهم يصدُّون عن الحق[3].

وقال أيضاً: لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أنْ تنزل عليك اللعنة، ومن أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نورَ الاسلام من قلبه، وصاحبُ البدعة: لا تأمنه على دينك، ولا تُشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه؛ فمن جلس إلى صاحب بدعةٍ أورثه العمى[4].

وأخرج اللالكائي، عن عطاء الخراساني، قال: ما يكاد الله أنْ يأذن لصاحب بدعة بتوبة[5]. وأمثالُ هذا كثيرٌ عن السلف والأئمة، فلو تتبعناه لطال الجواب.

إذا عُرف ذلك: فلو قُدِّر أنَّ رجلاً من المسلمين قال، في أناس قد تلطخوا بأمور قد نصَّ العلماء على أنها كفر؛ مستندين في ذلك إلى الكتاب والسنة، غيرةً لله، وكراهة لما يكره الله من تلك الأعمال، فغيرُ جائز لأحد أنْ يقول في حقهم: ومن كفَّر مُسلماً فهو الكافر.

على أنا لا نعلم أنَّ أحداً من المسلمين كفَّر شخصاً بعينه، اللهم إلاَّ أن يحكي أفعالهم فظنُّ السامع لذلك أنَّه كفَّرهم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٨٦ وابن أبي شيبة في كتاب الايمان رقم ١١٠ والطيالسي في المسند رقم ٧٤٧، وانظر بقية التخريج في كتاب أوثق عُرى الايمان للشيخ سليمان بن عبد الله ٢٧.

(٢) إضافة من (ط).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ٢٦١.

(٤) المصدر السابق رقم ٢٦٢.

(٥) المصدر السابق رقم ٢٨٣.

وأمَّا الحديثُ الذي ذكرناه: فقد تأوَّله العلماء بما هو معروف، كأمثاله من أحاديث هذا الباب، كحديث «سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفر»[1] وأيضاً فهو مقيَّدٌ بقوله: (وليس كذلك).

ولا يخفى ما جرى من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: كقولهم[2] في مالك بن الدُخشم: إنه مُنافق لا يحب الله ورسوله. فلم يُعنفهِم النبي ﷺ، بل قال «آلا تراه قال لا إله إلا الله» فقال الله ورسوله اعلم، فإنا نرى وجهه ونصيحته للمنافقين، فقال النبي ﷺ: «فإنَّ الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[3]. وقد قال بعضُ العلماء: إنَّ ذلك الرجل كان من أهل بدر.

ومن المعلوم أنَّ الخوارج طعنوا على ولاة الأمر، وكفَّروا علياً ومن قاتل معه من الصحابة وغيرهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ الأمرُ بقتالهم والبشارة لمن قاتلهم، كما هو معروفٌ ثابت في الصحيحين [٢٢ / أ] والسنن والمسانيد.

ولما قيل لعلي: أكفارٌ هم. فقال: من الكفر فروا. فلو ذكرنا الأحاديث الواردة في الخوارج لطال الجواب.

وكلامُ العلماء على الحديث المتقدم ذِكْرُه: قال النووي في شرح مسلم - ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلَّا حار عليه -: هذا مما عدَّه بعضُ العلماء من المشكلات، فإنَّ مذهب أهل الحق لا يكفِّر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا، وفي تأويل الحديث أوجه، أحدُها: أنَّه محمولٌ على المُستحل، والثاني: معناه رجعت عليه معصيته، والثالث: أنه محمولٌ على الخوارج المكفِّرين للمؤمنين، وهذا ضعيف؛ لأن الصحيح المُختار الذي قاله الأكثرون المحققون: أنَّ الخوارج لا يكفَّرون، والرابع: أنه يؤول إلى الكفر؛ لأن المعاصي بريدُ الكفر. انتهى مُلخصاً[4].

فانظر إلى ما حكاه النووي رحمه الله، من أنَّ الصحيح الذي قاله

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح رقم ٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦ ومسلم في الصحيح رقم ٦٤ وأحمد في المسند ١/١٧٦، ١٧٨، ٣٨٥، ٤١١، ٤٣٣ من حديث ابن مسعود.

(٢) (ط): كقوله.

(٣) ينظر تخريجه في كتاب أوثق عُرى الإيمان ٦٤.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢/٤٩.

الأكثرون المحققون: أنَّ الخوارج لا يُكفِّرون ببدعتهم، وحسبك بهذا الإمام. فمن تأمَّل أحوال الصحابة رضي الله عنهم عرف الخطأ من الصواب، لكن من أعظم الآفات عدم العلم، وفساد القصد. وهما آفةُ الأكثرين وفساد الدين، نسألُ الله العافية في الدنيا والآخرة.

فما الذي حمل هذا المسكين على التمويه على جهلة الناس، وتشكيكهم في أمر دينهم والإلباس؟!!.

فمن ذلك، قوله في آخر ورقته: فرحم الله امرءاً قال الحق وبه صدع، فالحق أحق أنْ يُتبع.

فالجواب، أنْ يُقال: تأمل ما تقدم من الجواب، فإنَّ الحق بحمد الله فيه ظاهر. فإنْ كان طالب حقٍّ وجده، وإلاَّ فقد قامت عليه الحجة وانزاحت الشبهة عمَّن أراد البيان ووفق لفهم العلم والايمان، والله المستعان.

فعسى الله أنْ يمنع عنه موانع الهداية وأسباب الضلالة والغواية؛ فإنَّ هذا الرجل قد قال بمقالة الخوارج وهو لا يدري، وذلك في قوله [٢٢ / ب] ومن كفَّر مُسلماً فهو الكافر.

وبيانه فيما أسلفناه من كلام النووي رحمه الله: من أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة عدم التكفير بالذنوب، وهذا قد حكم بالكفر على مُرتكب هذا الذنب. فلو قُدِّر أنَّ أحداً قال في حق مسلم صحيح الاسلام أنَّه كافر، فأهلُ السنة لا يكفِّرونه بذلك؛ لأن هذا ذنب من الذنوب، وقد عرفت تأويلهم للحديث، وأنَّ الأخذ بالظواهر ـ المخالفة لأصول السنة وما عليه الصحابة والتابعون وعلماء الأمة ـ هو رأي الخوارج؛ كما قال العلاَّمة ابنُ القيم رحمه الله تعالى شعراً:

من لي بِشبْه خوارجٍ قد كفَّروا ... بالذنب تأويلاً بلا حُسبان[1]
وهم نصوصٌ قصَّروا في فهمها ... فأتوا من التقصير في العرفان[2]
هم خالفوا نصًّا لنص مثله ... لم يفهموا التوفيق بالاحسان

(١) في الكافية: بلا إحسان.
(٢) الكافية الشافية ١٠٣.

لكنكم خالفتم المنصوص بالشبه[1] التي هي فكرة الانسان[2]

والمقصود: بيانُ حال صاحب الورقة، وأنه قال بقول الخوارج المخالف لما عليه أهل السنة والجماعة. فكفَّر المسلمين بدعوى ادعاها؛ لعلَّةٍ اختلقها أو تلقَّاها ممن لا يُعتمد عليه ولا يعوَّل في الأخبار عليه.

وقد تقدَّم قولُه في الهجرة أنَّه[3] من لزم وطنه مع ما يقع فيه من الظلم والفساد أنَّه هو المُهاجر الصابر. وقد عرفت أنه عكَس الحقيقة، وخالف الكتاب والسنة، والفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، وأنكر ما هو معصومٌ من الدين بالضرورة.

وقوله المُشار إليه: يُشبه قول الباطنية الإسماعيلية الملاحدة[4]، الذين تأوَّلوا شرائع الدين على غير حقائقها، وقولُهم يتضمَّنُ تعطيل الشرائع، وهم من أضر المبتدعة على دين الاسلام.

هذا ونحنُ نعلم أنَّه قد وقع فيما وقع فيه عن جهالة؛ فلو عرف حقيقة طرق[5] المبتدعة، لعلم أنَّ اقتفاء آثارهم من أعظم المطاعن [٢٣ / أ] عليه، لكنه يُقال في حق مثله شعراً:

إذا كُنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإنْ كُنت تدري فالمصيبةُ أعظم

ومن عجيبِ أمر هذا الرجلِ وأمثاله ـ ممن انتصب للتدريس بلا علم، وأفتى من غير إجازة ولا فهم ـ: أنَّ منهم من يصرِّح بتكفير أهل لا إله إلاَّ الله علماً وعملاً ودعوةً وجهاداً؛ بكونهم يكفرون عبَّاد الأوثان، وهم يقولون لا إله إلاَّ الله. وهذا منهم في غاية التناقض والفساد، ومخالفة الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهذا شرٌّ من قول الخوارج كما لا يخفى على أُولي البصائر.

---

(١) في الكافية: للشبه.

(٢) الكافية الشافية ١٠٤.

(٣) (ط): أن.

(٤) من أخبث الطوائف وأشدِّها بُعداً عن الإسلام، ولا زال لهم ـ مع الأسف الشديد ـ بقايا في الهند ومصر والشام وجنوب الجزيرة!!

(٥) (ط): حال.

وقد أشرتُ فيها تقدم إلى حاله، وأنه لا يدري ما يقول ولا يدري أنه لا يدري[٤]. فلو سكت لكان يسعنا السكوت عنه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢].

---

(١) الأصل: ما يقول وأنه لا يدري ولا يدري أنّه لا يدري.

(٢) كتب في الأصل بعد ذلك ما نصه: وقع في الفراغ من نسخ هذه الرسالة العظيمة ـ في إزاحة ما وقع من تلك الشبهة الوخيمة ـ. في ١٤ شعبان/ رمضان سنة ١٣١٤ بقلم الفقير إلى الله عبده: عبد العزيز بن فوزان، غفر الله له ولوالديه ومشايخه واخوانه المسلمين، وثبّته على دين الاسلام منضماً في سلك أوليائه وأنصاره حتى يُلاقي الحمام. وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد الغر المحجلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اهـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المراسلات

الحمد لله مولى النعم ودافع النقم

والصلاة والسلام على المصطفى سيد الأمم وعلى آله وصحبه وسلم وبعد: فقد كانت ولا تزال المراسلات عنوان اللقاء في الحاضر والغابر وبلسم الشفاء ووسيلة من وسائل الدعوة والإخاء وهي من هدي المصطفى ﷺ فقد كتب لهرقل عظيم الروم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم أسلم تسلم وبهذه الصيغة وعلى هذا المنوال جرت، المكاتبات بين الخاصة والعامة بلفظ من فلان إلى فلان وتأسياً بالنبي ﷺ سار علماء الدعوة السلفية. ففي القرن الثاني عشر الهجري أخذت المراسلات مأخذها لتجديد النصح والمشاورات والإجابة على الاستفتاءات فقد دونَتْ لنا دواوين علماء الدعوة السلفية في الجزيرة العربية الشيء الكثير من ذلك. ولما لتلك المراسلات من فوائد جمة وحل لمشاكل الأمة فقد وقع الاختيار على ما كتبه العالم النحرير والبدر المنير المجدد الثاني والعالم الرباني الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام من مراسلات لتكون في كتاب واحد عسى أن يكون للقراء فاتحة خير وقرة عين والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله وسلم.

إسماعيل بن سعد بن عتيق
١٤٠٨/٦/١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ المحب الإمام المكرم فيصل بن تركي ألهمه الله رشده ووقاه شر نفسه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد تعلم أن نصيحتي لك نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم لأن بصلاحك يقوم الدين ويصلح أكثر الناس وفي الحديث «الدين النصيحة» قالها ثلاثاً، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» وقد جعل الله لأهل الإيمان نوراً يمشون به في الناس وهذه البلوى التي ابتلى الله بها أهل نجد من فتنة خالد والعسكر وقبله إبراهيم باشا ميز الله بها أهل نجد طيبهم وخبيثهم وتفاوتت مراتبهم في الشر والزيغ والفساد وكثرت السفاهة والقسوة ولا تخفى حالهم إلا على من لا بصيرة له كما قال تعالى: ﴿**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**﴾ وقال تعالى: ﴿**ليميز الله الخبيث من الطيب**﴾ الآية وقال تعالى: ﴿**آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين**﴾ إلى قوله ﴿**وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين**﴾ وهذا أمر مشاهد لمن جعل الله في قلبه نوراً. وقد وسم الله المنافقين بأقوالهم وأعمالهم وجعل الله أهل الإيمان

شهداء على الناس قال تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾

فيجب على من ولاه الله أمر الدين والدنيا، أن لا يتهم من أقامهم الله شهداء على الناس وهو يعلم منهم محبة الإسلام ومحبة أهله وبغض الباطل وأهله فكيف لا تقبل شهادة من أقامهم الرب شهداء في أرضه على أعمال خلقه؟ وقد قال في المؤمنين المهاجرين والأنصار ﴿**أولئك بعضهم أولياء بعض**﴾ وقال: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾.

ومن الفساد الكبير على ما ذكر العلماء ضعف الإيمان وقوة الباطل وقد حذر الله نبيه ﷺ من طاعة الكافرين والمنافقين فقال تعالى: ﴿**يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً**﴾ عليماً بما يصلح عباده حكيماً في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

ولما كان التحذير من أولئك من أهم مقامات الدين قال الله لنبيه ﴿**واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**﴾ وقال: ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**﴾ وقال: ﴿**فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى**﴾ وفي الأثر: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالبعد عنهم واطلبوا رضاء الله بسخطهم. وقال تعالى: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون**﴾ وقال ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**﴾.

فالمساواة بين أهل الأهواء والزيغ وبين أهل الإيمان والمعاصي، وجعلهم في رتبة أهل الإيمان أو فوقهم خلاف ما أحبه الله وأمر به عباده وهو في نفسه فساد وذلك سبب سخط الله وحلول عذابه فعليك بمن إذا قربتهم قربك الله وأحبك وإذا نصرتهم نصرك الله وأيدك، واحذر أهل الباطل الذين إذا قربتهم

أبعدك الله وأوجب لك سخطه قال تعالى : ﴿**قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً**﴾ وفي الحديث «من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً»

وقد رأينا عجباً: أنَّ من التفت إلى أحدٍ دون الله، خذله الله به وسلَّطه عليه. قال العلماء رحمهم الله: قضى الله قضاءاً لا يُردّ ولا يدفع، أن من أحبَّ شيئاً دون الله عذب به ومن خاف شيئاً دون الله سلط عليه. وأنت تجد وترى كثيراً من الناس قدمهم ولاة الأمر في شيء من أمورهم فتعززوا على الناس وتجاسروا على الأهواء ومخالفة الشرع في أقوالهم وأعمالهم فخافهم أهل الدين (فمنهم) من ذل لهم واعتذر بعدم القدرة (ومنهم) من استصلح دنياه خوفاً من كيدهم. وأنت تجد هؤلاء إذا ظهرت حالهم كابروا العقول بزخرف من القول والكذب، واستعانوا على افكهم بأمثالهم محافظة على العلو والفساد.

فلو وفق الإمام بالاهتمام بالدين واختار من كل جنس اتقاهم وأحبهم وأقربهم إلى الخير لقام بهم الدين والعدل. فإذا أشكل عليه كلام الناس رجع إلى قوله ﷺ : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» فإذا ارتاب من رجل هل كان يحب ما يحبه الله نظر في أولئك القوم وسأل أهل الدين من تعلمونه أمثل القبيلة أو الجماعة في الدين وأولاهم بولاية الدين والدنيا؟ فإذا أرشدوه إلى ما كان يصلح لذلك قدمه فيهم، ويتعين عليه أن يسأل عنهم من لا تخفى عنه أحوالهم من أهل المحلة وغيرها، فلو حصل ذلك لثبت الدين وبثباته يثبت الملك، وباستعمال أهل النفاق والخيانة والظلم يزول الملك ويضعف الدين، ويسود القبيلة شرارها ويصير على ولاة الأمر كفل من فعل ذلك. فالسعيد من وعظ بغيره وبما جرى له وعليه. وأهل الدين هم أوتاد البلاد ورواسيها فإذا قلعت وكسرت مادت وتقلبت كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله ولكن رواسيها وأوتادها هم فأنت إذا فعلت ما قلت لك قام بك الدين والعدل وصارت سنة حسنة في هذا الزمان ونلت أجر من أقام السنة كما في الحديث: «من سن في

الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

فإن انعكس الأمر كما هو الواقع كانت سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

ومن المعلوم أن النفس تميل إلى الراحة وطلب رضى الخلق. وفي النظر فيما يرضي الله مخالفة للخلق أو بعضهم ولكن طريق الجنة حزن بربوة، واقرأ قوله تعالى: ﴿**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ وقوله: ﴿**وإياي فاتقون**﴾ وقوله: ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾ وقوله: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا**﴾.

فإذا عرفت أن العبد لا يأتيه ما يكره إلا من شرور نفسه وسيئات أعماله وأن نواصي الخلق في قبضة الرب تبارك وتعالى وأن قلوبهم بين أصبعين من أصابعه أفادك القيام بدينه وأخذت في أسباب ذلك والحب فيه والبغض فيه والتقريب له والأبعاد لأجله، وجعلت أفعالك تطابق أمره الشرعي الديني، وتتحرى مرضاته في كل قول وفعل وتقديم أو تأخير أو غير ذلك، فلو صلح تدبير الإمام فيما ولاه الله من الحاضرة أصلح الله البوادي وغيرهم، فإن الأعمال حجة لك أو عليك، وأنت سالمٌ والسلام، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)

من عبد الرحمن بن حسن إلى عثمان بن منصور

وبعد أشرفت على خطك وهو كلام من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ولكن نبين لك أنَّك جئت من الزُّبير والبصرة هاك الجيَّة، وجرى عليك من آل فايز الذي أنت خابر لأجل طول إقامتك في أماكن يعبد فيها غير الله، وأراد الله

---

(١) الدرر السنية ١١/٣٢.

سبحانه وتعالى أن كبارنا يقدمونك في سدير لأجل اسم العلم والذي بان لهم أنك عرفت صحة هذه الدعوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى توحيد الألوهية وإنكار الشرك والبراءة منه الذي ما يصير الإنسان مسلماً إلا به، والذي يدخل هذا قلبه ويتقدم بالناس ، ويصير له مشاركة في العلوم : يدعو الناس إليه، ويحثُّهم عليه، ويُبيِّن لهم معنى لا إله إلا الله، وما دلَّت عليه: من إخلاص العبادة ونفي الشرك وما تقتضيه من المعاداة والمولاة والحب والبغض كذلك حقوق لا إله إلا الله ولا حصل منك شيء من هذا أبداً ولا حصل منك إلا ضد هذا، إذا جاء عندك مشرك أو إنسان ما ينكر الشرك من أهل هذه الأمكنة استأنست معه وقدرته وأكرمته.

فإذا كان يريد أن يتزوج زوجتموه ولا حصل منك إلا إذا جاء أهل سدير يتنازعون في أموالهم، أو يستفتونك في مسألة فرعية. والذي هذا حاله ما يجوز أن يلين معه الجانب أو يرد له رأس، فلو أن لك معرفة في التوحيد أو قبولاً له لكنت تكثر ذكره كما قيل: من أحب شيئاً أكثر من ذكره بل الذي يذاكر في التوحيد ويلهج به وينكر الشرك ويبغض أهله ويعاديهم ما يجوز عندكم إلا كما يجوز رأس الحمار، ولولا هذا كان ما يجهلك. أن طلبة العلم هم ربعي وهم إخواني وهم خاصتي ولكن أنت ما لقيت فيك حيلة إذا فتشنا عن كلامك في شرحك وفي غيره وجدنا معتقدك في توحيد الألوهية معتقد عبد الله المويس حظه منها اللفظ مع إنكار المعنى وتضليل من عمل بمعناها وقام بمقتضاها، والجهال ما يدرون الحقيقة والذي هذه حالته يجب التحذير عنه نصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويا ليتك ثم يا ليتك قمت بهذا الدين وأحببت أهله ودعوت إليه وأنكرت ضده. لكن القلوب بيد الباري يقلبها كيف شاء، وأسأل الله أن يقلب قلبك إلى الإسلام ويدخل فيه الإيمان، فإن وفقك الله للتوبة فلا علينا منك ولا عليك منا، ولو ما صادقناك ورافقناك ما يضر.

ومن الأمور الظاهرة البينة أنك دأبك تكتب في الخوارج وتذكر كلام شيخ الإسلام فيهم والواقع في كثير من الأمة أعظم من مقالة الخوارج عبادة الأوثان

وتزيين عبادتها وإنكار التوحيد، ولو أن في قلبك من التوحيد شيئاً فعلت فعل عبد الله أبا بطين: ما صبر يوم أن كان داود وأمثاله يشبهون على الناس رد عليهم من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة وأقوال العلماء والأئمة ودحض حججهم بالوحي.

والخوارج ما عندنا أحد منهم حتى في الأمصار ما هنا طائفة تقول بقول الخوارج إلا الأباضية في أقصى عمان ووقعوا فيما هو أكبر من رأي الخوارج وهي عبادة الأوثان ولا وجدنا خطك في الخوارج إلا أن أهل هذه الدعوة الإسلامية التي هي دعوة الرسل، إذا كفروا من أنكرها قلت يكفّرون المسلمين لأنهم يقولون (لا إله إلاَّ الله).

والله أعلم، آخر ما وجدت من هذه الرسالة وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ المحب عبيد بن رشيد سلمه الله تعالى وهداه ووفقه لما يحبه ويرضاه آمين.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد وصل الخَط وسرَّنا طيبكم وسلامتكم، ونحمد إليكم الله تعالى على ما أسداه من الإنعام، وما منَّ به من معرفة دين الإسلام، نسأل الله المزيد من ذلك، والثبات عليه والاستقامة والمحافظة عليه، وذلك فضله وإحسانه تعالى لمن وفقه له وهداه له. وما ذكرتَ من أن بعض الناس يوجب صيام يوم الثلاثين من شعبان إذا حال دون منظره غيم أو قتر، ويستدل بقوله في الحديث: «فإن غم عليكم فاقدروا له» ويقول إن القدر التضييق مثل قوله تعالى: ﴿**ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله**﴾ وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صامه وصامه بعض الصحابة.

(١) الدرر السنية ٩/ ٢٣٠.

فالجواب أن هذا القول أخذ به بعض الحنابلة، وبعضهم مع الأئمة الثلاثة، وأكثر العلماء لا يقولون بوجوبه ولا باستحبابه قال في الإنصاف: وإن حال دون منظره غيم أو قتر وجب صومه، وعنه لا يجب قال الشيخ هذا مذهب أحمد المنصوص الصريح عنه، ولا أصل للوجوب في كلامه ولا كلام أحد من الصحابة. انتهى كلام شيخ الإسلام.

قلت: ذكر ابن عبد البر وغيره، أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه صامه إلا عبد الله بن عمر صامه احتياطاً، قاله ابن القيم. وذكر أن ابن عباس رضي الله عنه أنكر عليه صيامه. قال الحافظ محمد بن عبد الهادي رحمه الله وقد روي من غير وجه مرفوعاً النهي عن صوم يوم الشك وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم نهوا عن صوم يوم الشك منهم حذيفة وابن عباس ونص الإمام أحمد رحمه الله في رواية المروذي أن يوم الثلاثين من شعبان، إذا غم الهلال، يوم شك. وهذا القول صحيحٌ بلا ريب، قال الحافظ وليس في هذا الحديث الذي استدل به المتأخرون دليل على وجوب الصوم أصلاً بل هو حجة على عدم الوجوب فإن معنى «اقدروا له» احسبوا له قدره وذلك بثلاثين يوماً فهو من قدر الشيء وهو مبلغ ليس من التضييق في شيء، والدليل على ذلك ما في صحيح مسلم عن ابن عمر «فإن غم عليكم فاقدروا ثلاثين» أي فأكملوا العدة ثلاثين، وابن عمر هو الذي روى حديثهم الذي احتجوا به وصرح في هذه الأحاديث بمعناه وهو إكمال شعبان ثلاثين. واستدل الأئمة على تحريم صيامه بحديث عمار وهو ا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والترمذي عن صِلَـة بن زفر قال: كنا عند عمار بن ياسر وأتي بشاة مصلية فقال كلوا فتنحى بعض القوم فقال عمار: من صام اليوم الذي فيه الشك فقد عصى أبا القاسم ﷺ.

قلت وهذا عند أهل الحديث في حكم المرفوع وقد جاء صريحاً في حديث أبي هريرة الأمر بإكمال عدة شعبان ثلاثين إذا غبي الهلال وهو عند البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أو

قال أبو القاسم ﷺ : «صوموا لرؤيته وأفطروا لـرؤيته فـإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» قال الحافظ وهذا الحديث لا يقبل التـأويل وذكـر أحاديث كثيرة منها ما رواه أبو داود وأحمد وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم رمضان لرؤيته فإن غم عليه أتم ثلاثين يوماً ثم صام، وهذا صريح في أنه ﷺ لم يشرع لأمته صيام الثلاثين من شعبان إذا غم الهلال ليلته فبهـذا وغيره من الأحـاديث يظهر أن الحجة مع من أنكر صيام ذلـك اليوم إذا غم الهـلال ليلته وأنَّ السُّنَّة إكمال شعبان ثلاثين إذا لم ير الهلال وهو اختيار شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

وأمـا مسألـة الفطر للمسـافر في رمضـان أو الصيـام فـالـذي دلت عليه الأحاديث أن المسافر إذا كان سفره مباحاً أنه يخير بين الفطر والصيام، فلا ينكر على من صام ولا على من أفطر، روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول الله ﷺ عن الصيام في السفر وكـان يسرد الصوم فقال رسول الله ﷺ : «إن شئت فصم وإن شئت فأفطر» قال أبـو عيسى في حديث عائشة رضي الله عنها : هذا حديثُ حسنٌ صحيح ، وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا نسافـرُ مع رسـول الله ﷺ في شهر رمضان فمـا يُعابُ على الصـائم صومَـه ، ولا على المفطر فِطرَه ، وفيه أحاديثُ غير هذين الحديثين .

وأمَّا إتمام الصـلاة في السفر : ففعله أميـرُ المؤمنين عثمانُ بن عفـان ، وعائشة أُمُّ المؤمنين رضي الله عنهما ، وعند الحنابلة أنه إن أتم في سفر جاز ، ولم يكره وعلى هذا فلا يُنكر على من أتمَّ الصلاة ، والقصرُ أفضل .

لكن قد يحصل مع الغزاةِ تردد في قصد الولاة بالغزو، ولأنه ربما غلب عليهم إرادة الملك والعلو وإرادة الدنيا والثناء والعز فيكون جهاده عليه لا له كما في الحديث أن النبي ﷺ سأله رجل فقال يا رسول الله الرجل يقاتـل شجاعـة

ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم جهنم: يقال للمجاهد إنما قاتلت ليقال هو جريء فقد قيل فيؤمر به إلى النار، فليكن منك ذلك على بال. قال قتادة رحمه الله تعالى في قوله تعالى: **﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾** قال هذا والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر.

وأما إحياء العشر الأواخر من رمضان فهو السنَّة لما جاء في حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أيقظ أهله وأحيا ليله وجد وشد المئزر. وفي الحديث الآخر «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وصح أن النبي ﷺ قام الليل كله حتى السحر. إذا عرفت ذلك فلا ينكر قيام العشر الأواخر إلا جاهل لا يعرف السنة.

وأما من يوصي بثلث ماله وله ذرية ضعفاء فقراء، فإن كانت الوصية على أعمال البر جاز لمتوليها أن يدفع إليهم من الوصية ما يستعينون به في حاجاتهم، وإن كانت الوصية لأناس معينين أعطوا ما وصى لهم به، فإن كان على حج غير حجة الإسلام فتصرف على المحتاج من ذريته، وكذلك ما كان على أضحية صرفت على فقراء ذريته لأن الصدقة عليهم أفضل إذا احتاجوا إليها، فلا بد من تنفيذ الوصية ابتداء، ثم يكون النظر للمتولي عليها انتهى [(1)].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخوان من أهل العلم والفهم سلمهم الله تعالى. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد تفهمون حُبَّ الدنيا ومضرَّتها على الدين، ويقع من الذين لهم مع

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ١/٣٢٧.

الكَدَّادة [1] معاملة بدين السَّلم ، وأنا قد أشرفتُ على شيءٍ من إنسان مظنَّةُ للخير . ولكن إذا وجد له شبهه طار بها فرحاً لما فيها من بعض الراحة من التعب ، ولو يلتزم المشروع ، هان عليه العمل به ، ووجدَ له راحةً أعظم ، وفي الأحاديث المتفق عليها كحديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من ابتاع طعاماً فلا يَبعْه حتى يستوفيه » وفي لفظ « حتى يقبضه » وعن ابن عباس مثله . وهذه الأحاديثُ صريحةٌ في النهي عن بيعه قبل القبض، والاستيفاء. فلا يصْدُق على القبض والاستيفاء ، إلاَّ حصوله كله مقبوضاً .

وأما إذا أخذ دراهم البدوي مثلاً وتمالأ هو وإياه على السعر روَّح[1]وكيله أو هو بنفسه وأمر الكداد أن يصرم لهما ويزن للبدوي بدراهمه وصار يكيل للبدوي كل زبيل يعلقه مرتين فهذه حيلة رديئة لانه قد باع الكل قبل قبضه الذي دلت عليه الأحاديث فيكون قد باع ما لم يقبض ولم يدخل في ضمانه وإنما هو مال صاحب النخل باعه له غريمه فإذا قبضه والحالة هذه صار الكل مالا للمدين فيقع الغريم في خطر عظيم. وتصرفه في هذه الدراهم تصرف في مال الغير، فان انفق على نفسه وأهله منه صار ينفق عليهم من مال غيره فان بقيت هذه الدراهم وعامل بها مرة ثانية صار يعامل في مال غيره للغير ربحه ورأس ماله وربما أنه يأخذ معه ثلاثين سنة أو أكثر وهو يعامله بماله وتصير تجارة لغيره وليس له الا الدين الاول في ذمة الغريم ويكون جزءاً بالنسبة إلى ما أخذ من المال ثمن المال ثمن أو غيره ولا دخل في ضمانه،وإنما ضمانه على صاحب الثمر لو أتلفه أو تلف فهذا مما يترتب على مخالفة المشروع مع تحمل الآثام المخالفة، فإن قال قائل هذا أخذ الدراهم في ذمته قلنا هذا سلم، ولا يجوز بالإتفاق والواقع يمنع صحة هذه الدعوى لانه ما قام بنفسه الا أنه يكيل له من نخل هذا المدين بخصوصه فهذه من الحيل التي لا حقيقة لها ولا للإنسان مخرج الا في

---

(١) المزارعون .

(٢) أرسل .

العمل بما شرعه الله ورسوله ، وترك الحيل رأساً ، فهو الذي ان باع حلالاً وان أكل أكل حلالاً ، وإن عامل فبالحلال هذا وأنتم سالمون والسلام[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه اجمعين، وسلم تسليما.

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ راشد بن مطر سلمه الله وهداه، وأعانه على طاعته وتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد الخط وصل وسرنا ما افهم من معرفتكم للإسلام وقبوله زادكم الله من ذلك، وبصركم آياته وبيناته، وكره اليكم كل مفتون وضلالاته، وتذكر انه في جهتكم أناس من الجهمية والرافضة والمعتزلة فلا ريب أن هذه الفرق الثلاث هي اصل ضلال من ضل من الامة. فأصل الرافضة خرجوا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما اطلع على سوء معتقدهم خذ الاخاديد وجعل فيها الحطب واضرمها بالنار فقذفهم فيها وهم الذين احدثوا الشرك في صدر هذه الامة بنوا على القبور وعمت بهم البلوى ولهم عقائد سوء يطول ذكرها.

وأما المعتزلة فأولهم نفاة القدر جحدوا اصلاً من أصول الإيمان التي في سؤال جبرائيل للنبي ﷺ قال: فاخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» وانكر الصحابة رضي الله عنهم عليهم ما احدثوا من هذه البدعة، ولهم عقائد سوءٍ، يقولون بتخليد أهل المعاصي في النار ونفوا صفات الرب تعالى ووافقوا الجهمية فخرج

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ١/٣٤٢ .

أولهم في عصر التابعين. وأولهم الجعد بن درهم انكر الصفات وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير واسط يوم الأضحى ، وظهر بعده جَهْمُ بن صفوان ، الذي تُنسب إليه الجهمية ، وهذا المذهب الخبيث : انتشرت مقالته في خلافة المأمون بن الرشيد فعطلوا الصفات ، ونفوا الحكمة وقالوا بالجَبْر .

فهذه الطوائف الثلاث هم أصل الشرفي هذه الامة وصارت فتنة الجهمية أكثر انتشاراً ودخل فيها من يدعي أنه على السنة وليس كذلك فخالف الكتاب والسنة وسلف الامة وأئمتها وعم ضررهم فجحدوا الصفات وتوحيد الالوهية الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه فهم خصوم أهل التوحيد والسنة إلى اليوم، فاياكم أن تغتروا بمن هذه خاله ـ ولو كان له صورة ودعوى في العلم ـ ممن امتلأ قلبه من فرث التعطيل، وحال بينه وبين فهم الادلة الصحيحة الصريحة شبهات التأويل.

قال الإمام أحمد رحمه الله : أكثر ما يخطىء الناس من جهة التأويل والقياس . فصنف المتأخرون من هؤلاء على مذهبهم الفاسد مصنفات : كالأرجوزة التي يسمونها جوهرة التوحيد ، وفيها إلحادٌ وتعطيل، لا يجوز النظر إليها ، ولهم مصنفاتٌ أخرى نفوا فيها علو الرب تعالى، والكتاب والسنة يردَّان بدعتهم ويبطلان مقالتهم ؛ فإن الله تعالى أثبت استواءه على عرشه : في سبعة مواضع من كتابه كقوله ﴿ **ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً** ﴾ وقوله ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾ ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ ﴿**إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ ﴿ **وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ إلى غير ذلك من أدلة الصفات الصريحة في الكتاب والسنة ، ولا تتسع هذه الرسالة لذكرها .

وهذه الطائفة التي تنتسب إلى أبي الحسن الاشعري وصفوارب العالمين بصفات المعدوم والجماد، فلقد أعظموا الفرية على الله وخالفوا أهل الحق من

السلف والائمة وأتباعهم وخالفوا من ينتسبون اليه فإن أبا الحسن الاشعري صرح في كتابيه الإبانة والمقالات بإثبات الصفات، فهذه الطائفة المنحرفة عن الحق قد تجردت شياطينهم لصد الناس عن سبيل الله فجحدوا توحيد الله في الإلهية وأجازوا الشرك الذي لا يغفره الله فجوزوا أن يعبد غيره من دونه وجحدوا توحيد صفاته بالتعطيل، فالأئمة من أهل السنة وأتباعهم لهم المصنفات المعروفة في الرد على هذه الطائفة الكافرة المعاندة كشفوا فيها كل شبهة لهم، وبينوا فيها الحق الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وما عليه سلف الامة وأئمتها من كل امام رواية ودراية، ومن له نهمة في طلب الادلة على الحق ففي كتاب الله وسنة رسوله ما يكفي ويشفي، وهما سلاح كل موحد ومثبت، لكن كتب أهل السنة تزيد الراغب وتعينه على الفهم، وعندكم من مصنفات شيخنا رحمه الله ما يكفي مع التأمل فيجب عليكم هجر أهل البدع والإنكار عليهم.

وأما رفع الايدي بالدعاء بعد المكتوبة فليس من السنة.

أما الافغانية الذين جاؤنا ووصلوا إلى جهتكم فهم أهل تشديد وغلو مع جهل وزيف أشبهوا الخوارج الذين كفروا أصحاب رسول الله ﷺ ،وقد أخبر النبي ﷺ بمروقهم وأمر أصحابه بقتلهم ولهم عبادة وزهد لكنهم أخطأوا في فهم الكتاب والسنة واستغنوا بجهلهم عن أن يأخذوا العلم من أصحاب رسول الله ﷺ كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله. (ولهم نصوص قصروا في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان).

وقد ناظر ابن عباس رضي الله عنه أهل النهر وان فرجع بعضهم إلى الحق واستمر بعضهم على الباطل حتى قتلهم علي رضي الله عنه بالنهر وان ففيهم المخدج الذي أخبر به النبي ﷺ فإذا كانت هذه الطائفة قد خرجت في عهد الخلفاء الراشدين فلا بد أن يكون لهم أشباه في هذه الأمة فاحذروهم. وتأمل قوله تعالى في حق سادات الأمة أصحاب رسول الله ﷺ ﴿ واعلموا أن فيكم

رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون، فضلاً من الله ونعمةً والله عليم حكيم ﴾فليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا، والله أعلم.

وصلّى الله على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً [١].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٦)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخوان علي بن حمد الجريوي واخوانه رزقنا الله واياهم قبول الإسلام، وهدانا وإياهم سبل السلام.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد وصل الخط وصلكم الله إلى ما يرضيه، وتذكرون أمرَ الهُتيميُّ الذي معه الحيَّات ويبيع سقوة على الناس البدو والحضر يسقيهم من ريقه ويأخذ عليهم العهد ويدعي أن من سقاه من ريقه ان الحية ما تلدغه ولا أنكر عليه في سدير الا عبد العزيز بن عبد الجبار جزاه الله خيراً وتذكرون أن عثمان بن منصور تابعه وقبل منه سقوته هذا تحققناه منكم ومن سبيع الذين جاءونا من جهتكم ويذكرون أنهم توقفوا عنه في مبدأ أمره وأهل القرى كذلك حتى واجه ابن منصور وقبل منه وخط معه خطاً وبعد هذا تزاحم عليه البدو والحضر منهم الذي سقوته بدراهم والذي بتمر والذي بعيش والذي بغنم والذي بسمن والذي حصل منهم باعه في تمير وبعد هذا طب المجمعة وطردوه، وخط عبد العزيز بن عبد الجبار أشرفنا عليه وذكر كلام العلماء وإنكارهم على من فعل هذا وأخذ الحيَّات وان هذه أحوال شيطانية تحصل بواسطة الشياطين إذا تقرب اليهم

---

(١) الرسائل والمسائل ١/٣٤٤ .

بالشرك بالله وهذا ما يوجد الا في أجهل الناس وأبعدهم عن الله وعن دينه وعبد العزيز جزاه الله خيراً أدى الذي عليه.

وأما إبن منصور فالله أعلم أنه معاقب فلا ندري هذا كله جهل أوله مقصد شر والا فالذي على فطرة أولَهُ عقل ينكر هذا بفطرته وعقله وذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتاب الفرقان من الأحوال الشيطانية أموراً من هذه تركنا ذكرها لئلاً يطول الجواب. فهذا من جنس أحوال الكهان مع الشياطين، والكهانة أنواع هذا منها وفي الحديث (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) وأمور الكهانة وما شابهها من الاستمتاع بالشياطين والاستكثار منهم محاها الله سبحانه بما أطلع في نجد من الدعوة إلى توحيد الله، وامتدت إلى كثير من الجزائر كما مَحا الله من قبل ببعثة رسول الله ﷺ فسد ﷺ أبواب الشرك وأحوال الجاهلية وحمى الإسلام، فمن ذلك ما ثبت في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً إن الرقى والتمائم والتولة شرك » فلم يبح من الرُّقىٰ إلاّ ما خصَّه الدليل من الآيات القرآنية، والأذكار النبوية، والدعوات المعروفة بالألفاظ العربية.

وأما ما كان بأسماء الشياطين أو بما لا يعرف معناه فينهى عنه لهذا الحديث وحكمه التحريم. فإذا كان هذا حال الرقى التي فيها من الالفاظ ما لا يعرف معناه فكيف بما هو ظاهر انه من أعمال الشياطين مع من تولاهم مثل هذا الهتيمي، وأمثاله ممن شاهدناهم بمصر؟!! لا شك أنه من أعمال الشياطين. ولهؤلاء اعتقاداتٌ شركيةٌ في معبودهم الذي يعبدونه من دون الله، وأكثر هذه الطرائق محشوة بالشرك والبدع، وقوله في الحديث والتولة شرك ذكر العلماء أنها تشبه السحر وما يشبه السحر فهو شرك وكذلك التمائم شرك للتعلق بها والاعتماد عليها من دون الله وفي بعضها أسماء الشياطين وما لا يعرف معناه، فكل هذه الامور لا تجامع الإسلام الصحيح بل تنافيه إذا اشتملت على ما هو شرك بالله من التوكل على غيره ونحو ذلك، وقد وقع في نفوس كثير من الجهال الذين

أخذوا عن هذا الهتيمي كثير من تصديقه وقبول ما جاءهم به من هذه الضلالة وهذه فتنة وقانا الله شرها. وبسط القول في ذلك وذكر ما قاله العلماء له موضع آخر ان شاء الله تعالى. وبلغ سلامنا الاخوان وخواص الاخوان. والشيخ علي والشيخ عبد اللطيف ينهون السلام وأنتم سالمون والسلام [1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٧)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الابن صالح بن محمد الشثري سلمه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد وصل الخط وصلك الله إلى ما يرضيه، وسرَّنا طِيبَك وعافيَتك والحمد لله على ذلك وما ذكرت من عبارة الفقهاء في الحج فاما قولهم أركان الحج الوقوف وطواف الزيارة بلا نزاع فيها فإن ترك طواف الزيارة رجع معتمراً لانه على بقية إحرامه فهذا في حق من تركه. قال في الانصاف: وأما المحصر عن طواف الإفاضة بعد رمي الجمرة فليس له أن يتحلل ومتى زال الحصر أتى بطوافه وتم حجه وذبح هديا في موضع حصره وهذا المذهب، واختار ابن القيم رحمه الله في الهدى أنه لا يلزم المحصر هدي، وأما من أحصر لمرض أو ذهاب نفقة لم يكن له التحلل حتى يقدر على المبيت فإن فاته الحج تحلل بعمرة، ويحتمل أنه يجوز له التحلل كمن حصره عدو وهو رواية عن أحمد قال الزركشي ولعلها أظهر واختارها الشيخ تقي الدين قال ومثله حائض تعذر مقامها وحرم طوافها أو رجعت ولم تطف لجهلها بوجوب طواف الزيارة أو لعجزها عنه ولو لذهاب الرفقة: وقال في الفروع وكذا من ضل الطريق ذكره في المستوعب. هذا حاصل ما ذكره في الانصاف في حكم من فاته طواف الزيارة لهذه الاسباب، وأما إذا أحصر عن فعل واجب فإنه يتحلل على الصحيح من المذهب وعليه دم له وحجه صحيح. وقال: القاضي أنه يتوجه فيمن حصر بعد تحلله الثاني: يتحلل.

---

(١) مجموعة الرسائل ١/٣٤٧.

قلت ولعل مراده أنه لم يبق عليه من المناسك شيءٌ إلَّا أن يكون طواف الوداع أو رمي الجمار والمبيت بمني ، وهذه الأفعال يأتي بها الحاج بعد التحلل ، وأما إذا بقي عليه شيءٌ من المناسك التي محلها قبل التحلل الثاني فإنه يبقى محرماً ليأتي بها ، كما يأتي بها من لم يحصر عن واجب كالمبيت بمزدلفة ورمى جمرة العقبة ، فلا يجوز أنْ يأتي بذلك إلَّا وهو محرمٌ فتدبَّر .

وسلم لنا على الشيخ وإخوانه وحمولتنا وخواص الأخوان بخير وينهون السلام[١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٨)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ المحب الشيخ المكرم عبد الله بن عبد الرحمن ألبسه الله حلل الإيمان. سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد وصل الخط أوصلك الله إلى ما يرضيه ، وسرَّنا حيث أشعر بطيبك وصحة حالك ، والمُحب بحمد الله بخير وعافية .

وما ذكرتَ من المسألة التي وقعت عندكم صورتها : أن امرأةً دفعت حُليَّها إلى بنتها تتجمل به لزوجها ، وهم في بيتٍ واحد ، فكانت تستعملُه في حياة أمها فلما ماتت ادعت البنت استحقاقها لذلك .

فالجواب أن الذي يظهر لنا :أن البنتَ لما لم تدع الهبة لا تملكه بمجرد الاذن في الاستعمال، والظاهر أن ذلك اعارة لا تمليك ومفهوم كلام الاصحاب رحمهم الله الذي أشرتم اليه يدل على هذا لان الام لم تجهزها به إلَّا بيت زوجها فلم يوجد ما هو تمليك، وأما الصورة التي سئل عنها الشيخ سليمان بن علي رحمه الله : فالفرق بينها وبين مسألتنا ظاهرٌ ، وذلك أن الأم ادعت أن ذلك الحُلي الذي اشترته وألبسته البنت ، أنه ليس للبنت. والظاهر أن ما كان عليها فهو لها بحكم اليد ، وليس لهذا أصلٌ يعارض هذا الظاهر .

---

(١) مجموعة الرسائل ١/٣٥٤ .

وأما مسألتنا فالأصل فيها قويٌ ، ولم يوجد ما يُنقل عن ذلك الأصل القوي ، فيبقى حُكم الأصل . هذا ما ظهر لي في حكم المسألة والله أعلم ، وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٩)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ الشيخ جمعان بن ناصر سلمه الله تعالى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد وصل الخط أوصلك الله إلى ما يرضيه، وسرَّنا ما ذكرت من السكون واستقامة الحال، والأحوال من فضل الله على ما تحب وجاءك منا خط مع فالح من رجال الأمير عائض وما ذكرت من عبارة الإقناع : أن الطلاق يقع في النكاح الفاسد ـ وهو المختلف فيه ـ كالنكاح بولاية فاسق أو شهادة فاسقين ونكاح الأخت في عدة أختها ثم قال : ولا يقع في النكاح الباطل إجماعاً .

الجواب ـ وبالله التوفيق ـ أن الفاسد هنا هو ما اختلف في صحته ؛ لأن كلاً من المختلفين إمامٌ مجتهد ، وله استدلالٌ على ما ذهب إليه، فإذا قال الإمام أحمد رحمه الله : أن النكاح لا يصح لحديث كذا، وقال به أصحابه ومن تبعهم ؛ لقوة دليله عندهم ، ورأينا غيره يقول بالصحة ويقدح في إسناد حديثه مثلاً فإنا لا نحكم والحالة هذه بأن النكاح لم ينعقد ، فنقول هو فاسد . ولا يخرج من ذلك إلَّا بالطلاق خروجاً من خلاف العلماء .

وأما الباطل : فهو ما أجمع على بطلانه لظهور دليله وعدم المعارض فيكون غير منعقد من أصله فلا يحتاج إلى طلاق ما لم ينعقد بيقين .

وأما طلاق الثلاث : فإنه يقع عند الجمهور مفرقاً أو مجموعاً، وهو الذي عليه العمل سلفاً وخلفاً من خلافة عمر ومن بعده وهو كذلك عند الأئمة الأربعة

---

(١) المجموعة ١/ ٣٣٥ .

وهو الأصح في مذاهبهم عند أصحابهم وإن كان الخلاف فيه إنما اشتهر عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة إبن القيم رحمهما الله تعالى أخذا بما كان الأمر عليه في عهد رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر، والجمهور أخذوا بالآخر من اجتهاد عمر، ولهم أجوبة عما استدل به شيخ الإسلام معروفة، وعمدتهم فيما ذهبوا إليه من إيقاع الثلاث مطلقاً ظاهر القرآن فإن الله تعالى لم يجعل له إلا ثلاث تطليقات قال تعالى: ﴿**الطلاق مرتان**﴾ ثم قال: ﴿ **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره**﴾ وبذلك أفتى ابن عباس وغيره وهو حبر الأمة، فالاستدلال بفتيا ابن عباس والصحابة أحق، والاستدلال بقول شيخنا أولى من الاستدلال بقول الشوكاني لأنه رجل من أهل صنعاء يخطىء كثيراً وإن كان يصيب في بعض، فليس هو حجة على أحد ولا بحتج بقوله، ولو لم يكن إلا أنه مجهول الحال في العلم والدين لكفى وإن كان ينظر في الكتب فالذي بضاعته ما يأخذه عن الشوكاني مزجي البضاعة وافي الغباوة والوضاعة[1]. وبلغ عبد الرحمن وصالح وإبراهيم وإخوانهم السلام، ومن لدينا الحاضر من آل الشيخ وإخوانهم ينهون السلام وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٠)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ حمد بن عبد الله بن عمران سلمه الله تعالى وتولاه، واستعمله فيما يحبه ويرضاه، وأعانه على القيام يشكره فيما أعطاه من نعمه وأولاه، التي أعظمها نعمة الإسلام والإيمان، جعلنا الله وإياه ممن عرف النعمة فقبلها وأحبها وعمل بها أنه ولى ذلك والقادر عليه يهدي من يشاء برحمته وفضله، ويضل من يشاء بحكمته وعدله، لا إله غيره ولا رب سواه.

---

(١) وهذا المقال من الشيخ عبد الرحمن في الشوكاني كان قبل أن يشتهر كلامه في توحيد العبادة وفي شرح المنتقي فلما اشتهر وعرف أثنى عليه علماء نجد وقد وصفه الشيخ عبد الرحمن في موضع آخر بقوله الشيخ محمد بن علي الشوكاني قاضي صنعاء اليمن.

(٢) المجموعة ١/٣٥٨ .

والخط وصل وصلك الله إلى ما يرضيه وثبتنا وإياك على الإخلاص الذي هو سبب الخلاص وعلى الإسلام الذي هو مركب السلامة، وعلى الإيمان الذي هو تمام الأمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وتسأل عن أناس يسافرون من نجد لأخذ ما أوصى به الموصون بأن يحج به عنهم بالنيابة فلا يخفاك أن الذين يأتون إليكم ما يطلعوننا على ما قصدوه وأرادوه لكثرة السفار إلى الأقطار، وقد أشرت لطلبة العلم ولمن سألني من عوام المسلمين أنه لا تصح النيابة في الحج إذا أخذ ما أوصى به الموصي إلا إذا أخذه ليحج فيكون القصد أن يتوصل بما يأخذه إلى بيت الله رغبة في رؤية البيت والطواف به وكثرة ثواب العمل به كما قال الخليل عليه السلام: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) وبعض الناس مولع بزياره هذا البيت فيطلب ما يتوصل به إليه فتصح نيابته في الحج والعمرة على هذا الوجه، وأما إذا حج ليأخذ الأجرة فلا يصح حجه وإن سماه بعض الفقهاء جُعلا فهو استئجار بلا ريب، وقد نص الفقهاء رحمهم الله تعالى على أنه لا يجوز أخذ الأجرة على عمل يكون قربة يتقرب به إلى الله كالأذان والصلاة، وأظن أن أكثر من يسافر لأخذ الوصايا بالحج إنما قصدوا هذا الثاني والله أعلم بما تنطوي عليه الضمائر من الإرادات والنيات والمقاصد، فهذا الذي ذكرت لك هو الذي نأخذ به ونفتي به المستفتين ونبينه للجاهلين بحسب القدرة والطاقة، هذا وبلغ سلامنا الإخوان وفاطمة بنت قضيب وأمثالك من الإخوان الكرام العارفين قدر ما أنعم الله به من نعمة الإسلام التي ضل عنها من ضل، وزل عنها وعن معرفة حقيقتها من زل، ومن لدينا الإمام وأولاده وابني عبد اللطيف وإخوانه وأولاده وأولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخواص إخواننا من المسلمين بخير وعافية وأنت سالم والسلام[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١١)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ في الله الشيخ رجب سلمه الله.

---

(١) المجموعة ١/٣٦٤.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد وصل الخط أوصلك الله إلى رضاه، وجعلنا وإياك ممن الجنة مسكنه ومأواه، آمين. وبعد فمما ذكرت من المسائل.

(المسئلة الأولى) إذا كان أحد أولاد الرجل ضعيفاً وأعطاه لضعفه فهل يجوز أن يخصه بذلك أم لا؟

(الجواب) أن الولد الضعيف يلزم أباه الغني أن ينفق عليه فيكون من باب الواجب الذي سبب وجوبه حاجة الابن، فإن كان من الأولاد من هو مثله وجب له مثل ما يجب لأخيه الماضي.

(المسئلة الثانية) قال ﷺ: «لا تستحلفوا الناس على صدقاتهم» وتابعه عمر رضي الله عنه، فمعنى الحديث والله أعلم إذا كان العامل يظن له مالاً فلا يحلفه على مجرد ظنه، وأما إذا عرف له مال وجحد أو ادعاه لغيره مثلاً ممن هو غائب فالتهمة قائمة فيجتهد العامل إلا أن يكون موثوقاً به يعرف منه الصدق والديانة فلا يحلف، فالمسألة لها صور ثلاث ولها صورة رابعة وهي ما إذا عرف أن هذا الذي في يده من المال ليس لغيره فتؤخذ منه الزكاة على كل حال.

(المسألة الثالثة) إذا كان لرجل أرض فوهبها لابنه الصغير فإن أقبضها له وأشهد أو جعلها في يد رجل آخر وجعله وكيلاً في قبضها منه لابنه لزمه ذلك لوفاء شرطه، وإن لم يقبض فلا لزوم وعلى كل حال للوالد أن يرجع في هبته للولد، وأما إذا مات وصح القبض فلا رجوع على ما ذهب إليه الأكثرون من العلماء.

(المسئلة الرابعة) فيمن ماله مائة وخمسون وقد أوصى لرجل بثلث ماله ولآخر بعشرة فإذا لم يجز الورثة ما زاد على الثلث فيجعل الثلث وهو خمسون ستة أسهم، لصاحب الثلث خمسة أسهم كل سهم ثمانية وثلث، ولصاحب العشرة واحد من ثمانية وثلث، وأما الحديث فلم أقف عليه ومعناه صحيح والله أعلم [1].

---

(١) المجموعة ١/٣٦٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٢)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ المحب الشيخ عبد بن حمد سلمه الله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد وصل الخط أوصلك الله إلى ما يرضيه، وسرنا حيث أشعر بطيبك وصحة ذاتك، والأخ يحمد إليك الله على ما أنعم، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين، وإخوانكم في الحال التي تسركم، وما ذكرت من حالكم سرنا جعلها الله حالاً مرضية، ومن نزعات الشيطان محمية؛ وما ذكرت من عبارة الإنصاف نقلاً عن الفروع فهذه المسئلة خالف فيها شيخ الإسلام الأئمة وأكثر العلماء فجوز إجارة الشجر مفرداً بآصع معلومة مثلاً لمن يقوم عليها بالسقي وتكون الثمرة له أي للعامل، وليس لصاحب الشجر إلا ما وقع عليه العقد من الأجرة سواء كانت الأجرة من جنس ما يحمل به ذلك الشجر أو غيره كما تجوز إجارة الزرع بجامع أن كلاً منهما إنما قصد مغله، بخلاف بيع السنتين وهو بيع ما أثمر هذا البستان من الثمر مثلاً سنة أو سنتين فأكثر من غير أن يقوم عليه وإنما اشترى ثمار سنين معدومة فهذا لا يجوز بالإجماع لأن الثمرة لا يجوز بيعها قبل بدو صلاحها ولو كانت موجودة فكيف إذا كانت معدومة؟ وهذا هو الذي دلت السنة على المنع منه.

وأما إجارة الشجر لمن يعمل عليه لأجل الثمرة فليس بيعاً للثمرة قبل وجودها وإنما وقع العقد على الشجر كالأرض تستأجر للزرع لكن لما ورد على طريقة الشيخ أن هذا شجر قد لا يحمل وقد تنقص ثمرته عن العادة فيكون الضرر على المستأجر.

أجاب عن ذلك بأن الثمرة لو لم توجد أو وجدت ثم تلفت قبل أوان جذاذها فلا أجرة ويرجع بها المؤجر إن كان قد قبضها منه لعدم حصول المقصود بعقد الإجارة، وإن نقصت ثمرة الشجر عن العادة فله الفسخ ويرجع بالأجرة وقدر عمله أو أرش النقص كما إذا كانت العادة أنها تثمر بألف مثلاً فلم

يحصل منها هذا العام إلا نصفه مثلاً رجع بنصف الأجرة أو ثلاثة أرباعه فكذلك، وهذا كالجائحة أي كما توضع الجوائح عن مستأجر الأرض أو الحوانيت ونحوها إذا أصاب الزرع جائحة من الآفات فإنه يوضع من الآجرة عن المستأجر بقدر ما نقص المغل بالجائحة نصفاً كان أو أقل أو أكثر، هذا وبلغ الإخوان من الطلبة والأولاد والأمراء وإبراهيم الشتري وصالح وحمد ومن يعز عليك السلام، ومن لدينا الإمام والشيخ علي وآل الشيخ والشيخ إبراهيم بن سيف وخواص الإخوان والطلبة بخير ينهون إليكم السلام[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٣)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ فائز بن علي وإخوانه من طلبة العلم سلمهم الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد وصل خطك أوصلك الله إلى ما يرضيه، والذي أوصيكم به جميعاً ونفسي تقوى الله تعالى والإخلاص لوجهه الكريم في طلب العلم وغيره لتفوزوا بالأجر العظيم، وليحذر كل عاقل أن يطلب العلم للمماراة والمباهاة فإن في ذلك خطراً عظيماً، ومثل ذلك طلب العلم لغرض الدنيا والجاه والترؤس بين أهلها وطلب المحمدة وذلك هو الخسران المبين، ولو لم يكن في الزجر عن ذلك إلا قوله تعالى: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيهاوهم فيها لا يبخسون* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**﴾ وفي حديث أنس مرفوعاً «من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار» وهذا القدر كافٍ في النصيحة وفقنا الله وإياكم لحسن القول.

وقد بلغني أنكم اختلفتم في مسائل اختلافاً أدى إلى النزاع والجدال وليس هذا شأن طلاب الآخرة فاتقوا الله وتأدبوا بآداب العلم واطلبوا ثواب الله في تعلمه وتعليمه، وأتبعوا العلم بالعمل فإنه ثمرته والسبب في حصوله كما في

(١) المجموعة ١/٣٦٨ .

الأثر «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم» وكونوا متعاونين على البر والتقوى، ومن علامات إخلاص طالب العلم أن يكون صموتاً عما لا يعنيه متذللاً لربه متواضعاً لعباده متورعاً متأدباً لا يبالي ظهر الحق على لسانه أو على لسان غيره، لا ينتصر ولا يفتخر، ولا يحقد ولا يحسد، ولا يميل به الهوى، ولا يركن إلى زينة الدنيا .

(وأما المسئلة الأولى) وهي هل يصح من الحائض إذا قدمت مكة أ أن تسعى قبل الطواف أم لا؟

(الجواب) لا يصح السعي إلا بعد طواف صحيح لنسك من الأنساك، أما المفرد والقارن فسعيهما بعد طواف القدوم مجزىء لحجتهما كما يجزىء القارن لعمرته، وأما المتمتع فيسعى بعد طواف العمرة لها. ولا يجزئه للحج إلا أن يسعى بعد الإفاضة بعد طواف، قال بعضهم يطوف للقدوم ويسعى بعده، والمختار أنه لا يطوف للقدوم وليس عليه إلا طواف الزيارة وعليه أن يسعى بعده للحج، فإن سعى قبله لم يجزه، قالوا ويجب أن يكون السعي بعد طواف واجب أو مستحب، هذا كلام الحنابلة لا خلاف بينهم في ذلك، وقال الشافعي لو سعى ثم تيقن أنه ترك شيئاً من الطواف لم يصح سعيه فيلزمه أن يأتي ببقية الطواف، فإذا أتى ببقيته أعاد السعي نص عليه الشافعي، وبنحوه قال مالك وأبو حنيفة، ومما يستدل به لذلك حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: فلما كنا في بعض الطريق حضت فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال: «ما يبكيك؟»» قلت وددت أني لم أكن خرجت العام فقال: «ارفضي عمرتك، وانقضي رأسك، وامتشطي وأهلي بالحج» ومعنى ارفضي العمرة ارفضي أعمالها فلو صح سعي قبل الطواف لما منع منه حيضها كما لا يمنع من سائر المناسك والله أعلم.

وأما السؤال عن قوله ﷺ في شأن الرجل الذي صلى بالتيمم ولم يعد لما وصل إلى الماء «أصبت السنة وأجزأتك صلاتك» وقال للذي أعاد «لك الأجر مرتين» فلا شك أن الذي لم يعد قد أصاب الحكم الشرعي بدليل قوله ﷺ :

«أصبت السنة وأجزأتك صلاتك» وأما الذي أعاد فهو مجتهد فيما فعل فإنه يثاب على الصلاة الأولى والثانية وهو كونه صلى الثانية كما أثيب على الصلاة الأولى، ومن المعلوم أن الفريضة أفضل من التطوع من جنسه وغير جنسه إلا في أربعة أشياء ليس هذا محل ذكرها.

وأما السؤال الثالث فيمن نوى جمع تأخير حيث يجوز الجمع فدخل وقت الثانية قبل أن يصلوا إلى الماء، فالأفضل في حقهم أن يؤخروا الصلاة إلى الماء ما لم يدخل وقت الضرورة، فإن صلوا قبل وصولهم إليه أجزأتهم الصلاة بالتيمم ولا إعادة عليهم.

وقول السائل وهل يكون وقت الاختيار للثانية وقت للأولى أم لا؟

(الجواب) يكون وقتاً لها في حق من يجوز له الجمع إذا نواه فتنبه والله أعلم. يقول كاتبه إبراهيم بن راشد إنه لما قال ممليه ليس هذا محل ذكرها طلبت منه أن يذكرها فأملى علي نظماً بيتين للسيوطي والأخير لمحمد الخلوتي.

الفرض أفضل من تطوع عابد	حتى ولو قد جاء منه بأكثر
إلا التوضؤ قبل وقت وابتدا	ء بالسلام كذاك وابراء معسر
وكذا ختان كان قبل بلوغه	أنعم به نظم الإمام المكثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٤)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ سليمان بن عبد الله سلمه الله تعالى.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد وصل الخط وصلك الله إلى ما يرضيه وما أشرت إليه من أن بعض

---

(١) المجموعة ١ / ٣٧٠.

الناس يوقف عقاره وشجره على ذريته الذكور ما تناسلوا والأنثى حياتها. فهذا وقف الإثم والجنف فيه من الحيلة على حرمان أولاد البنات مما جعل الله لهم في العاقبة ، وهذا الوقف على هذا الوجه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، وغايته تغيير فرائض الله بحيلة الوقف وقد صنف فيه شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأبطل شبه المعارضين، ولا يجيزه إلا مرتاب في هذه الدعوة الإسلامية وقصده مخالفة أمام المسلمين، أو جاهل لا يعرف السنّة من البدعة والهدى من الضلال، جاهلاً بأصول الشرع ومقاصد الشريعة ونعوذ بالله من الإفتاء في دين الله وشريعته بلا علم والسلام.

(المسئلة الثانية) فيمن غرس أرضاً مستأجرة للغراس ومضت مدة الإجارة إلى آخره.

(فالجواب) وبالله التوفيق في الكافي لابي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة وان استأجرها للغراس جاز وله الغرس فيها فان غرس وانقضت المدة وكان مشروطاً عليه القلع عند انقضائها أخذ بشرطه ولا يلزمه تسوية الحفر. فإن لم يكن شرط القلع لم يجب القلع، وللمستأجر قلع غرسه لانه ملكه ولزمه تسوية الحفر فإن لم يفعل فللمؤجر دفع قيمته ليملكه، وإن أراد قلعه وكان لا ينقص بالقلع أو ينقص لكنه يضمن ارش النقص فله ذلك، وان اختار اقراره بإجرة مثله فله ذلك، ولصاحب الشجر بيعه للمالك ولغيره فيكون بمنزلته، والبناء كالغراس في جميع ما ذكرنا انتهى. ملخصاً فتأمله فإنه كاف في الجواب عما في السؤال والله أعلم [١].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٥)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان سلمه الله تعالى وعافاه آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد وصل الخط وصلك إلى ما يرضيه، وما ذكرت كان معلوماً وتسأل

(١) المجموعة ١/ ٣٧٤.

عما إذا غم مطلع الهلال ليلة الثلاثين من شعبان هل يصام يومها أم لا ؟ ولا يخفي ان صيامها من مفردات مذهب الإمام أحمد. وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله نفي أن يكون الإمام أحمد أوجبه وقال: ليس في كلام أحمد ما يدل على وجوبه وقال: يحتمل الاستحباب والاباحة وللإمام الحافظ محمد بن عبد الهادي مصنف ذكر فيه ما ورد فيه من النهي عن صيامه وذكر في بعض روايات حديث ابن عمر (فإن غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين) وذكره عن غير ابن عمر أيضاً مرفوعاً وهذا يدل على المنع من صيامه والأحاديث صحيحة مقطوع بصحتها، والمنع من صيامه هو اختيار شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ومن أخذ عنه وينهون عن ذلك لوجوه أربعة (الاول) أن تلك الليلة من شعبان بحسب الأصل ولا تكون من رمضان الا بيقين (الوجه الثاني) النهي عن تقدم رمضان بيوم أو يومين فمن صامه فقد تقدم رمضان (الوجه الثالث) الأحاديث التي فيها التصريح بالنهي عن صيامه وذلك قوله: ﴿ **فاكملوا العدة ثلاثين** ﴾ وفي بعضها تخصيص شعبان (الوجه الرابع) حديث عمار من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ﷺ وهو يوم شك بيقين، هذا حاصل الجواب وسلم لنا على أحمد واخوانه ومن لدينا اسماعيل واخوانه بخير وينهون السلام وأنت سالم والسلام [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٦)

من عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، إلى أخيه حمد ابن مانع حفظه الله تعالى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأنا أحمد الله الذي لا إله إلا هو ونحن بخير وعافية أتمها الله علينا في الدنيا والآخرة، وكل من تسأل عنه طيب والأمور على ما تحب، والإسلام يزداد ظهوراً، والشرك يزداد وهناً، نسأل الله تمام نعمته، وسر الخاطر ما ذكرت من جهة جماعتكم عسى الله أن يهدينا وإياكم

---

(١) الرسائل والمسائل ١/ ٣٧٥ .

الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم.

وأما المسائل التي ذكرت فاعلم أولاً أن الحق إذا لاح واتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق، وقد عرفت غربة التوحيد الذي هو أوضح من الصلاة والصوم ولم يضره ذلك، فإذا فهمت قول الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم، فاعلم أن مسئلة الاوقاف النزاع فيها معروف في كتب المختصرات وفي شرح الاقناع في أول الوقف أنهم اتفقوا على صحة الوقف في المساجد والقناطر يعني بقعها لا الوقف عليهما واختلفوا فيما سوى ذلك.

إذا تبين ذلك فأنت تعلم أن الرسول ﷺ قال: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) وفي لفظ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وتقطع أن رسول الله ﷺ لم يأمر بهذا ولو أمر به لكان الصحابة أسبق الناس إليه وأحرصهم عليه، وتقطع أيضاً أن رسول الله ﷺ أتى بسد الذرائع وهو من أعظم الأشياء ذريعة إلى تغيير حدود الله، هذا على تقدير ان العالم المنسوب اليه هذا يصحح مثل أوقافنا وأنى ذلك وحاشا وكلاً، بل إنهم يبطلون الوقف الذي يقصد به وجه الله على أمر مباح ويقولون لا بد منه على أمر قربة، وأما كونه جعل ما له بعد الورثة على بر فهذا لا يكون الا بعد انقراضهم وعادتنا نفتي ببطلان مثل هذا ولا نلتفت إلى هذا المصرف الثاني. وذكر بطلان مثل هذا في الشرح الكبير وغيره.

(المسئلة الثانية) وهي وقف المرأة على ولدها وليس لها زوج إلى آخره، فكذلك تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين الرسول ﷺ ولو شرعه لكان أصحابه أسرع الناس اليه سواء شرط على قسم الله أم لا وهذا في الحقيقة يريد أمرين (الاول) تحريم ما أحل الله لهم من بيعه وهديته والتصرف فيه (والثاني) حرمان زوجات الذكور وأزواج الإناث فيشابه مشابهة جيدة ما ذكر الله عن المشركين في سورة الانعام، ولكن كون الرسول ﷺ لم يأمر به كاف في فساده صلحت نية صاحبه أم فسدت.

(المسئلة الثالثة) إذا لم يعلم هل هذا وقف على من يرث أم لا ، ولكن الإفاضة على أنه على من يرث . فأنا لا أدري شيئاً عن هذه المسئلة ، لكن أرى لك التوقف عنها ولا ينزع عن يد من يأكله إلا ببينة .

(المسئلة الرابعة) وهي الوقف على المحتاج من ذريته فهو صحيح ذكره البخاري عن ابن عمر أنه وقف نصيبه من دار عمر على المحتاج من ذريته من آل عبد الله .

(المسئلة الخامسة) وهي مسئلة الجَمْعَة فهي باطلة لكونها وقفاً على الورثة ، وأيضاً يحرم بعضهم وأيضاً لم يشرع . وأما بيع الإنسان نصيبه من هذه الصبرة على صاحب وغيره فلا يجوز ، بل الصبرة باطلة من أصلها فإن كان هذا الجواب أزال عنك الاشكال والا فلو أردت التطويل طولت لك وذكرت لك العبارات والادلة والسلام . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم [1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٧)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ المكرم علي بن فواز سلمه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فهذا جواب المسائل ، أما خروج النساء من البيوت بالزينة فيحرم مخافة الفتنة بالنساء فإنهن فتنة لكل مفتون . وأما الدف فيحصل الإعلان بضربه في النهار قبل الدخول في وقت من النهار ، وأما ضربه في الليل ففيه من المفاسد ما لا يخفي ، ومن أقرهم على ذلك ممن له قدرة على منعهم فقد ظلم نفسه ، وأما الاحتكار فإذا اشتراه أحد من الاسواق ينتظر الغلاء فهو احتكار ، وأما خلط البر بالشعير للبيع فلا يجوز لما ورد في ذلك من الآثار التي رواها ابن أبي شيبة في مسنده[2] ، وأما تلقي الركبان للشراء منهم ما جلبوه فيلزم منعهم من ذلك ، وأما التزعفر فقد ورد ما يدل على جوازه فلا ينكر والحالة هذه .

---

(١) المجموعة ١ / ٣٧٧ .

(٢) لعلها مصنفة لأنه يورد به الآثار على المسائل المترجم لها .

وأما مذهب الخوارج فإنهم يكفرون أهل الإيمان بارتكاب الذنوب ما كان منها دون الكفر والشرك، وإنهم قد خرجوا في خلافة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكفروا الصحابة بما جرى بينهم من القتال واستدلوا على ذلك بـآيات وأحاديث، لكنهم أخطؤا في الاستدلال فإن ما دون الشرك والكفر من المعاصي لا يكفـر فاعله لكنـه ينهى عنه وإذا أصـر على كبيرة ولم يتب منهـا يجب نهيه والقيام عليه، وكل منكر يجب انكاره من ترك واجب أو ارتكاب محرم، لكن لا يكفر الا من فعل مكفراً دل الكتاب والسنة على أنه كفر، وكذا ما اتفق العلماء على أن فعله أو اعتقاده كفر كمـا إذا جحد وجـوب ما هـو معروف من الـدين بالضرورة، أو استحل ما هو معروف بالضرورة أنه محرم فهذا مما أجمع العلماء على أنه كفر إذا جحد الوجوب إلا إذا ترك الصلاة تهاوناً وكسلاً فالمشهور في مذهب أحمد أنَّه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً، وأما الثـلاثة فـلا يكفرونـه بالترك بل يعدونه من أهل الكبائر وكذلك إذا فعل كبيرة كما تقدم فلا يكفر عند أهل السنة والجماعة إلا إذا استحلها.

وأما السفر إلى بلاد المشركين للتجارة فقد عمت به البلوى وهو نقص في دين من فعله لكـونه عـرض نفسه للفتنـة بمخـالـطة المشـركين فينبغي هجـره وكراهته، فهذا هو الذي يفعله المسلمون معه من غير تعنيف ولا سب ولا ضرب ويكفي في حقه إظهار الانكار عليه وانكار فعله ولو لم يكن حاضراً، والمعصية إذا وجدت انكرت على من فعلها أو رضيها إذا اطلع عليها، وأما المعاصي التي فيها الحد فلا يقيمها الا الإمام أو نائبه. وأما الحدود إذا بلغت السلطان فالمراد بالسلطان الائمة والقضاة ومن يستنيبهم الإمام ويوليهم في بلدهم، وذكرت في جوابي الذي في خاطري مما يوجب اجتماع الكلمة والسـلام وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم انتهى [1].

---

(١) المجموعة ١ / ٣٧٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٨)

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يصل اليه من الاخوان وفقنا الله واياهم لسلوك منهج العلم والإيمان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد سألني بعض الأخوان عن قلب الدين على المدين إذا كان له عقار وعوامل ونواضح ونحوها فأجبت بأنه لا يخلو من ثلاثة أحوال (الحال الاول) أن يضيق المال عن الدين فهذا مفلس في عرف العلماء رحمهم الله تعالى إذا سأل غرماؤه الحاكم ولو بعضهم لزمه الحجر عليه في ماله، وذهب جمع من المحققين إلى أنه يكون محجوزاً عليه بدون حكم حاكم، وهذا لا يجوز قلب الدين عليه بحال لعجزه عن وفاء ما عليه من الذين (الحال الثاني) أن يكون ماله أكثر من دينه لكنه لا يقدر على وفاء دينه الا بالاستدانة في ذمته وهذا يشبه الاول لا يجوز قلب الدين عليه لانه غير مليء، ولا يخفي أن المليء عند العلماء هو الذي اذ طولب بما عليه بذله من غير مشقة عليه وهو الواجد للوفاء (الحال الثالث) أن يكون عليه دين وفي يده مال يقدر على الوفاء من غير استدانة وهذا مليء ولكن منع بعض العلماء قلب الدين عليه حسماً للمادة وسداً للذريعة.

سُئل شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن المعاملات التي يتوصل بها إلى الربا: فمن ذلك أن يكون المدين معسراً فيقلب الدين في معاملة أخرى بزيادة مال وما يلزم ولاة الأمر في هذا وهل يرد على صاحب المال رأس ماله دون ما زاد ؟ فأجاب: المراباة حرام بالكتاب والسنة والاجماع وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن المحلل والمحلل له، وكان أصل الربا في الجاهلية ان الرجل يكون له على الرجل المال المؤجل فيقول له: أتقضي أم تربي ؟ فإن وفاهُ الازاد هذا في الاجل وزاد هذا في المال فيتضاعف المال والأصل واحد وهذا الربا حرام بإجماع المسلمين، وأما إذا كان هذا هو المقصود ولكن توسلوا بمعاملة أخرى فهذا تنازع فيه المتأخرون، وأما الصحابة فلم يكن منهم نزاع في أن هذا محرم والآثار عنهم بذلك كثيرة، والله تعالى حرم

الربا لما فيه من الأضرار بالمحتاجين وأكل المال بالباطل وهو موجود في المعاملات الربوية، فإذا حل الدين وكان الغريم معسراً لم يجز بإجماع المسلمين أن يقلب عليه الدين بل يجب انظاره، وان كان موسراً كان عليه الوفاء فلا حاجة إلى القلب لا مع يساره ولا مع اعساره، والواجب على ولاة الأمر بعد تعزير المعاملين بالمعاملة الربوية أن يأمروا المدين بأن يؤدي رأس المال ويسقطوا الزيادة الربوية، فإن كان معسراً وله مغلات يوفي دينه منها وفي دينه منها بحسب الامكان والله تعالى أعلم انتهى كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

فتأملوا قوله ان كان معسراً وله مغلات كيف سماه معسراً مع وجود عقار يستغله، ومن صور قلب الدين انه إذا حل أجل ما في ذمة المدين من الدراهم وعلم صاحب الدين انه لا يجد دراهم يدفعها اليه قال له: بعني طعاماً في ذمتك على كذا وكذا فيسلم اليه الدراهم بطعام في ذمته فإذا قبض منه رأس المال ردها اليه وفاء عن دينه الاول، وحقيقة الأمر أن الذي في ذمة الاول قلبه طعاماً فينموا المال في الذمة والاصل واحد، وكذلك بيع دين السلم لا يجوز الا بعد قبضه ولو على من هو في ذمته وهذا قول جمهور العلماء وهو الاصح إن شاء الله.

وأيضاً يذكر لنا أنكم تعاملون كراء الأرض بحب معلوم وتشترطون على الزراع جزءا من التبن. وهذه إجارة يشترط فيها أن تكون الاجرة معلومة وشرط التبن شرط شيء مجهول تفسد به الاجارة. وطريق السلامة من هذا أن تزيدوا في الاجرة شيئاً من الحب معلوماً وتتركوا اشتراط التبن والسلام وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم [1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٩)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ جمعان بن ناصر وفقه الله وهداه لما يحبه ويرضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) المجموعة ١/٣٨١.

(وبعد) فالخط وصل وصلك الله إلى ما يرضيه، واعلم يا أخي أن أهم الأمور علينا وعليكم وأحق ما يهتم به معرفة التوحيد الذي هو أصل الإيمان وأساسه والتمسك بأوثق عراه والحب في الله والبغض في الله والموالاة فيه والمعاداة فيه وتمييز الناس بما سلف منهم وبما يبدو على صفحات الوجوه وفلتات الالسن فإن من أعظم الأمور خطراً أن يحب لهواه ويقرب لدنياه ويبغض لهواه لا لطاعة مولاه فاجعل هذا منك على بال أعاذنا الله وإياكم من عبادة الرجال.

وأما ما سئلت عنه من المسائل الأربع فالجواب عن مسئلة زوجة المفقود إذا تعذر الإنفاق عليها من ماله فإن لها فسخ نكاحه بحكم حاكم الشرع فإذا جاز ذلك في حق الموجود جاز في حق المفقود أيضاً ولا فرق بينهما وكونه مفقوداً لا يمنع ثبوت الحكم بتعذر ما يجب لها عليه .

وأما مسئلة المظاهر فاعلم أنه يجب على المفتي أن يعتبر شواهد أحواله فإذا عرف من شاهد الحال أنه يقدر على أن يصوم شهرين متتابعين فلا يجوز للمفتي أن يفتح له باب الرخصة في الاطعام بمجرد قوله لا أستطيع الصيام وشاهد الحال يكذبه فلا ينتقل إلى الاطعام إلا بتحقق عجزه عن الصيام.

وأما مسئلة الشفعة فان شريك الاصل أحق بالاخذ بها من شريك المصالح ما لم يترك الطلب بها بغير خلاف نص عليه في المغني والشرح والانصاف وغيرها، وأما عيب الجرب فحكمه حكم سائر العيوب فإذا ادعى المشتري انتقال المبيع بذلك العيب ولا بينة حلف المشتري على ما ادعاه على الاصح والله أعلم [1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٠)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ جمعان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والخط وصل وصلك الله إلى رضوانه، وسرنا ما ذكرت من طيبك وصحة حالك، وأخبرك أني ولله الحمد بخير وعافية كذلك الشيخ عبد الله

(١) المجموعة ١ /٣٨٣ .

وإبراهيم وأعمامي وعيالي وعيالهم وآل مقرن، وما ذكرت من حرصك على الزيارة فأرجو أن الله يجمعنا وإياكم على خير وعافية ويستعملنا وإياكم في طاعته.

وما ذكرت من السؤال هل المرأة تعاقل الرجل حتى تبلغ ثلث ديته الخ.

فالجواب أن المرأة كالرجل تساوي جراحها جراحه حتى تبلغ ثلث ديته على الصحيح من المذهب، واستدل علماؤنا رحمهم الله في كتبهم بحديث عمرو بن شعيب الذي رواه النسائي وبكلام سعيد بن المسيب لربيعة وهو الظاهر في أن المراد الثلث من دية الرجل ولفظ الحديث الذي نقلته من شرح زاد المستنقع هو كما نقلت وهو كذلك في المنتقى والمحرر والجامع الصغير ولفظه: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ ﴿ **عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى تبلغ الثلث** من **ديتها** ﴾ رواه النسائي والدار قطني قال الحافظ بن عبد الهادي في محرره هو من رواية اسماعيل بن عياش وهو كثير الخطأ وعلى تقدير صحته واستدلال الفقهاء به يحتمل أن يكون الضمير للمضاف اليه المحذوف أي عقل جراح المرأة فهو راجع إلى الجراح لكونه مفهوماً من الحديث لا إلى المرأة اذ لو كان كذلك لما صح الاستدلال على أن جراح المرأة مثل جراح الرجل حتى تبلغ الثلث من ديته مع مخالفته لكلام سعيد. وقد استدل العلماء بهما معاً على حكم واحد وذلك ينبئ عن الإتفاق في المعنى والله أعلم [١].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢١)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ سعيد بن عيد، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد) وصل الخط وصلك الله إلى ما يرضيه والاحوال جميلة بحمد الله نجملها بالإيمان والتقوى، وما ذكرت من حال المرأة الناشز فقد قال:

---

(١) مجموعة الرسائل ١ / ٣٨٤.

تعالى﴿ **وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً - إلى قوله - وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصرحاً يوفق الله بينهما** ﴾ فالذي عليه جمهور العلماء في معنى الآية أن الحاكم يبعث حكماً ثقة من أهلها وثقة من قوم الرجل فإن حصل بينهما التوفيق والا صارا إلى التفريق، وإذا اتفقا عليه ففرقا بطلقة أو طلقتين أو ثلاث على حسب ما يريان فهما حكمان من جهة الحاكم ووكيلان من جهة الزوجين اذا تراضيا على توكيلهما فلهما التفريق، وعن الإمام أحمد أنهما حكمان يفعلان نصا ما يريانه من جمع وتفريق وغيره ولو لم يرضيا ولا وكلا وهذا مذهب جمهور العلماء ولم يذكر العلماء فيما وقفت عليه بذل العوض والله أعلم [١].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٢)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخوين المحبين صالح بن محمد وحمد ابن عتيق كان الله في عونهما.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد وصل الخط أوصلكما الله إلى ما يرضيه، وما ذكرتما من توزيع الجمل على الجمل والافراد على الجمل، والافراد على الافراد، فهذه الكلية ذكرها الفقهاء رحمهم الله تعالى في المسح على الخفين وفي مسألتكما هذه وفي الوقف، وأنا أصورها في مسألة السؤال وهي مدعجوة، ومن صورها مد ودرهم بدرهمين فالجمهور من الفقهاء قالوا بعدم الجواز يناء على أن جملة المد والدرهم في مقابلة الدرهمين فلم يتميز ما يقابل الدرهم من جميع الدرهمين ولا يقابل المد، وإنما الجملة مقابلة للجملة فلا تحصل المماثلة بين الجنس الذي هو لغة للجمل بما يقابل كل جنس من جنسه وكذلك إذا وزعت الافراد على الجمل كما إذا اعتبر الدرهم الذي مع المد في مقابلة مجموع الجملة من الدرهمين والمد كذلك فلم يتميز ما يقابل الجنس من جنسه هل هو درهم أو أقل أو أكثر. والجهل بالتساوي كالعلم

(١) المجموعة ١/٣٨٦.

بالتفاضل، وذهب شيخ الإسلام كأبي حنيفة إلى الجواز فوزع الأفراد على الأفراد فصار الدرهم يقابل درهماً من غير زيادة والمد يقابل الدرهم الآخر فجعلت المماثلة والتساوي في الجنس وهو مشكل والله أعلم[1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٣)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ جمعان منحه الله من العلوم أنفعها ومن الفضائل أرفعها آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد وصل الينا كتابك فاستبان به مرامك وخطابك وسررنا به غاية السرور، جعله الله تعالى من مكاسب الاجور، وقد سألت فيه أمدك الله عن اثنتي عشرة مسئلة.

(أولها) قول العلماء رضي الله عنهم فيمن حرم زوجته الخ.

(فالجواب ﴾ وبالله التوفيق، ومنه استمد العون والتحقيق، تحريم الزوجة ظهار ولو نوى به طلاقاً أو يميناً نص عليه إما منا رحمه الله في رواية الجماعة وهو المذهب، ونقل عنه ما يدل على أنه يمين وفاقاً للثلاثة رحمهم الله تعالى وجزم شيخ الإسلام ابن تيمية في الاختيارات والفتاوى المصرية في باب الظهار بالاول، لكن قال ابن القيم رحمه الله في الإعلام إنه إن وقع التحريم كان ظهاراً ولو نوى به الطلاق، وإن حلف به كان يميناً مكفرة وهذا اختيار شيخ الإسلام وعليه يدل النص والقياس، فإنه إذا أوقعه كان قد أتى منكراً من القول وزوراً، وكان أولى بكفارة الظهار ممن شبه امرأته بالمحرم، وإذا حلف به كان يميناً من الأيمان كما لو التزم الإعتاق والحج وهذا محض القياس والفقه انتهى.

(قلت) قوله وإذا حلف كان يميناً إلى آخره بناء على ما ذهب إليه من أن المعلق للطلاق على شرط يقصد بذلك الحض أو المنع أو الالتزام فإنه يجزئه فيه كفارة يمين إن حنث، وإن أراد الايقاع عند وجوب المعلق عليه طلقت وصرح به الشيخ رحمه الله تعالى في باب تعليق الطلاق بالشروط قال: وكذا

---

(١) المجموعة ١/٣٨٧.

الحلف بعتق وظهار وتحريم .

(المسئلة الثانية) إذا أحال إنسان على آخر ولم يعلم بذلك حتى قضاه دينه أو قضاه من أحاله عليه ثانياً الخ .

(فالجواب) قد برئت ذمة المدين من الدين إذا دفعه إلى صاحبه أو إلى من أذن له أن يدفعه اليه لوجوب القضاء بعد الطلب فوراً ، ولا يلزم المدين غرم ما قضاه من الدين لان الشرائع لا تلزم إلا بعد العلم فلا تبعة عليه فيما لم يعلم ، وقد أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقدس روحه هذه القاعدة وقرر أدلتها ، فعلى هذا يرجع من أحيل أولا بدينه على المحيل كما قبل الحوالة والله أعلم .

(المسئلة الثالثة) إذا رهن إنسان زرعه أو نخله ونحوه فاحتاج الراهن لما يصلح الرهن فطلب من المرتهن أن يداينه لذلك أو يطلق الرهن لمن يداينه لاصلاحه فامتنع وعلى الراهن ضرر .

(فالجواب) أن الصحيح من أقوال العلماء أن القبض والاستدامة شرط للزوم الرهن ، قال في الشرح ولا يلزم الرهن الا بالقبض ويكون قبل قبضه رهناً جائزاً يجوز للراهن فسخه ، وبهذا قال : أبو حنيفة والشافعي ، وقال بعض أصحابنا في غير المكيل والموزون رواية أنه يلزم بمجرد العقد ونص عليه الإمام أحمد رحمه الله تعالى في رواية الميموني وهو مذهب مالك رحمه الله ، ووجه الاول قوله تعالى﴿ فرهان مقبوضة ﴾ فعلى هذا إن تصرف الراهن فيه قبل القبض بهبة أو بيع أو عتق أو جعله صداقاً أو رهنه ثانياً بطل الرهن الاول سواء قبض الهبة أو المبيع أو الرهن الثاني أو لم يقبضه ، فإن أخرجه المرتهن إلى الراهن باختياره زال لزومه وبقي العقد كانه لم يوجد فيه قبض انتهى .

قال في الانصاف هذا المذهب وعليه الاصحاب ، وعنه أن استدامته في المعين ليس بشرط واختاره في الفائق انتهى ملخصاً . فقد عرفت الاصح من الاقوال الذي عليه أكثر العلماء رحمهم الله تعالى ، فعليه لا ضرر على الراهن

لبطلان الرهن بالتصرف إذا لم يكن في قبضة المرتهن، وقد ذكر العلماء أيضاً أن المرتهن لا يختص بثمن الرهن الا إذا كان لازماً وما عدا هذا القول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ويترتب على الفتوى به من المفاسد مالا يتسع لذكره هذا الجواب، وليس مع من أفتى به الا محض التقليد وأن العامة تعارفوه فيما بينهم ورأوه لازماً، وأنت خبير بأن هذا ليس بحجة شرعية وإنما الحجة الشرعية الكتاب والسنة والاجماع. وهو اتفاق مجتهدي العصر على حكم ولا بد للاجماع من مستند، والدليل الرابع القياس الصحيح، وكذا الاستصحاب على خلاف فيه. فلا اله الا الله كم غلب على أحكام الشرع في هذه الازمنة من التساهل في الترجيح، وعدم التعويل على ما اعتمد المحققون من القول الصحيح، وقد ادعى بعضهم أن شيخنا الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كان يفتي بلزوم الرهن وان لم يقبض فاستبعدت ذلك على شيخنا رحمه الله تعالى. ولو فرضنا وقوع ذلك فنحن بحمد الله متمسكون بأصل عظيم وهو أنه لا يجوز لنا العدول عن قول موافق لظاهر الكتاب والسنة لقول أحد كائناً من كان. وأهل العلم معذرون وهم أهل الاجتهاد كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ما منا إلا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني رسول الله ﷺ ثم بعد زعم هذا الزاعم منَّ الله علي بالوقوف على جواب شيخنا الإمام رحمه الله تعالى فإذا هو جار على الاصح الذي عليه أكثر العلماء.

وصورة جوابه أن الراجح الذي عليه كثير من العلماء رحمهم الله أو أكثرهم أن الرهن لا يلزم الا بالقبض وقبض كل شيء هو المتعارف، فقبض الدار والعقار هو تسلم المرتهن له ورفع يد الراهن عنه هذا هو القبض بالاجماع، ومن زعم أن قوله مقبوض يصيره مقبوضاً فقد خرق الاجماع مع كونه زوراً مخالفاً للحس.

إذا ثبت هذا فنحن إنما أفتينا بلزوم هذا الرهن لضرورة وحاجة فإذا أراد صاحبه أن يأكل أموال الناس ويخون في أمانته لمسألة مختلف فيها فالرجوع إلى الفتوى بقول الجمهور في هذه المسألة، فإن رجعنا إلى كتاب الله وسنة

رسوله ﷺ في إيجاب العدل وتحريم الخيانة فهذا هو الاقرب قطعاً، وان رجعنا إلى كلام غالب العلماء رحمهم الله تعالى فهم لا يلزمون ذلك الا برفع يد الراهن وكونه في يد المرتهن انتهى المقصود

فذكر رحمه الله تعالى في هذه الفتيا أن الراجح الذي عليه أكثر العلماء أن الرهن لا يلزم الا بالقبض، وأنه انما أفتى بخلافه لضرورة وحاجة وأنه رجع إلى قول الجمهور لما قد ترتب على خلافه من الخروج من العدل ومن الخيانة، وهذا الذي أشار اليه رحمه الله من الخروج عن العدل وأكل أموال الناس بالباطل والخيانة في الامانة قد رأيناه عياناً، وسببه الإفتاء بخلاف قول الجمهور في هذه المسئلة، وقد قرر رحمه الله تعالى في هذه الفتيا أن قول الجمهور أقرب إلى العدل فلا يجوز أن ينسب اليه غير هذا القول المقرر هنا والله أعلم.

(المسئلة الرابعة) إذا استأجر إنسان أرضاً للزرع أو نحوه ثم رهنه فقصرت الثمرة عن الدين والاجرة وعن الحداد والخراز إلى آخره.

فالجواب إذا انتفى لزوم الرهن لعدم القبض أو الاستدامة تحاصوا في الثمرة وغيرها على قدر الذي لهم لان محل ذلك ذمة المدين وتقديم أحدهم على غيره ترجيح من غير مرحح وما اشتهر بين الناس من تقديم العامل في الزرع ونحوه بأجرته فلم نقف له على أصل يوجب المصير اليه والله أعلم.

(المسئلة الخامسة) إذا دفع انسان إلى آخر عروضا مضاربة وجعل قيمتها رأس مال المضاربة هل يجوز هذا أم لا ؟

(الجواب)يشترط في المضاربة وشركة العنان أن يكون رأس المال من النقدين أو أحدهما وهو المذهب، وعنه رواية أخرى أنها تصح بالعروض اختاره أبو بكر وأبو الخطاب وصاحب الفائق وغيرهم، قال في الانصاف قلت وهو الصواب، فعلى هذه الرواية يرجع عند المفارقة بقيمة العروض عند العقد كما جعلنا نصابها قيمتها، وسواء كانت مثلية أو غير مثلية والله أعلم.

(المسئلة السادسة) إذا دفع انسان مالا مضاربة وعمل فيه المضارب ثم

تلف من المال شيء بخسارة أو نحوها ثم فسخ المضارب هل عليه أن يعمل فيه حتى يكمل رأس المال أم لا؟

(الجواب) ذكر في القواعد الفقهية عن ابن عقيل ما حاصله انه لا يجوز للمضارب الفسخ حتى ينض رأس المال ويعلم به ربه لئلاً يتضرر بتعطيل ماله عن الربح ، وأما المالك لا يملك الفسخ إذا توجه المال إلى الربح ولا يسقط به حق العامل قال: وهو حسن جار على قواعد المذهب في اعتبار المقاصد وسد الذرائع ، ولهذا قلنا إن المضارب إذا ضارب الآخر من غير علم الاول وكان عليه في ذلك ضرر رد حقه من الربح في شركة الاول انتهى . أقول مراده بقوله حتى ينض رأس المال يعني به إذا لم ينقص، أما إذا نقص فليس على المضارب الا تنضيض ما بقي في يده من رأس المال لان المضاربة عقد جائز ولا ضمان على المضارب فيما تلف من غير تعد منه ولا تفريط والله أعلم .

(المسئلة السابعة) هل يلزم صاحب الاصل إذا اكرى أرضه أو شجره عند من يجوز ذلك ما يلزمه في عقد المساقاة من سد حائط أو اجراء نهر ونحوه أم لا .

(فالجواب) لم أقف في هذه المسئلة للعلماء رحمهم الله تعالى على نص والله أعلم .

(المسئلة الثامنة) ما حكم مال المسلم إذا أخذه الكفار ثم اشتراه بعض التجار من آخذه ثم باعه على آخر الخ .

(فالجواب)أما حكم مال المسلم إذا أخذه الكفار الاصليون فذكر القاضي أبو يعلى رحمه الله تعالى انهم يملكونه بالقهر وهو المذهب عنده وقال أبو الخطاب ظاهر كلام أحمد أنهم لا يملكونه يعني ولو حازوه إلى دارهم. قال في الإنصاف :وهي رواية عن أحمد اختارها الآجري وأبو الخطاب في تعليقه وابن شهاب وأبو محمد الجوزي وجزم به ابن عبدوس في تذكرته قال في النظم* لا يملكونها في الاظهر * وذكر ابن عقيل في فنونه ومفرداته روايتين

وصحح فيها عدم الملك وصححه في نهاية ابن ررين ونظمها انتهى. قال في الشرح وهو قول الشافعي وابن المنذر لحديث ناقة رسول الله ﷺ ولأنه مال معصوم طرأت عليه يد عادية فلم يملك بها كالغصب ولان من لا يملك رقبة غيره لا يملك ماله به أي بالقهر كالمسلم مع المسلم، ووجه الاول أن القهر سبب يملك به المسلم مال الكافر فيملك به الكافر مال المسلم كالبيع، فعلى هذا يملكونها قبل حيازتها إلى دراهم وهو قول مالك. وذكر القاضي انهم إنما يملكونها بالحيازة إلى دارهم وهو قول أبي حنيفة، وحكي عن أحمد في ذلك روايتان. قال ابن رجب ونص أحمد انهم لا يملكونها إلا بالحيازة إلى دارهم فعليها يمتنع ملكهم لغير المنقول كالعقار ونحوه لان دار الإسلام ليست لهم داراً وإن دخلوها، لكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن أحمد لم ينص على الملك ولا على عدمه وإنما نص على أحكام أخذ منها ذلك قال: والصواب أنهم يملكونها ملكاً مقيداً لا يساوي أملاك المسلمين من كل وجه انتهى.

قلت قد صرح في كتاب الصارم والفتاوى المصرية وغيرها أن القيد المشار اليه هو إسلام آخذها ونصه: ولو أسلم الحربي وبيده مال مسلم قد أخذه من المسلمين بطريق الاغتنام ونحوه كان له ملكاً ولم يرده إلى الذي كان يملكه عند جماهير العلماء من التابعين ومن بعدهم وهو معنى ما جاء عن الخلفاء الراشدين وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ومنصوص أحمد رحمهم الله وهو قول جماهير أصحاب أحمد بناء على أن الإسلام والعهد أقرا ما بيده من المال الذي كان يعتقده ملكاً له فلم يؤخذ منه كجميع ما بيده من العقود الفاسدة التي كان يستحقها ، قال في الاختيارات: قال أبو العباس: وهذا يرجع إلى أن كل ما قبضه الكفار من الأموال قبضاً يعتقدون جوازه فانه يستقر لهم بالإسلام. قال: ومن العلماء من قال يرده على مالكه المسلم وهو قول الشافعي وأبي الخطاب بناء على أن اغتنامهم فعل محرم ولا يملكون به مال المسلم كالغصب ولانه لو أخذه منهم المسلم أخذاً لا يملك به مسلم من مسلم بأن يغنمه أو يسرقه فإنه يرد إلى مالكه المسلم لحديث ناقة النبي ﷺ وهو مما اتفق الناس عليه فيما نعلمه ،

ولو كان قد ملكوه لملكه الغانم منهم ولم يرد إلى مالكه انتهى واختار أن الكافر يملكه بالإسلام عليه .

أقول تأمل ما ذكره شيخ الإسلام من حجة الشافعي وموافقيه على أن الكفار لا يملكون أموال المسلمين فلو كان الكافر يملك مال المسلم بالاستيلاء أو بالحيازة إلى داره لم يرد النبي على ابن عمر عبده وفرسه التي كان أخذها العدو لما ظهر عليهم المسلمون فلو لم يكن باقياً على ملك ابن عمر لم يرد اليه وليس لتخصيصه بذلك دون سائر الغانمين معنى غير ذلك وعمل بذلك اصحاب رسول الله ﷺ بعده والأحاديث في ذلك مشهورة في كتب الأحكام وغيرها. قال البخاري رحمه الله في صحيحه (باب إذا غنم المسلمون مال مسلم ثم وجده المسلم) قال ابن نمير : حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذهب فرس له فأخذه العدو فظهر عليه المسلمون فرد عليه في زمن رسول الله ﷺ وأبق عبد له فلحق بالروم فظهر عليهم المسلمون فرده عليه خالد بن الوليد بعد النبي ثم ساقه بسنده متصلاً. وما استدل به القائلون بأنهم يملكونها بالقهر من أن القهر سبب يملك به المسلم مال الكافر فملك به الكافر مال المسلم فهذا قياس مع الفارق لا يصح دليلاً لو لم يكن في مقابلة الأحاديث فكيف والأحاديث تمنعه؟ ولو لم يكن مع الشافعي وأبي الخطاب وابن عقيل فيما صححه من الروايتين ومن وافقهم كابن المنذر إلا حديث مسلم: إن قوماً أغاروا على سرح النبي ﷺ فأخذوا ناقته وجارية من الانصار فأقامت عندهم أياماً ثم خرجت في بعض الليل قالت فما وضعت يدي على ناقة الا رغت حتى وضعتها على ناقة ذلول فامتطيتها ثم توجهت إلى المدينة ونذرت إن نجاني الله عليها أن انحرها فلما قدمت المدينة استعرفت الناقة فإذا هي ناقة النبي ﷺ فأخذها فقلت يا رسول الله إني نذرت أن أنحرها فقال ﴿ بئس ما جازيتها، لا نذر في معصية الله ﴾وفي رواية ﴿ لا نذر فيما لا يملك ابن آدم ﴾ هذا هو الحديث المشار اليه فيما تقدم. وقد عرفت من كلام شيخ الإسلام المتقدم ان من العلماء من قال يرده على مالكه المسلم ولو أسلم عليه وعزاه إلى الشافعي

وأبي الخطاب وذكر ما يدل لهذا القول وأنا اذكر مـا يدل لـذلك أيضـاً وان لم يذكره شيخ الإسلام وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن وائل بن حجر قال كنت عند رسول الله ﷺ فأتاه رجلان يختصمان في ارض فقال أحدهما ان هذا انتزى على ارضي يـا رسول الله في الجـاهلية وهـو امرؤ القيس بن عـابس الكنـدي وخصمه ربيعة بن عبدان قال «بينتك؟» قال ليس لي بينة قال: «يمينـه» قال إذاً يذهب بها؟ قال: «ليس لك إلا ذلك» الحديث.

وأمـا حكم ما أخـذه المسلمون منهم ممـا قـد أخـذوه من مـال المسلم فالجمهور من العلماء يقولون إذا علم صاحبها قبل قسمها ردت إليه بغير شيء قال في الشرح في قول عامـة أهل العلم منهم عمـر وسلمان بن ربيعـة وعطاء والنخعي والليث والثـوري ومـالـك والأوزاعي والشـافعي وأصحـاب الـرأي وحجتهم ما تقدم من قصة ابن عمر، قال في الشرح: وكذلك إذا علم الإمـام بمال مسلم قبل قسمه فقسم وجب رده وصاحبه أحق به بغيـر شيء لأن قسمته كانت باطلة من أصلها فهو كمـا لو لم يقسم، فـأما إن أدركـه بعد القسم ففيـه روايتان (إحداهما) يكون صاحبه أحق به بالثمن الـذي حسب به على آخـذه، وكذلك إن بيع ثم قسم بثمنه فهو أحق به بالثمن وهذا قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي ومالك لئلا يفضي إلى حرمان آخذه من الغنيمة أو تضييع الثمن على المشتري يعني من الغنيمة وحقهما ينجبر بالثمن فيرجع صاحب المال في غير ماله بمنزلة مشتري الشقص المشفوع (والرواية الثـانية) أنـه لا حق له فيـه بعد القسمة بحال نص عليه أحمد في روايـة أبي داود وغيره وهـو قول عمـر وعلي وسلمان بن ربيعة وعطاء والنخعي والليث، وقال الشـافعي وابن المنذر يـأخذه صاحبه قبل القسمة وبعدها ويعطي مشتريه ثمنه من خمس المصالح لأنه لم يزل عن ملك صاحبه فـوجب أن يستحقه بغيـر شيء كما قبـل القسمة ويعـطي من حسب عليه القيمة لئلا يفضي إلى حرمان آخذه حقه من الغنيمة وجعل من سهم المصالح لأن هذا منها فإن أخذه أحد الرعية بهبة أو سرقة أو بغير شيء فصاحبه أحق به بغير شيء. وقال أبو حنيفة لا يأخذه إلا بالقيمة وهو محجوج بحديث

ناقة النبي ﷺ المتقدم ولأنه لم يحصل في يده بعوض فصار صاحبه أحق به بغير شيء كما لو أدركه في الغنيمة قبل القسمة. فأما إن اشتراه رجل من العدو فليس لصاحبه أخذه إلا بثمنه وهذا كله إنما هو في الكافر الأصلي.

وأما المرتد فلا يملك مال المسلم بحال عند جميع العلماء ولا يعلم أحد قال به وقد تتبعت كتب الخلاف كالمغني والقواعد والانصاف وغيرها فما رأيت خلافاً في أنه لا يملكه وانما الخلاف فيما اتلفه إذا كان في طائفة ممتنعة أو لحق بدار حرب، والمذهب انه يضمن ما تلف في يده مطلقاً فافهم ذلك، فالمسلم يأخذ ماله من المرتد أو ممن انتقل اليه بعوض أو غيره بغير شيء. وما تلف في يد المرتد من مال المسلم أو تلف عند من انتقل اليه من جهة المرتد فهو مضمون كالمغصوب. ثم اعلم انه قد يغلط من لا تمييز عنده في معنى التلف والا تلاف فيظن انه إذا استنفق المال أو باعه أو وهبه ونحو ذلك يعد اتلافاً وليس كذلك بل هذا تصرف وانتفاع.

وقد فرق العلماء رحمهم الله بين هذا وبين الاتلاف. ومن صور الاتلاف والتلف أن يضيعه أو يضيع أو يسرق أو يحرق أو يقتل ونحو ذلك فان كان بفعله فهو اتلاف، وان كان بغير فعله فهو بالنسبة اليه تلف يترتب عليه احكام ما تلف بيده وبالنسبة إلى الفاعل اتلاف. وضابطه فوات الشيء على وجه لا يعد من انواع التصرف. إذا عرفت أن حكم المرتد يفارق حكم الكافر الاصلي. فاعلم أنه قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيمن اشترى مال مسلم من التتر لما دخلوا الشام ان لم يعرف صاحبه صرف في المصالح واعطى مشتريه ما اشتراه به لأنه لم يصر لها إلا بنفقته وان لم يقصد ذلك انتهى من الانصاف.

وسئل أيضاً عمن اشترى فرساً ثم ولدت عنده حصاناً وأخذ السلطان الفرس واهدى الحصان لرجل فاعطاه عوضه ثم ظهرت الفرس انها كانت مكسوبة نهبا من قوم فهل يحرم ثمن الحصان.

فأجاب إن كان صاحب الحصان معروفاً ردت اليه فرسه ورجع المشتري

بالثمن على بائعه ويرجع عليه بقيمة الحصان أو قيمة نصفه الذي يستحقه صاحبه لكونه غره. وان كانت مكسوبة من التتر أو العرب الذين يغير بعضهم على بعض فيأخذ هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء ولم يعرف صاحبهما لم يحرم على مهدى الحصان عوض هديته والله أعلم.

وقد صرح شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بأن هذا المنهوب يرد إلى صاحبه أو قيمته إن تصرف فيه ويرجع المشتري بالثمن على البائع وانه ان لم يعرف صاحب ما اخذ من التتر والعرب لم يحرم عليه عوضه. فمفهومه انه ان عرف صاحبه فعوضه حرام على من اعتاض عنه لكونه ظهر مستحقاً لمسلم معصوم وهذا أيضاً يفيده ما تقدم من قوله فيمن اشترى مال مسلم من التتر ان لم يعرف صاحبه صرف في المصالح إلخ وهو صريح في أن التتر لا يملكون مال المسلم بالاستيلاء والحيازة. ومن المعلوم أن التتر من اعظم الناس كفرا لما جمعوه من المكفرات في الاعتقادات والأعمال ومع ذلك قال شيخ الإسلام يرد ما أخذوه لصاحبه المسلم من غير أن يدفع إلى مشتريه منهم شيئاً كما يفيده الجواب الثاني ولم يقل فيه انه لا يحرم على من اعتاض عن الحصان شيئاً إلا بقيد عدم معرفة صاحبه بناء على اصله في الأموال التي جهلت اربابها ولذلك قال في المكوس إذا اقطعها الإمام الجند هي حلال لهم إذا جهل مستحقها. وبذا يظهر الجواب عن المسئلة (التاسعة) وهو أن ما وقع في هذه السنين من النهب والظلم يرد ما وجد منه إلى مالكه من غير أخذ ثمن ولا قيمة. وحكم يد المشتري منهم حكم الايدي المترتبة على يد الغاصب لما تقرر من أن الخلاف انما جرى في حق الكافر الاصلي. وأما المرتد ونحوه فالقول بأنه لا يملك مال المسلم مسئلة وفاق. وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في الفتاوى المصرية ما يفهم به الفرق بين الكافر الحربي والمرتد فقال: وإذا قدر على كافر حربي فنطق بالشهادتين وجب الكف عنه بخلاف الخارجين عن الشريعة كالمرتدين الذين قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه والتتر وامثال هؤلاء الطوائف ممن نطق بالشهادة ولا يلتزم شعائر الإسلام. وأما الحربي فإذا نطق بها كف عنه،

وقال أيضاً ويجب جهاد الكفار واستنقاذ ما بايديهم من بلاد المسلمين واموالهم باتفاق المسلمين ويجب على المسلمين أن يكونوا يداً واحدة على الكفار وأن يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله ورسوله والجهـاد في سبيله انتهى. فيعلم مما تقرر أن الأموال المنهوبة في هذه السنين غصوب يجري فيها حكم الغصب وما يترتب عليه. وبهذا افتى شيخنا الشيخ عبد الله ابن شيخنا الإمام محمد رحمهم الله. وافتى به الشيخ محمد بن علي الشوكاني قاضي صنعاء اليمن وما ظننت أن أحداً له ادنى ممارسة في العلم يخالف ذلك والله أعلم.

(المسئلة العاشرة) قال السائل وجدت نقلاً عن الاقناع وشرحه إذا ذبح السارق المسلم أو الكتابي المسروق مسمياً حل لربه ونحوه اكله ولم يكن ميتة كالمغصوب انتهى قال السائل وهل هذ إلا مغصوب ويعارضه حديث عاصم بن كليب عن أبيه الخ.

(الجواب) لا معارضة اذ ترك رسول الله ﷺ واصحابه الا كل منها لا يدل على انها ميتة من وجوه (منها) انها ليست ملكاً لهم ولا لمن ذبحها فهي وان حـرمت عليهم فلا تحـرم على مالكهـا ولا من أذن له مـالكها في الا كـل منها ويحتمل انه ترك الاكل منها تنزها ويدل على حلها بهذه الذكاة قوله (**اطعميـه الأسارى**) وهو لا يطعمهم ميتة. وقوله كالمغصوب راجع لقوله حل لا لقـوله ميتة شبهه بذبح الحيوان المغصوب في الحل لا في الحرمة والله أعلم.

(المسئلة الحادية عشرة) إذا كان لإنسان على آخر دين من طعام أو نحوه فأشفق في الوفاء فطلب غريمه أن يعطيه الثمرة عن ماله في ذمته فهل يجوز ذلك أم لا؟.

(فالجواب وبالله التوفيق) قال البخاري رحمه الله في صحيحه (باب إذا قاص أو جازفه في الدين فهو جائز) زاد في رواية كريمة تمراً بتمر أو غيره وساق حديث جابر رضي الله عنه أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع لـه اليه فجـاء رسول الله ﷺ فكلم اليهودي ليأخذ تمـر نخله بالـذي له فـأبى. الحديث وبـه

استدل ابن عبد البر وغيره من العلماء رحمهم الله على جواز أخذ الثمر على الشجر عما في الذمة إذا علم انه دون حقه ارفاقاً بالمدين واحساناً اليه وسماحة بأخذ الحق ناقصاً وترجم البخاري رحمه الله بهذا الشرط فقال (اذا قضى دون حقه أو حلله فهو جائز) ساق حديث جابر رضي الله عنه أيضاً فاما إذا كان يحتمل انه دون حقه أو مثله أو فوقه فهذا غير جائز ان يأخذ عما في الذمة شيئاً مجازفة أو خرصاً لا سيما إذا كان دين سلم لما روى البخاري وغيره عن ابن عمرو رضي الله عنهما ان رسول ﷺ قال ﴿ **من اسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم أو وزن معلوم إلى أجل معلوم** ﴾ ومضمون هذا الحديث عام وبه اخذ الجمهور وقد يقال ان قضية جابر قضية عين لا عموم لها ويترجح المنع سداً للذريعة لا سيما في هذه الاوقات لكثرة الجهل والجراءة بادنى شبهة والله أعلم.

(المسئلة الثانية عشرة) ما حكم الباطل والفاسد عند أهل الاصول الخ .

(الجواب) هما مترادفان عند الاصوليين والفقهاء من الحنابلة والشافعية وقال: ابو حنيفة انهما متباينان (فالباطل) عنده ما لم يشرع بالكلية كبيع المضامين والملاقيح (والفاسد) ما شرع اصله ولكن امتنع لاشتماله على وصف محرم كالربا، وعند الجمهور كل ما كان منهياً عنه إما لعينه أو وصفه ففاسد وباطل لكن ذهب بعض الفقهاء من الحنابلة إلى التفرقة بين ما أجمع على بطلانه وما لم يجمع عليه فعبروا عن الاول بالباطل وعن الثاني بالفاسد ليتميز هذا من هذا لكون الثاني تترتب عليه أحكام الصحيح غالباً أو انهم قصدوا الخروج من الخلاف في نفس التعبير لأن من عادة الفقهاء من أهل االمذاهب رحمهم الله تعالى مراعاة الخروج من الخلاف. وبعضهم يعبر بالباطل عن المختلف فيه مراعياً للاصل ولعل من فرق بينهما في التعبير لا يمنع من تسمية المختلف فيه باطلاً فلا اختلاف، ومثل ذلك خلافهم في الفرض والواجب قال في القواعد الاصوليه إنهما مترادفان شرعاً في اصح الروايتين عن أحمد اختارها جماعة منهم ابن عقيل وقاله الشافعية، وعن أحمد الفرض آكد اختارها جماعة

وقاله الحنفية. فعلى هذه الرواية الفرض ما ثبت مقطوع به وذكره ابن عقيل عن أحمد، وقيل ما لا يسقط في عمد ولا سهو وحكى ابن عقيل عن أحمد رواية أن الفرض ما لزم بالقرآن والواجب ما كان بالسنة وفائدة الخلاف أنه يثاب على احدهما اكثر وان طريق احدهما مقطوع به والآخر مظنون ذكره القاضي وذكرهما ابن عقيل على الاول، قال غير واحد والنزاع لفظي وعلى هـذا الخلاف ذكـر الاصحاب مسائل فرقوا فيها بين الفـرض والواجب والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٤)

من عبد الرحمٰن بن حسن إلى المكرم عثمان بن عيسى سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد) وصل خطك وصلك الله إلى خير والمحب بخير وعافية ويحمد اليك الله الذي لا اله غيره ولا رب سواه وخواص اخوانك بخير وعافية جعلنا الله وإياكم ممن عرف النعمة وقدرها وشكر الله تعالى عليها بـالاعتراف بهـا والذل والخضوع والعبودية لمسديها آمين. وتسأل عمن نفر من الحج ولم يطف طواف الزيارة والسعي ثم أراد السفر لقضاء ما تركه فهل له إذا وصل إلى الميقات أن يحرم بعمرة مفردة ثم يأتي بما بقي عليه، وهل يجوز ان كان الوقت لم يتسع أن يحرم بالحج فإذا فرغ من أعماله أتى ببقية أعمـال حجه الاول، هـذا ملخص السؤال.

(الجواب) قال في شرح المنتهي : فلو تركه أي طواف الزيارة وأتى بغيره من فرائض الحج وبعد عن مكة مسافة القصر رجع إلى مكة معتمراً فأتى بافعال العمرة ثم يطوف للزيارة انتهى، وهذه مسئلة السائل أحد جزئياتها فيحرم بالعمرة متمتعاً بها إلى الحج، فإذا فرغ من أعمالها أتى بما تركه من طواف وسعي، أما إذا ضاق الوقت بأن لم يمكنه قدوم مكة قبل الوقوف فيحرم قارنا أو مفرداً، فإذا

---

(١) المجموعة ١/٣٨٦.

رمى جمرة العقبة وأفاض إلى مكة وطاف طواف الزيارة وسعى بعده رجع إلى البيت فأتى بما تركه عام أول من طواف وسعي . فإن قدم الطواف والسعي الذي تركه على طواف حجه الذي هو في أعماله جاز ذلك لان وقت طواف الزيارة والسعي موسع فمتى فعله وقع أداء. هذا ما تقتضيه قواعد مذهبنا وأصوله والله أعلم سلم لنا على حمد بن فارس وحمد بن عبد الجبار وابن ناجم وخواص الاخوان، ومن عندنا خواص الاخوان وفيصل وآل الشيخ وإبراهيم وابنه وكاتبه ناصر العريني يسلم وأنت في أمان الله والسلام [1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٥)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ عثمان بن بشر سلمه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد) وصل الخط وصلك الله إلى ما يرضيه وسرنا طيبك وصحة حالك عافانا الله وإياكم من كل سوء واعاذنا واياكم من ولاة السوء. والإمام وآل الشيخ وخواص الاخوان تسرك حالهم كذلك طلبة العلم نبشرك أنهم كثيرون ويا أخي المؤمن مرآة اخيه جعلنا الله وإياكم من المؤمنين، وخطك سرني من وجه وساءني من وجه وهو السج والمجازفة في المدح فيا أخي لسنا مستحقين لشيء من ذلك فلا تعاملنا بمثل ذلك دعوة صالحة خير.

كلمة اشتهرت على الألسنة من غير قصد وهو قول الكثير في المكاتبات إذا سأل الله شيئاً قال وهو القادر على ما يشاء وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شراً وكل ما في القرآن (وهو على كل شيء قدير) وليس في الكتاب والسنة ما يخالف ذلك أصلاً لأن القدرة شاملة كاملة وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات وإنما قصد أهل البدع بقولهم وهو القادر على ما يشاء أي إن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت المشيئة به.

---

(١) المجموعة ١ /٤٠٣ .

وأما الرجل الذي ذكرت لي عنه فالذي ذكرت عنه من طرف الشيخ رحمه الله والثناء عليه ودعوته التي أنعش الله بها الخلق الكثير والجم الغفير في آخر هذا الزمان والمشار اليه ما نظن فيه الا بحسن الرأي في ذلك. بقي أن هنا أموراً جزئية ينبغي من صاحب المقام التخلق بغيرها. واما الامر الذي عمت به البلوى فالسالم منه قليل نادر نسأل الله التوفيق لحسن المتاب، وأما ما يقول الناس من الكذب والافتراء لاجل اغراضهم الدنيوية فهذا طبعهم خصوصاً في هذه الاوقات والذي يصدق الناس فيما نقلوه من الاوهام والاكاذيب يتعب ويأتم، وبلغ اخوانك السلام ومن لدينا الإمام ومن ذكرنا وكاتبه عبد العزيز بن موسى ينهون السلام وانت سالم والسلام [١].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٦)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الإمام الاكرم فيصل بن تركي سلمه الله وهداه آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فالواجب علينا وعليكم التناصح في دين الله والتذكير بنعم الله وأيامه فان في ذلك من المصالح الخاصة والعامة ما لا يحيط به إلا الله، وفي الحديث (ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة) ولله حق وعبودية على خلقه بحسب وسعهم وقدرتهم، ولذلك كان على ولاة الامور ورؤساء الناس المطاعين فيهم ما ليس على عامتهم وسوقتهم، وكل خير في الدنيا والاخرة إنما حصل بمتابعة الرسل وقبول ما جاؤا به، وكل شر في الدنيا والاخرة انما حدث ووقع بمعصية الله ورسله والخروج عما جاءوا به من النور والهدى. وهذه الجملة شرحها يطول وتفاصيلها لا يعلمها إلا الله الذي (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا اصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) والسير والاعتبار والاستقراء والقصص والأمثال والشواهد النقلية والعقلية تدل على هذا وترشد اليه، وبعض الاذكياء يعرف ذلك في نفسه وأهله وولده ودابته قال بعضهم: اني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق أهلي

---

(١) المجموعة ١/٤٠٤ .

ودابتي، واللبيب يدرك من الامور الجزئية والكلية ما لا يدركه الغبي الجاهل، ويكفي المؤمن قوله تعالى ﴿ **ان الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم** ﴾فهذه الآية يدخل فيها كل نعيم باطناً وظاهراً في الدنيا والآخرة وفي البرزخ. وقد قال تعالى ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به** ﴾الآية. ويدخل في هذا كل شيء من المصائب والجزاء حتى الشوك والهم والحزن لكن المؤمن يثاب على ذلك ويكفر عنه بايمانه كما دل على ذلك الحديث.

إذا عرف هذا فكثير من الناس يعرف أن المصائب والابتلاء حصل بسبب الذنوب ويقصد الخروج منها والتوبة ولا يوفق ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وذلك لاسباب منها جهله بالذنوب ومراتبها وحالها عند الله، ومنها جهله بالطريق التي تخلصه منها وتنقذه من شؤمها وشرها وتبعتها. ولا سبيل لاحد إلى معرفة ذلك وما يخلص منه الا من جهة الرسول ﷺ ومعرفة ما جاء به من الهدى ودين الحق اجمالاً وتفصيلاً، فإنه الواسطة بين العباد وبين ربهم في ابلاغ ما يحبه الرب ويرضاه ويريده من عباده ويوجب السعادة والنعيم والفلاح في الدنيا والآخرة، وفي ابلاغ ما يضرهم ويسخط ربهم ويوجب الشقاوة والعذاب الاليم في الدنيا والآخرة، فكل طريق غير طريقه مسدود على سالكيه، وكل عمل ليس عليه رسمه وتقريره فهو رد على عامليه.

وقد عرفتم أرشدكم الله تعالى أن الله بعث محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل، وأهل الأرض قد عمتهم الجهالة، وغلبت عليهم الضلالة، عربيهم وعجمهم الا من شاء الله من بقايا أهل الكتاب.

فأول دعوته ﷺ ورسالته وقاعدة قوله رد الخلق إلى الله وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الانداد والآلهة، والبراءة منهم، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الاخلاص، وهو أول دعوة الرسل وأول الواجبات والفرائض. ومكث عليه الصلاة والسلام مدة من الدهر نحو العشر بعد النبوة يدعو إلى هذا ويأمر به، وينهي عن الشرك وينذر عنه، وفرض الفرائض وبقية

الاركان بعد ذلك منجما.

إن هذا هو أهم الامور وأوجبها على الخلق كما في الحديث (رأس الامر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) وكان من هديه ﷺ أن يبعث عماله ويرسل رسائله إلى أهل الأرض ويدعوهم إلى هذا يبدأ به قبل كل شيء ولا يأمر بشيء من الاركان الا بعد التزامه ومعرفته كما دل عليه حديث معاذ لما بعثه إلى اليمن وغيره من الأحاديث.

وفي أوقاتنا بعد العهد بآثار النبوة وطال الزمن وكاد يشبه زمن الفترة لغلبة الجهل وشدة الغربة. وقد من الله على هذه الاقطار بشيخ الإسلام رحمه الله فقام بتجديد الدين وتمهيد قواعد الملة أتم قيام حتى ظهر بحمد الله منار التوحيد والإسلام ووازره على ذلك من أسلافكم وأعمامكم من وازره رحمة الله عليهم أجمعين وبعدهم حصل من الناس ما لا يخفي من الاعراض والاهمال وعدم الرغبة والتنافس فيما أوجبه الرب من توحيده وفرضه على سائر عبيده وقل الداعي إلى ذلك والمذكر به والمعلم له في القرى والبوادي والتساهل في هذه الامور العظام التي هي آكد مباني الإسلام يوجب للرعية أن يشب صغيرهم ويهرم كبيرهم على حالة جاهلية لا يعرف فيها الاصول الإيمانية والقواعد الإسلامية والله سائلنا وسائلك عن ذلك كل بحسب قدرته وطاقته، والجهل والظلم غالب على النفوس ولها وللشيطان حظ كبير في ذلك والنفوس الجاهلية المعرضة عن العلم النبوي يسرع اليها الشرك والتنديد أسرع من السيل إلى منحدره.

والواجب مراعاة هذا الاصل والقيام فيه وبعث الدعاة اليه وجعل أموال الله التي بايديكم آلة له ووقاية وحماية وإعانه، فإن هذا من أفرض الفرائض والزمها ولم تشرع الامامة والامارة إلا لاجل ذلك والقيام به. وبقاء الإسلام والإيمان في استقامة الولاة الائمة على ذلك، وزوال الإسلام والإيمان وانقضاؤه بانحرافهم عن ذلك وجعل الهمة والأموال والقوة مصروفة في غيره مقصوداً بها سواه من العلو والرياسة والشهوات، ولذلك وقع في آخر بني العباس ما وقع من

الخلل والزلل واشتدت غربة الإسلام، وظهرت البدع العظام، واظهر الكفر أعلامه وشعاره، وبنيت المساجد على القبور، واسرجت عليها السرج، وارخيت عليها الستور، وهتف أكثر الناس في الشدة بسكان القبور، وذبحوا لها القرابين ونذرت لها النذور، وبنيت الهياكل للنجوم، وخاطبها بالحوائج كل مشرك ظلوم، وسرى هذا في الناس حتى فعله من يظن أنه من الاخيار والاكياس، وكثير منهم يظن أن هذا هو الإسلام، وانه مما جاء به سيد الانام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وهل وقع ذلك وصار على تطاول الدهر والاعصار إلا بسبب إهمال الرؤساء والملوك الذين استكبروا في الأرض ولم يرفعوا رأساً بما جاءت به الانبياء وقنعوا بمجرد الاسم والانتساب من غير حقيقة، قال الله تعالى ﴿ **وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار** ﴾الآية.

فأهم المهمات وآكد الاصول والواجبات، التفكر في هذا وتفقد الرعية الخاصة والعامة، البادية والحاضرة لانك مسؤل عنهم والسؤال يقع أولاً عن الدين قبل الدنيا، وفي الحديث (كلكم راع وكل مسؤل عن رعيته) وفي الحديث الصحيح كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون﴾ قالوا فما تأمرنا قال: (أوفوا بيعة الأول أعطوهم حقهم فإن الله عز وجل سائلهم عما استرعاهم عليه ففتش عقائدهم وانظر في توحيدهم وإسلامهم خصوصاً مثل أهل الاحساء والقطيف اشتهر عنهم ما لا يخفاك من الغلو في أهل البيت ومسبة أصحاب رسول الله ﷺ وعدم التزام كثير من اصول الدين وفروعه وكونهم يسرون ذلك ويخفونه مما لا يسقط عنك وجوب الدعوة والتعليم والنصح لله بظهور دينه والزامهم به وتعليم صغارهم وكبارهم فانك مسؤول عن ذلك، والحمل ثقيل والحساب شديد. وفي الطبراني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل بشر بن عاصم على صدقات هوزان فتخلف بشر فلقيه عمر فقال ما خلفك أمالنا عليك سمع وطاعة؟ قال: بلى ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ **من ولي شيئاً من أمر المسلمين**

أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فان كان محسناً نجا وان كـان مسيئاً إنخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفـاً ﴾فرجـع عمر كيئباً حزينـاً، جعلك الله من الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.

ومن الدعوة الواجبة والفرائض اللازمـة جهاد من أبى أن يلتـزم التوحيـد ويعرفه من البادية أو غيرهم، وكثير من بادية نجد يكفي فيهم المعلم، وأما من يليهم من المشركين مثل الضفير وأمثالهم فيجب جهادهم ودعـوتهم إلى الله. وقد أفلح من كان لله محياه ومماته، وخاف الله في الناس ولم يخف الناس في الله. وفي الحديث (مثل المجاهد في سبيـل الله والله أعلم بمن يجاهـد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة)[1].

وكذلك يجب على ولي الأمر أن لا يقدم من نسب عنـه طعن وقدح في شيء من دين الله ورسوله أو تشبيه على المسلمين في عقائدهم ودينهم مثل من ينهى عن تكفير المشركين ويجعلهم من خير امة اخرجت للناس لانهم يدعون الإسلام ويتكلمون بالشهادتين. وهـذا الجنس ضرره على الإسـلام خصوصـاً على العوام ضرر عظيم يخشى منه الفتنة، واكثر الناس لا علم له بالحجج التي تنفي شبه المشبهين وزيغ الزائغين، بل تجده والعياذ بالله سلس القياد لكل من قاده أو دعاه كما قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق أقرب شبها بهم الانعام السارحة.

فإذا تيسر لكم ان شاء الله الاهتمام والقيام بهذا الأصل العظيم فينظر بعد هذا في أحوال الناس في الصلوات الخمس المفروضات فانها من آكد الفروض والواجبات وفي الحديث (أول ما تفقدون من دينكم الامانـة وآخر مـا تفقدون الصلاة) وكل شيء ذهب آخره لم يبق منه شيء وقد قال تعالى ﴿ وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾الآية فيلزم جعل نواب يأمرون بما أمر الله بـه ورسولـه من إقام الصـلاة في المساجـد في

(١) هذا لفظ البخاري وفي مسلم وغيره زيادة عليه.

أوقاتها ويؤدبون من عرف منه كسل أو ترك أو إهمال أدبا يردع أمثاله وعلى أئمة المساجد تعليم ما يشترط لها وما يجب فيها من الأعمال والأقوال.

وبعد هذا يلتفت إلى النظر في أمر الزكوات الشرعية وجبايتها على الوجه الشرعي من الانعام والثمار والنقود والعروض ويكون مع كل عامل رجل له معرفة بالحدود الشرعية والاحكام الزكوية ويحذر عن الزيادة عما شرعه الله ورسوله فلا يؤخذ إلا مما وجبت فيه الزكاة وتم نصابه وحال حوله وكثير من العمال يخرص جميع الثمار وان لم تنصب وأخذ الزكاة من شىء لم يوجبه الله ولا رسوله فيه ظلم بين وتعد ظاهر حمانا الله وإياكم منه.

وكذلك ما يتبع الزكاة من النائبة قد اغنى الله عنها وجعل فيما أحل غناء عما منع وحرم ومن الواجبات على ولي الامر ترك ذلك لله وفي بيت المال ما يكفي الضيف ونحوه ان حصل تسديد ومن الله بتوفيق من عنده.

وكذلك ما يؤخذ من المسلمين في ثغر القطيف من الأعشار لا يليق، ولا يجوز التعشير في أموال المسلمين ويلزم ولي الامر أيده الله أن يلزم التجار الزكوات الشرعية قهراً ويدع ما لا يحل.

ومن الواجب تتميز الأموال الداخلة على ولي الامر فإن الله ميزها في كتابه وقسمها فلا يحل تعدي ذلك وخلطها بحيث لا يمكن تمييز الزكاة من الفيء والغنائم فإن لهذا مصرفاً ولهذا مصرفاً، ويجب على ولي الامر صرف كل شىء في محله واعطاء كل ذي حق حقه، أهل الزكاة من الزكاة وأهل الفيء من الفيء، ويعين ذلك في الاوامر التي تصدر من الإمام لوكيل بيت المال.

ويجب تفقد من في بلاد المسلمين من ذوي القربى في الفيء والغنيمة فإن هذا من أكد الحقوق والزمها لمكانهم من رسول الله ﷺ، والمراد بهم من عرف التوحيد والتزمه، وأهل الإسلام ما صالحوا ( ) من عاداهم إلا بسيف النبوة وسلطانها، خصوصاً دولتكم فانها ما قامت إلا بهذا، وهذا أمر يعرفه كل عالم وفي الحديث (إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه بورك له فيه

ورب متخوض في مال الله بغير حق ليس له يوم القيامة إلا النار) عفانا الله وإياكم من النار وأعمال أهل النار.

وكل من أخذ ما لا يستحقه من الولاة والامراء والعمال فهو غال كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ فذكر الغلول وعظمه وعظم امره حتى قال: (لا الفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول لا املك لك شيئاً قد بلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول لا املك لك شيئاً قد بلغتك، لا الفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها يعار فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغتك، لا الفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا املك لك من الله شيئاً قد بلغتك، لا الفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا املك شيئاً قد بلغتك، لا الفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا املك لك شيئاً قد بلغتك) وأخبر ﷺ أن هدايا العمال غلول فقال: (هدايا العمال غلول) فينبغي التفطن لهذه الامور لئلاً يقع فيها وهو لا يدري.

وكذلك ينبغي تفقد أمر الناس في الحج والقيام على من تركه وهو يستطيعه وهو ركن من أركان الإسلام ويذكر عن عمر انه قال لقد هممت أن أضع الجزية على من ترك الحج. وبعض السلف يكفر من تركه. وأمر الرعية بذلك سن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يسع أحداً تركه.

وكذلك القيام على الناس ومنعهم عن التعدي في الدماء والأموال وقطع السبيل فهذا من الفساد في الأرض والمحاربة لله ورسوله فإن لم ينتهوا إلا بغزوهم لزم الإمام أن يبعث السرايا لحربهم. ولما تعرض الفجاء السلمي للناس يأخذ ويقتل من مسلم وكافر بعث أبو بكر رضي الله عنه جيشاً فظفروا به فأحرقه بالنار. ويذكر عن حسان أنه قال.

ومـا الـدين إلا أن تقـام شـريعـة   وتـأمـن سبـل بـيـنـنـا وشعـاب

وكذلك ما حدث من الدفنان للبادية إذا أخذوا المسلمين وقتلوا لما فيه من تـرك حقوق المسلمين في الـدماء والأمـوال مع القـدرة على استيفائهـا والقيام بـالعدل الـذي أمر الله بـه ورسولـه كما قـال تعالى ﴿ **ان الله يـأمركم أن تؤدوا الامـانات إلى أهلهـا وإذا حكمتم بين الناس أن تحكمـوا بالعـدل إنَّ الله نعما يعظكم به** ﴾الآية .

فتأمل هذه الموعـظة وما ختمهـا به من هـذين الوصفين العـظيمين وقال تعالى ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ الآية .

فالواجب على من نصح نفسه أن لا يحكم إلا بحكم الله ورسوله فان لم يفعل وقع في خطر عظيم من تقديم الآراء والا هواء على شرع الله ورسوله قال العلامة ابن القيم رحمه الله .

والله مـا خـو في الـذنـوب فـانهـا   لـعلى طـريـق العـفـو والـغـفـران
لكنني أخشى انسـلاخ القـلب من   تـحكـيم هـذا الـوحي والـقـرآن
ورضـا بـآراء الـرجـال وخـرصهـا   لا كـان ذاك بـمـنـة الـرحـمـن

ومـما يجب على ولي الامر تفقـد الناس من الـوقوع فيمـا نهى الله عنه ورسوله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن بإزالة أسبابها وكذلك بخس الكيـل والميزان والربا فيجعل في ذلك من يقوم به من له غيرة لدين الله وأمانة .

وكذلك مخالطة الرجال للنساء، وكف النساء عن الخروج إذا كانت المرأة تجد من يقضي حاجتها من زوج أو قريب أو نحو ذلك، وكذلك تفقـد أطراف البلاد في صلاتهم وغير ذلك مثل أهل النخيل النائية لانه ربما يقع فيها فساد ما يدري عنه وأكثر الناس ما يبالي ولو فعل ما نهى عنه وفي الحديث (ما تـركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء) وفي الحديث أيضاً (مـا ظهرت الفاحشة في قوم إلا ابتلوا بالطواعين والأمراض التي لم تكن في أسلافهم الذين مضـوا) نعوذ بـالله من عقوبـات المعاصي ونسـأله العفـو والعافيـة في الدنيـا والآخرة .

وكذلك التوسع في لبس الحرير وما زاد على المباح وهو مما انهى الله عنه ونهى عنه رسوله ﷺ ونص على تحريمه ولا يجوز تتبع الرخص .

ومن الأصول التي تدور عليها الأحكام حديث (إنما الأعمال بالنيات) وحديث (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وحديث (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، الا وإن حمى الله محارمه) فكل أمر ينبغي لذوي العقول أن يتركوا ما تشابه منه قد يقع فيه خلاف من بعض العلماء فلا ينبغي أن يرخص لنفسه في أمر قد ظهرت فيه أدلة التحريم فاجتنابه من تقوى الله وخوفه وتركه مخافة لله من الأعمال الصالحة التي تكتب له حسنات.

ومما يجب النهي عنه الاسبال كما نهى عنه رسول الله ﷺ كما في حديث الصحيح (ما أسفل من الكعبين من الازار فهو في النار) وفي الحديث (بينما رجل يجر إزاره خيلاء أمر الله الأرض أن تأخذه فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة).

وكذلك التشبه باليهود والمجوس في ترك الشوارب وقد أمر النبي ﷺ باحفائها مخالفة لليهود والمجوس فقال: ﷺ ﴿ **أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى خالفوا اليهود** ﴾والذي فيه دين ورغبة في الخير ما يرضي لنفسه أن يخالف ما أمر الله به ورسوله ويقتدي باليهود والمجوس والمتكبرين.

وكل ما أمر الله به ورسوله فينبغي للعبد أن يمتثل ويسمع ويطيع لما في ذلك من المنافع الكثيرة وما في خلافه من الإثم قال تعالى﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾فعلى الإمام أن يأمر النواب من رأوه تاركاً للامر أن يقوموا عليه ويلزموه الطاعة حتى تظهر طاعة الله ورسوله في المسلمين

ويمتازون بذلك عمن خالفهم في الدين من أهل الجفاء والغلظة والغفلة والاعراض. نسأل الله العفو والعافية فانها قد عمت البلوى بهذا بكثير لما قام بقلوبهم من ضعف الإيمان وعدم الرغبة فيه.

وكذلك يجب على الإمام النظر في أمر العلم وترغيب الناس في طلبه واعانة من تصدى للطلب لقلة العلم وكثرة الجهل وان كان قد قام ببعض الواجب فينبغي له أن يهتم بهذا الأمر لفضيلة العلم وكثرة ثواب من قام به وأعان عليه، فإن أكثر من يطلب العلم فقراء ويحتاجون إلى الإعانة على فقرهم لما يكون لهم فيه سعة، وطلب العلم اليوم من الفرائض كما لا يخفي على الإمام وغيره، وفي الحديث الصحيح (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم) وهذا ما يحصل الا باعتناء الإمام وتأليفه للطالب فإذا كثر العلم وقل الجهل بسببه حصل له من الخير والحسنات ما لا يحصيه الا الله ان قبله الله، وبالغفلة عن طلبة العلم تضعف هممهم ويقل طلبهم وفي مناقب عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه إذ أراد أن يحي سنة أخرج من العطاء مالاً كثيراً فإذا نفروا من هذا رغبوا إلى هذا فلله دره رحمه الله ما أحسن نظره لنفسه ولمن ولاه الله عليهم.

وهذا الذي ذكرنا من الامور البينة التي ينبغي التنبه عليها بخصوصها وأما الامور التي بين الله وبين العبد التي فيها صلاح القلوب ومغفرة الذنوب من إتعاب النفس فيما يحبه الله ويرضاه مما يقع له عليه فهذا باب واسع ولا يدرك هذا الا من جعل الله له رغبة في تدبر كتابه ومعرفة صفة أهل الإيمان والتقوى الذين أعد الله لهم الجنة ويجاهد نفسه على ذلك فعلاً وتركاً.

وعلى كل من نصح نفسه ان يحذر من كبائر الذنوب التي هي من أعظم الذنوب ولا يامن مكر الله وليكن لنفسه أشد مقتا منه لغيره وليكن معظماً للامر والنهي مفكراً فيما يحبه الله ويرضاه متدبراً لكتابه محبة لربه ورغبة في ثوابه، وخوفاً من غضبه وعقابه، ومن الواجب على كل أحد أن يحب في الله ويبغض في الله ويعادي في الله ويوالي في الله، ويحب أولياء الله أهل طاعته،

ويعادي أعداءه أهل معصيته، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٧)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسئيات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه.

من عبد الرحمن بن حسن إلي الاخ عبد اللطيف ابن حامد وفقه الله تعالى لتوحيده وجعله من صالحي عبيده.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصل إلينا خطك ومعه نسخة الاسئلة وسرنا ما كنت عليه مستقيماً من دين الإسلام الذي إشتدت غربته بين جميع الانام. فانا أذكر جواب ما سألت عنه على طريق الاختصار والايجاز.

(السؤال الاول) عما في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال: ﴿ **من قال لا إله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل** ﴾.

فاعلم أن (لا اله الا الله) هي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل عليه السلام باقية في عقبة لعلهم يرجعون، ومعناها نفي الشرك في الالهية عما سوى الله، وإفراد الله تعالى بالالهية. والالهية هي تأله القلب بانواع العبادة كالمحبة والخضوع والذل بالدعاء والاستعانة والرجا والخوف والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة التي ذكر الله في كتابه العزيز أمراً وترغيباً للعباد ان يعبدوا بها ربهم وحده وهي إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة وكل نوع من انواع العبادة لا يستحق ان يقصد به الا الله وحده

---

(١) مجموعة الرسائل والسائل ٢/٢.

فمن صرفه لغير الله فقد أشركه في حق الله الذي لا يصلح لغيره وجعل له نداً وقد عمت البلوى بهذا الشرك الاكبر بأرباب القبور والاشجار والاحجار واتخذوا ذلك ديناً زعموا أن الله تعالى يحب ذلك ويرضاه وهو الشرك الذي لا يغفره الله كما قال تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾وقال تعالى ﴿ **أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾ وقال تعالى في معنى هذا التوحيد ﴿ **وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه** ﴾اي أمر ووصى وهذا معنى لا إله الا الله، فقوله: ان لا تعبدوا هو معنى لا اله في كلمة الاخلاص وقوله: الا إياه هو معنى الاستثناء في لا إله الا الله ونظائر هذه الآية في القرآن كثيرة كما سنذكر بعضه وقال تعالى ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ وهذا النهي عام يتناول كل مدعو من ملك أو نبي أو غيرهما فانَّ أحداً نكرة في سياق النهي وهي تعم وأمثال هذه الآية كثير كقوله تعالى ﴿ **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً** ﴾ وفي حديث معاذ الذي في الصحيحين (**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**) وفيهما أيضاً (من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار).

وإخلاص العبادة لله تعالى هو التوحيد الذي جحده المشركون قديماً وحديثاً ولما قال رسول الله ﷺ لقومه وغيرهم من أحياء العرب (قولوا لا اله الا الله تفلحوا) قالوا﴿ **أجعل الالهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق** ﴾ فعرفوا معنى لا اله الا الله وانه توحيد العبادة لكن جحدوه كما قال عن قوم هود (أجئتنا لنعبد الله وحده) وقال تعالى عن مشركي هذه الامة ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾ عرفوا ان المراد من لا اله الا الله ترك الشرك في العبادة وان يتركوا عبادة ما سواه مما كانوا يعبدونه من ملك او نبي أو شجر أو حجر أو غير ذلك.

فاخلاص العبادة لله هو أصل دين الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل

به كتبه وهو سر الخلق قــال تعالى لنبيه ﴿ **قل إنما أمرت أن اعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو وإليه مآب** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ومن يسلم وجهه إلى الله وهــو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ فإسـلام الوجـه هو إخـلاص الأعمال البـاطنة والظاهرة كلها لله وهذا هو توحيد الإلهية وتوحيد العبادة وتوحيد القصد والإرادة، ومن كان كذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى وهي لا إله الا الله فإن مـدلولهـا نفي الشـرك وإنكاره والبـراءة منه وإخـلاص العبادة لله وحـده وهو معنى قـول الخليـل (إني وجهت وجهي للذي فطر السمـوات والأرض حنيفاً ومـا أنـا من المشركين) وهذا هو الإخلاص الـذي هو دين الله الـذي لم يرض لعبـاده ديناً سواه كما قال تعالى ﴿ **فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص** ﴾ والدين هو العبادة وقد فسره أبو جعفر بن جـرير في تفسيـره بالـدعاء وهـو بعض أفراد العبادة كما في السنـن من حديث أنس (الدعاء مخ العبادة) وحديث النعمـان ابن بشير (الدعاء هو العبادة) أي معظمها وذلك أنـه يجمع من أنـواع العبادة أموراً سنذكرها ان شـاء الله تعالى وقـال تعالى ﴿ **قـل إنما امـرت ان أعبد الله مخلصاً له الدين** ﴾ وقال ﴿ **قل الله أعبد مخلصاً له ديني** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فادعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ والدعاء في هذه الآية هو الدعـاء بنوعيـه دعاء العبـادة ودعـاء المسألـة وقال: (**ومـا أمروا إلا ليعبـدوا الله مخلصين له الـدين حنفاء**) والحنيف هو الراغب عن الشرك المنكر له وقد فسره ابن القيم رحمه الله بتفسير شامل لمدلول لا إله إلا الله فقال: الحنيف المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه وهذا التوحيد هو الذي أنكره أعداء الرسل من أولهم إلى آخرهم وقد بين تعالى ضلالهم بالشرك كما قال تعالى ﴿ **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين** ﴾ وهذا المذكور في هـذه الآية هـو توحيـد الربوبيه ومشـركو العـرب والأمم لم يجحدوه بـل أقـروا بـه لله فصـار حجـة عليهم فيمـا جحدوه من توحيد الالهية ولهذا قال بعد هذه الاية (ومن أضل ممن يدعو من

دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ وقال تعالى ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير** ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً بل القرآن من أوله إلى آخره يدل على هذا التوحيد مطابقة وتضمناً والتزاماً وهو الدين الذي بعث به المرسلين من أولهم إلى آخرهم كما قال تعالى ﴿ **واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاق وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله** ﴾ فدلت هذه الآية وما قبلها على أن الله تعالى إنما أراد من عباده أن يخلصوا له العبادة وهي أعمالهم ونهاهم أن يجعلوا له شريكاً في عباداتهم وإرادتهم التي لا يستحقها غيره كما تقدم ، قال تعالى ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **والهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾ والمراد تطهيره عن الشرك في العبادة ولهذا قال تعالى ﴿ **ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾ وقد بين الله تعالى في مواضع من القرآن معنى كلمة الاخلاص (لا اله إلا الله) ولم يكل عباده في بيان معناها إلى أحد سواه وهو صراطه المستقيم كما قال (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) وقال تعالى ﴿ **وإذ قال إبراهيم لابيه وقومه إنني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبة لعلهم يرجعون** ﴾ فعبر عن معنى لا إله بقوله (إنني براء مما تعبدون) وعبر عن معنى إلا الله بقوله : الا الذي فطرني فتبين ان معني لا إله إلا الله هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله وإخلاص العبادة بجميع انواعها لله تعالى كما تقدم وهذا واضح بين لمن جعل الله له بصيرة ولم تتغير فطرته فلا يخفي الا على من عميت بصيرته بالعوائد الشركية وتقليد من خرج عن الصراط المستقيم من أهل الاهواء والبدع والضلال ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. وقال تعالى في بيان معناها ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى**

كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ والمعنى أي بعض كان من نبي أو غيره كالمسيح ابن مريم ولعزير ونحوهما وفي قوله (أن لا نعبد) معنى (لا إله) وقوله: الا الله هو المستثني في كلمة الاخلاص وهذا التوحيد هو الـذي دعا اليـه رسول الله ﷺ أهل الكتاب وغيرهم من الانس والجن كما قال تعالى ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ وقد قال تعالى في معنى هذه الكلمة عن أصحاب الكهف ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله** ﴾ ففي قولهم وإذ اعتـزلتموهم معنى لا إلـه وقولهم إلا الله هـو المستثني في كلمة الاخلاص وقال تعالى ﴿ **وربطنا على قلوبهم إذ قاموا) إلى** قوله ﴿**لن ندعو من دونه إلهاً** ﴾ فتقرر بهذا أن الإلهية هي العبادة وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد جعله لله ندا والقرآن كله في تقرير معنى لا إله إلا الله وما تقتضيه وما تستلزمه وذكر ثواب أهل التوحيد وعقاب أهل الشرك ومع هذا البيان الذي ليس فوقه بيان كثر الغلط في المتأخرين من هذه الامة في معنى هذه الكلمة وسببه تقليد المتكلمين الخائضين فظن بعضهم ان معنى لا إله إلا الله إثبات وجود الله تعالى ولهذا قدروا الخبر المحذوف في لا إله إلا الله وقالوا لا **إله موجود إلا الله ووجوده تعالى قد أقربه المشركون الجاحدون لمعنى هذه** الكلمة، وطائفة ظنوا أن معناها قدرته على الاختراع وهذا معلوم بالفطرة وما يشاهد من عظيم مخلوقات الله كخلق السموات والأرض وما فيها من عجائب المخلوقات وبه إستدل الكليم موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون لما قال: (وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين) وفي سورة بني اسرائيل (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر) ففرعون يعرف الله ولكن جحده مكابرة وعناداً وأما غير فرعون من أعداء الرسل من قومهم ومشركي العرب ونحوهم فاقروا بوجود الله تعالى وربوبيته كما قال تعالى ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ فم يدخلهم ذلك في

الإسلام لما جحدوا ما دلت عليه لا إله إلا الله من إخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده وفي الحديث الصحيح (من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار) وتقدم فيما تقدم من قول قوم هود (أجئتنا لنعبد الله وحده) دليل على أنهم أقروا بوجوده وربوبيته وانهم يعبدونه لكنهم أبوا ان يجردوا العبادة لله وحده دون آلهتهم التي كانوا يعبدونها معه فالخصومة بين الرسل وأممهم ليست في وجود الرب وقدرته على الاختراع فإن الفطر والعقول دلتهم على وجود الرب وأنه رب كل شيء ومليكه وخالق كل شيء والمتصرف في كل شيء وانما كانت الخصوصة في ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله كما قال تعالى ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم اليم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإبراهيم إذ قال لقومه أعبدوا الله وإتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوا واشكروا الله إليه ترجعون* وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾.

فالشرك في العبادة هو الذي عمت به البلوى في الناس قديماً وحديثاً كما قال تعالى ﴿ **قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين** ﴾ وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الامة تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع ولهذا أنكر كثير من أعداء الرسل في هذه الأزمنة وقبلها على من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده وجحدوا ما جحدته الامم المكذبة من التوحيد واقتدوا بمن سلف من اعداء الرسل في مسبتهم من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله ونسبته إلى الخطأ والضلال كما رأينا ذلك في كلام كثير منهم كابن كمال المشهور بالشرك والضلال وقد كمل في جهله وضلاله وأتى في كلامه بأمحل المحال وقد إشتهر عنه بأخبار الثقات أنه يقول: عبد القادر في قبره يسمع ومع سمعه ينفع وما يشعره أنه في قبره الآن رفات كحال الأموات وهذا قول شنيع وشرك فظيع ألا ترى ان الحي الذي قد كملت قوته، وصحت حاسة،

سمعه وبصره لو ينادى من مسافة فرسخ أو فرسخين لم يمكنه سماع ناداه من ناداء فكيف يسمع ميت من مسافة شهر أو شهرين أو دون ذلك أو أكثر وقد ذهبت قوته وفارقته روحه وبطلت حواسه هذا من أعظم ما تحيله العقول وتنكره الفطر وفي كتاب الله عز وجل ما يبطله قال الله تعالى ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما إستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ فاخبر الخبير جل وعلا أن سماعهم ممتنع واستجابتهم لمن دعاهم ممتنعة فهؤلاء المشركون لما استغرقوا في الشرك ونشأوا عليه أتوا في اقوالهم بالمستحيل ولم يصدقوا الخبير في أخباره وقال تعالى ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ فذكر تعالى أنهم أموات دليل على بطلان دعوتهم وكذلك عدم شعورهم يبين تعالى بهذا جهل المشرك وضلاله فأحق عز وجل في كتابه الحق وأبطل الباطل ولو كره المشركون لكن هؤلاء لما عظم شركهم نزلوا الاموات في علم الغيب منزلة علام الغيوب الذي يعلم خائنة الإلا عين وما تخفي الصدور وشبهوهم برب العالمين سبحانه وتعالى عما يشركون قال الله تعالى ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾ وليس عند هؤلاء الملاحدة ما يصدون به العامة عن أدلة الكتاب والسنة التي فيها النهي عن الشرك في العبادة إلا قولهم قال أحمد بن حجر الهيثمي : قال : فلان وقال فلان : يجوز التوسل بالصالحين ونحو ذلك من العبارات الفاسدة.

فنقول : هذا وأمثاله ليس بحجة تنفع عند الله وتخلصكم من عذابه بل الحجة ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الثابتة عنه وما أجمع عليه سلف الامة وأئمتها وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل نترك ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله. إذا عرف ذلك فالتوسل يطلق على شيئين فإن كان ابن حجر وأمثاله أرادوا سؤال الله بالرجل الصالح في غيابه أو بعد وفاته فهذا ليس في الشريعة ما يدل على جوازه ولو جاز لما ترك

الصحابة رضي الله عنهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته كما كانوا يتوسلون بدعائه في حياته إذا قحطوا وثبث عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج بالعباس ابن عبد المطلب عام الرمادة بمحضر من السابقين الاولين يستسقون فقال: عمر اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ثم قال إرفع يديك يا عباس فرفع يديه يسأل الله تعالى ولم يسأله بحاه النبي ﷺ ولا بغيره ولو كان هذا التوسل حقاً كانوا إليه أسبق وعليه أحرص فإن كانوا أرادوا بالتوسل دعاء الميت والاستشفاع به فهذا هو شرك المشركين بعينه والادلة على بطلانه في القرآن كثيرة جداً فمن ذلك قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون ﴾ فالذي له ملك السموات والأرض هو الذي يأذن في الشفاعة كما قال الله تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه ﴾ وقال تعالى ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ وهو لا يرضى الا الأخلاص بالاقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كما صرح به النبي ﷺ في حديث أبي هريرة وغيره وأنكر تعالى على المشركين اتخاذ الشفعاء فقال تعالى: ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ فبين تعالى في هذه الآية أن هذا هو شرك المشركين وان الشفاعة ممتنعة في حقهم لما سألوها من غير وجهها وإن هذا شرك نزه نفسه عنه بقوله تعالى ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ فهل فوق هذا البيان بيان وقال تعالى ﴿ والذين إتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفي ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ فكفرهم بطلبهم من غيره ان يقربوهم اليه وقد تقدم بعض الادلة على النهي عن دعوة غير الله والتغليظ في ذلك وأنه في غاية الضلال وأنه شرك بالله وكفر به كما قال (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) فمن اراد النجاة

فعليه بالتمسك بالوحيين الذين هما حبل الله وليدع عنه بنيات الطريق كما قال تعالى ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ وقد مثل النبي ﷺ الصراط المستقيم وخط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: (هذه هي السبل وعلى كل سبيل شيطان يدعو اليه) والحديث في الصحيح وغيره عن عبد الله ابن مسعود وكل من زاغ عن الهدى وعارض أدلة الكتاب والسنة بزخرف أهل الاهواء فهو الشيطان.

فصل

والعاقل إذا تأمل ما عارض به أولئك الدعاة إلى الشرك بالله في عبادته كابن كمال وغيره دعاء الناس إلى اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له فالعاقل يعلم ان معارضتهم له قد اشتملت على أمور كثيرة منها:

(الأمر الاول) أنهم أنكروا ما جاءت به الرسل من توحيد العبادة وما نزلت فيه الكتب الإلهية من هذا التوحيد فهم في الحقيقة إنما عابوا الرسل والكتب المنزلة عليهم من عند الله.

(الأمر الثاني) تضمنت معارضتهم قبول الشرك الاكبر ونصرته وهو الذي أرسل الله رسله وأنزل كتبه بالنهي عنه وقد خالفوا جميع الرسل والكتب فهم في الحقيقة قد أنكروا على من دان بهذا التوحيد ودعا اليه من الاولين والأخرين.

(الأمر الثالث) وقد تضمنت معارضتهم أيضاً مسبة من دعا إلى التوحيد وأنكر الشرك أسوة بأعداء الرسل كقوم نوح إذ قالوا (إنا لنراك في ضلال مبين) وقال قوم هود (إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين) وقول من قال من مشركي العرب للنبي محمد ﷺ (إن هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً) فالظلم والزور في كلام هؤلاء المنكرين للتوحيد أمر ظاهر يعرفه كل عاقل منصف فقد تناولت مسبتهم كل من دعا إلى الإسلام وعمل به من الاولين والآخرين كما أن من كذب رسولاً فيما جاء به من الحق فقد كذب

المرسلين كما ذكره الله تعالى في قصص الانبياء فمن أنكر ما جاءت به الرسل فهو عدو لهم .

(الأمر الرابع) وتضمنت معارضتهم أيضاً الكذب والافك والبهتان وزخرف القول في ذلك أسوة أعداء الرسل الذين قال الله فيهم ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن بوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ فهذه حال كل داعية إلى الشرك بالله في عبادته من الاولين والأخرين ، فإذا تأمل اللبيب ما زخرفوه وأتوا به من الفشر والاكاذيب وجدها كما قال تعالى ﴿**كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب**﴾ .

(الأمر الخامس) معارضة اولئك للآيات المحكمات البينات التي هي في غاية البيان والبرهان وبيان ما ينافي التوحيد من الشرك والتنديد عارضوا بقول أناس من المتأخرين لا يجوز الاعتماد عليهم في أصول الدين فيقولون قال ابن حجر الهيثمي : قال البيضاوي : قال فلان : ولا ريب أن الزمخشري وأمثاله من المعطلة أعلم من هؤلاء وأدري في فنون العلم لكنهم أخطؤا كخطأ هؤلاء وفي تفسير الزمخشري من دسائس الاعتزال ما لا يخفى وليسوا بأعلم منه وعلى كل حال فليسوا بحجة يعارض بها نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الامة وائمتها من الدين الحنيف الذي هو ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ودين الرسل الذي قال الله تعالى فيه ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه** ﴾ فأولئك المعارضون للحق بمن ذكرنا وأمثالهم فيهم شبه بمن قال الله فيهم : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال : مترفوها إنا وجدنا ابائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال : أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾ وهذا على تقدير أنهم أصابوا في النقل عنهم ولعلهم أخطئوا وكذبوا عليهم والله أعلم . والادلة بالاجماع ثلاثة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وائمتها .

وأما القياس الصحيح فعند بعض العلماء حجة إذا لم يخالف كتاباً ولا سنة فإن خالف نصاً أو ظاهراً لم يكن حجة وهذا هو الذي أجمع عليه العلماء سلفاً وخلفاً وتفصيل ذلك في كتب أصول الفقه وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: (وكفر بما يعبد من دون الله) فهذا شرط عظيم لا يصح قول لا إله إلا الله بوجوده وإن لم يوجد لم يكن من قال: لا إله إلا الله معصوم الدم والمال لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله فلم ينفعه القول بدون الاتيان بالمعنى الذي دل عليه من ترك الشرك والبراءة منه وممن فعله فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك صار مسلماً معصوم الدم والمال وهذا معنى قول الله تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ وقد قيدت لا إله إلا الله في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال لا بد من الاتيان بجميعها قولاً واعتقاداً وعملاً فمن ذلك حديث عتبان الذي في الصحيح (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) وفي أحاديث أخر (صدقا من قلبه خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه ـ غير شاك) فلا تنفع هذه الكلمة قائلها الا بهذه القيود إذا اجتمعت له مع العلم بمعناها ومضمونها كما قال تعالى ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ فمعناها يقبل الزيادة لقوة العلم وصلاح العمل فلا بد من العلم بحقيقة معنى هذه الكلمة علما ينافي الجهل بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها ولا بد من اليقين المنافي للشك فيما دلت عليه من التوحيد ولا بد من الأخلاص المنافي للشرك فإن كثيراً من الناس يقولها وهو يشرك في العبادة وينكر معناها ويعادي من اعتقده وعمل به ولا بد من الصدق المنافي للكذب بخلاف حال المنافق الذي يقولها من غير صدق كما قال تعالى ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ولا بد من القبول المنافي للرد بخلاف من يقولها ولا يعمل بها ولا بد من المحبة لما دلت عليه من التوحيد والأخلاص وغير ذلك والفرح بذلك المنافي لخلاف هذين الامرين ولا بد من الانقياد بالعمل بها وما دلت عليه مطابقة وتضمنا والتزاماً وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينا سواه وأنت

أيها الرجل ترى كثيراً ممن يدعي العلم والفهم قد عكس مدلول **لا إله إلا الله** كابن كمال ونحوه من الطواغيت فيثبتـون ما نفتـه لا اله الا الله من الشـرك في العبادة ويعتقدون ذلك الشرك ديناً وينكر ما دلت عليه من الاخلاص ويشتم أهله وقد قال تعالى ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص** ﴾

وهذا النوع من النـاس الذين قـد فتنوا وافتتنوا يستجهلون أهل الإسـلام ويستهزؤون بهم أسوة من سلف من أعداء الرسل وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء ﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون** ﴾.

وأما ما سألت عنه من حديث (خذ من القرآن ما شئت لما شئت) فهذا ليس بحديث ولا يصح أن ينسب إلى النبي ﷺ وأما حديث ويش الذي يغبأ[1] يا رسول الله قال: الذي ما كان فلا يجوز أن ينسب إلى النبي ﷺ هذا كيف وقد قال الله تعالى ﴿ **وما من غائبة في السماء والأرض الا في كتاب مبين** ﴾ فسماها غائبة مع وجودها في السماء والأرض.

(وأما المسئلة الرابعة) فيمن يعرف التـوحيد ويعتقـده ويقرأ في التفسير كتفسير البغوي ونحوه فلا بأس أن يحدث بما سمعه وحفـظه من العلم ولو لم يقرأ في النحو.

فمن المعلوم أن كثيراً من العلماء من المحدثين والفقهاء إنما كان دأبهم طلب ما هو الأهم والنحو إنما يراد لغيره فيأخذ الرجل منه ما يصلح لسانه فـانشر مـا علمت من العلم خصـوصـاً علم التـوحيـد الـذي هـو في الآيـات المحكـات كالشمس في نحر الظهيرة لمن رغب فيه وأحبه وأقبل عليه وقد عرفت أن كتمان العلم مذموم بالكتاب والسنة كما قال تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنـا من**

---

(١) المعنى : وأي شيء الذي يغيب إلخ .

البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتـاب أولئك يلعنهم الله ويلعَنهم اللاعنون ﴾ وقد ارشد الله تعالى عباده إلى تدبر كتابه وذم من لم يتدبره وقد قال تعالى ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلـك لرحمـة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وأخبر عن جن نصيبين أنهم لما سمعوا قراءة النبي ﷺ للقرآن بوادي نخلة منصرف من الطائف ولَّوا إلى قومهم منذرين قالـوا يا قـومنا إنا سمعنا كتاباً أنـزل من بعد مـوسى مصدقـاً لما بـين يديـه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به) الآية وأخبر تعالى عنهم في سورة الجن أنهم أنكروا الشرك الذي كان يفعله الإنس مع الجن من الاستعاذة بهم إذا نزلوا وادياً وأخبر تعالى عن هدهد سليمان أنه أنكر الشرك وهو طـائر من جملة الطير قال تعالى ﴿ فمكث غير بعيد * فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إني وجـدت امرأة تملكهم وأوتيت من كـل شيء ولها عـرش عظيم * وجدتها وقومهـا يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيـطان أعمـالهم فصـدهم عن السبيـل فهم لا يهتـدون * إلا يسجـدوا لله الـذي يخـرج الخبء في السموات والأرض ﴾ الآيـة فحدث الهـدهد سليمـان عليه السلام بما رآهم يفعلونه من السجود لغير الله والسجود نـوع من أنواع العبـادة فليت أكثر الناس عرفوا من الشرك ما عرفه الهدهد فانكروا وعـرفوا الإخـلاص فالتزموه وبالله التوفيق فسبحان من غـرس التوحيـد في قلب من شاء من خلقـه وأضل من شاء عنه بعلمه وحكمته وعدله.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو فرض باليد واللسان والقلب مع القدرة فأما فرضه باليد واللسان فإنه من فروض الكفايات إذا قـام به طـائفة سقط عن الباقين وان تركوه كلهم أثموا وأما القلب فلا يسقط عنه بحال قال الله تعالى ﴿والتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ وقال في حق من تركه: (كانوا لا يتناهون عن منكـر فعلوه لبئس ما كـانوا يفعلون) وفي الحـديث الصحيح (من رأى منكم منكراً فليغيره بيـده، فإن لم يستـطع فبلسانـه، فإن لم يستـطع فبقلبه، وذلـك

أضعف الإيمان) وفي رواية وليس وراء ذلك من الأيمـان حبة خردل.

وأما ما ذكرت بعد ذلك من الاسئلة في مخالـطة المشركين وأهـل البدع فإن كان لـك قدرة على الهجـرة عنهم وجبت عليك لمـا فيها من حفظ الـدين ومفارقة المشركين والبعد عنهم وأما من كان من المستضعفين الذين لا قدرة لهم على الهجرة فعليه أن يعتزلهم ما استطاع ويظهر دينه ويصبر على اذاهم فقد قال تعـالى ﴿ ومن الناس من يقـول آمنا بـالله فإذا أوذي في الله جعـل فتنـة النـاس كعذاب الله ﴾ الآية والله المستعان.

وأما السؤال عن قوله تعالى ﴿ من كفر بالله من بعـد إيمانـه الا من إكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ فالآية نزلت في شأن عمار بن ياسر لما عذبه مشـركوا مكة وحبسوه في بئر ميمون وأكرهوه على كلمة كفر فقالها تخلصـاً من عذابهم فسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: (فإن عـادوا فعد) وهـذا قبل وجـوب الهجرة فأنزل الله هذه الآية.

وأما حديث (أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين لا ترآءى ناراهمـا) فهذا في حق من له قدرة على البعد عنهم واما من لا يمكنه البعد عنهم بحيث لا يقدر على ذلك بوجه من الوجوه فلا.

وأما حديث (من أنكر فقد بريء ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع فاؤلئك هم الهالكون) فقد تقدم بيـان ذلك في معنى حـديث (من رأى منكم منكراً فلغيره بيده) فالانكار يجب مع الاستطاعة والكراهة هي أضعف الإيمان وأما الرضا بالمنكر والمتابعة عليه فهو الهلاك الذي لا يرجى معه فلاح

والله أعلم ونسأل الله تعالى الثبات على الإيمان وأن لا يزيغ قلوبنا عنه . . . . . بعد إذ هدانا اليه وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين . . . . .
. . . . وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً

إلى يوم الدين

آمين آمين (١)

---

(١) مجموعة الرسائل المسائل ٢/١٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٨)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من عبد الرحمن بن حسن إلى الإمام المكرم أكرمه الله بالتوحيد وحماه من شبه أهل الشرك والالحاد والتنديد، سلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاعلم ان لا آله إلا الله لها معنى عظيم تستضيء به قلوب أهل الإسلام والإيمان، وهو الذي بعث الله به جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم وخلقهم لأجله والقرآن من أوله إلى آخره يبين معنى هذه الكلمة وتذكر بعض ما دل عليه القرآن من معناها وما ذكره العلماء من أئمة الإسلام فدونك كلام العماد بن كثير رحمه الله تعالى في تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون) ذكر ان هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالاخلاص وان قريشا دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أو ثانهم سنة ويعبدون إلهه سنة فأنزل الله هذه السورة وأمره فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال (لا أعبد ما تعبدون) يعني من الاصنام والانداد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وهو الله وحده ولهذا كان كلمة الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله. والمشركون يعبدون غير الله (قلت) فدلت هذه السورة الكريمة على البراءة من عبادة أصنام المشركين وأوثانهم، فأمر الله تعالى نبيه أن يتبرأ من أوثان المشركين وأصنامهم التي كانت موجودة في الخارج اللات والعزى ومناة وغيرها وقد أخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال: لأبيه وقومه (ما تعبدون؟ قالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين - إلى قوله - أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي الا رب العالمين) فصرح بعداوة أصنامهم بأعيانها وهي موجودة في الخارج واستثنى من معبوداتهم رب العالمين لأنهم كانوا يعبدون الله لكنهم يعبدون معه الاصنام فاستثنى المعبود الحق الذي لا تصلح العبادة الا له فأخبر تعالى عنه انه قال لقومه: ﴿ أإفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ واخبر عنه انه قال: لقومه ﴿ انني براء مما تعبدون، الا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ وجعلها كلمة

باقية في عقبة وهي : لا آله الا الله بإجماع أهل الحق فعبر عنها بالبراءة من معبوداتهم التي كانوا يعبدونها في الخارج فقوله﴿ **إنني براء مما تعبدون** ﴾ وهو معنى النفي في قوله: ﴿ **لا إله** ﴾وقوله إلا الذي فطرني هو معنى إلا الله وهذا كاف في البيان لمثلك الذي عرف معنى ﴿**لا آله إلا الله** ﴾ وهذا المعنى في هذه الكلمة يعرفه حتى المشركون كما قال تعالى﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا آله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾عرفوا أن **لا إآله الا الله** تدل على ترك عبادة آلهتهم التي كانوا يعبدونها من اوثانهم واصنامهم وكل الفرق يعرفون معناها حتى اعداء الرسل كما قالت عاد ﴿ **اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا** ﴾ فعرفوا على شدة كفرهم أنه اراد منهم ترك عبادة ما كان يعبده آباؤهم.

فتبين بهذا أن لا آله الا الله نفت كل ما كان يعبد من دون الله من صنم ومن وثن من حين حدث الشرك في قوم نوح إلى أن تقوم الساعة وهذا المعنى أكثر أهل العلم يسلمونه ويعرفونه حتى الخوارج والرافضة والمعتزلة والمتكلمون من كل أشعري وكرامي وما تريدي، وإنما اختلفوا في العمل بلا إله إلا الله فبعضهم يظن أن هذا في حق أناس كانوا فبانوا فخفي عليهم حقيقة الشرك وأما الفلاسفة وأهل الإتحاد فإنهم لا يقولون بهذا المعنى ولا يسلمونه بل يقولون ان المنفي بلا آله إلا الله كلي لا يوجد منه في الخارج الافرد وهو الله فهو المنفي وهو المثبت بناء على مذهبهم الذي صاروا به أشد الناس كفرا وهو قولهم ان الله هو الموجود المطلق فلم يخرجوا من ذلك صنماً ولا وثناً ويشبه قولهم هذا أهل وحدة الوجود القائلين بأن الله تعالى هو الموجود بعينه فيقولون ان المنفي كلي والمثبت بقوله: الا هو الوجود بعينه ولا فرق عند الطائفتين بين الخالق والمخلوق ولا بين العابد والمعبود كل شيء عندهم هو الله حتى الاصنام والاوثان وهو حقيقة قول هذا الرجل سواء فخذ قولي واقبله وفقك الله فلقد عرفت بحمد الله ما أرادوه من قولهم ان المنفي كلي لا يوجد منه في الخارج الا فرد ويدعي هذا مثل ما ادعته هذه الطائفة ان تقدير خبر لا موجود وهذه

الكلمة لم توضع لتقرير الوجود وإنما وضعت لنفي الشرك والبراءة منه وتجريد التوحيد كما دلت عليه الآيات المحكمات البينات ودعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم وتقدير خبر لا بموجود لا يجري الا على مذهب الطائفتين لعنهم الله على قولهم ان الله هو الوجود فلا موجود الا الله، فهذا معنى قوله انه كلي لا يوجد منه في الخارج الا فرد فغير المعنى الذي دلت عليه لا آله إلا الله من نفي جميع المعبودات التي تعبد من دون الله والمنفي انما هو حقيقتها كما قال: المسيح عليه السلام ﴿ **سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق** ﴾ولا ريب ان كل معبود سوى الله فهو باطل والمنفي بلا آله هي المعبودات الباطلة والمستثنى بإلا هو سبحانه ويدل على هذا قوله تعالى في سورة الحج ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي الموتى** ﴾ وقال في آخر السورة ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعونه من دونه هو الباطل** ﴾ وقال في سورة لقمان ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل** ﴾ فقوله ﴿ **ذلك بإن الله هو الحق** ﴾ هو المستثنى بالا الله وهو الحق وقوله ﴿ **وأن ما يدعون من دونه هو الباطل** ﴾ هو المنفي بلا أله وما بعد هذا الا التلبيس على الجهال وإدخال الشك عليهم في معنى كلمة الإخلاص فكابر المعقول والمنقول بدفعه ما جاء به كل رسول. **نسأل الله لنا ولكم علماً نستضيء به من جهل الجاهلين وضلال المضلين وزيع** الزائغين وفي الحديث (رب لا تزغ قلبي بعد إذ هديتني) وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ في الركعة الأخيرة بعد المغرب ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾ وهذا بحمد الله كافٍ في بيان الحق وبطلان الباطل وصلّى الله على سيد المرسلين.

وعلى آله وصحبه أجمعين (١)

وسلم تسليما

---

(١) المجموعة ٢/٩٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٩)

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يصل اليه من الأخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) تفهمون أن الجماعة فرض على من دان بالإسلام كما قال تعالى ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ولا تحصل الجماعة الا بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين وفي الحديث الصحيح عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) وقد جمع الله أوائل الأمة على نبيه ﷺ وذلك بسبب الجهاد وكذلك الخلفاء رد الله بهم إلى الجماعة من خرج عنها وأقاموا الجهاد في سبيل الله فأظهر الله بهم دينه وفتح الله لهم الفتوح وجمع الله عليهم. وتفهمون أن الله سبحانه وتعالى جمعكم على إمامكم عبد الله بن فيصل بعد وفاة والده فيصل رحمه الله فالذي بايع بايع وهم الأكثرون والذي ما بايع بايعوا لهم كبارهم وإجتمعوا عليه أهل نجد باديهم وحاضرهم وسمعوا وأطاعوا ولا اختلف عليه أحد منهم حتى سعود بن فيصل بايع أخاه وهو ما صار له مدخال في أمر المسلمين لا في حياة والده ولا بعده، ولا التفت له احد من المسلمين ونقض البيعة وتبين لكم أمره انه ساع في شق العصا واختلاف المسلمين على إمامهم وسعى في نقض بيعة الإمام وقد قال تعالى ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً أن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون** ﴾ وسعود سعى في ثلاثة أمور كلها منكر نقض البيعة بنفسه وفارق الجماعة ودعا الناس إلى نقض بيعة الإسلام فعلى هذا يجب قتاله وقتال من أعانه وفي الحديث من فارق الجماعة قيد بشر فمات فميتته جاهلية وفي

الحديث الآخر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه فإن كان أحد مشكل عليه وجوب قتاله لما في الحديث إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار.

فظاهر الحديث ان المراد ما يجري بين القبائل من العصبية إما عند ضربة عصا من قبيلتين أو فخذين أو طعنة فكل قبيلة أو فخذ يكون منهم حمية لمن كان منهم من غير خروج على الإمام ونقض لبيعة الإسلام ولا شق عصا المسلمين، وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم ذكروا قتال العصبية وحكمه وقتال الباغي وحكمه فذكروا انه يجب على الإمام في قتال العصبية أن يحملهم على الشريعة، وأما البغاة فحكمهم انهم يقاتلون حتى يفيؤا أو يرجعوا ويدخلوا في جماعة المسلمين فالفرق ظاهر بين ولله الحمد، فاستعينوا بالله على قتال من بغي وطغى وسعى في البلاد بالفساد، وهذا أمر فساده ظاهر ما يخفي على من له عقل واحتسبوا جهادكم وأجركم على الله وأنتم سالمون والسلام. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٠)

من عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الاخ عبد الله بن محمد: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وما ذكرت أنا ننصركم فبلدكم بعيد لا يستطاع الوصول إليها، وأما نصرتكم بالحجة والبيان فالله تعالى قد قال في كتابه ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾ والخصومة بينكم وبين الضد في عبادتهم غير الله تعالى من الاموات الذين لا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً كما قال تعالى ﴿ **قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم** ﴾ وقد كان جل عبادتهم لهم في الرغبات والرهبات بالدعاء والاستعانه وقد قال تعالى ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ وأجد نكره في سياق النهي تعم كل مدعو من دون الله كالأنبياء ومن دونهم وقد أمر الله نبيه أن يعبد ربه وحده بالدعاء وغيره من أنواع

(١) المجموعة ٢/ ٧.

العبادة قال الله تعالى آمراً نبيه أن يدعو أمته أن يخلصوا الدعاء لربهم وخالقهم فقال تعالى ﴿ **قل إني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب** ﴾ وقال تعالى ﴿ **له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** ﴾فبين تعالى أنه المستحق لدعوة الحق وان الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وأن دعوة غيره ضلال والضلال ضد الهدى وكفرهم بذلك وقال تعالى ﴿**ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ فكفر من يدعو غيره في هاتين الآيتين وقال: ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾ وقال تعالى ﴿ **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما إستجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير** ﴾ فهذه الآيات تقصم ظهر المشرك الملحد فمن تمسك بها غلب خصمه المشرك كما قال شيخنا رحمه الله تعالى والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء الشياطين وما ذكرت من أنهم يأتون بفتاوى من علماء مكة فليس مع من عارض أدلة التوحيد الاشبهات شياطين وقد كتبنا نسخة في هذا المعنى رداً على من زعم ان الاستمداد بالاموات جائز وفيها كفاية لاهل الحق.

وأما ما سئلت عنه فيمن أنكر الحكم برجحان العمل بالحديث الصحيح في مقابلة المذهب المتزم.

فهذا من محدثات الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى: ﴿ **إتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾الآية وهذ أصل عظيم من أصول الدين قال العلماء رحمهم الله: **(كل يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ وهذا قول الإمام مالك رحمه الله)** .

وهذا القول الذي يقوله هؤلاء يفضي إلى هجران الكتاب والسنة وتبديل أحكام النصوص كما فعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى والكتاب والسنة شفاء وهدى لمن أصغى اليهما.

ومن طلب الحق منهما ناله وفهمه وقد قال تعالى ﴿ **كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب** ﴾ والأمر بتدبره والتذكر ليس مخصوصاً بالعلماء المجتهدين بل عام لكل من له فهم يدرك به معنى الكلام، والتقليد المفضي إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه بمن قال الله فيهم ﴿ **إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ وقوله ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ وأهل الاجتهاد من العلماء وإن كانوا معذورين بإجتهادهم إنما هو في معنى أدلة الكتاب والسنة وينهون عن تقليدهم فالائمة رحمهم الله اجتهدوا ونصحوا قال الإمام الشافعي إذا جاء الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط فهو مذهبي وأما قولكم الفرق بين الشرك الاكبر والاصغر فالاصغر كيسير الريا والحلف بغير الله وقول الرجل أنا في حسبك ولو لا الله وأنت وأن يجاهد ويأمر بالمعروف لطلب رياسة أو مال أو وظيفة كمن يتعلم العلم لوظيفة المسجد أو يقرأ القرآن ليسئل الناس به أو يبيع الختمات أو يحج ليأخذ المال أو يتصدق ليكثر ماله أو نحو ذلك وهذا إنما يتبين بالتمثيل والحد لا بالعد وأما الشرك الاكبر فهو إتخاذ الانداد من أرباب القبور والغائبين ومخاطبتهم بالحوائج والذبح لهم والنذر واعتقاد أنهم ينفعون ويدفعون وكاتخاذ الاشجار والاحجار والاصنام لجلب الخير ودفع الضر بها وغير ذلك وهو كثير جداً وهو أن يرغب إلى شيء أو يدعوه أو يخافه أو يرجوه أو يعكف عند القبر تعظيماً له ونحو ذلك وأمور الشرك أكبره وأصغره لا تدرك بالعد لكن الشرك الاكبر يخرج من الملة ويحبط الأعمال لأنه أعظم ذنب عصي الله به وهو أظلم الظلم لان المشرك أخذ حق الله ووضعه فيمن لا يستحقه وأما الشرك الاصغر فهو أكبر من الكبائر لقول النبي ﷺ لمن رأى في يده حلقه من صفر فقال: ما هذه قال: من الواهنة فقال: (إنزعها فإنها لا تزيدك الا وهنا فانك لو مت وهي

عليك ما أفلحت أبداً) ولا يكفر الشرك أكبره وأصغره الا بالتوبة منه قبل الممات والاصغر لا يكفره في الدار الآخرة الا كثرة الحسنات لأن الأصغر لا يحبط الا العمل الذي وقع فيه خاصة.

وأما قولكم في الذهاب إلى المقابر التي بني عليها القباب وأوقد فيها المصباح.

فالجواب ان رسول الله ﷺ لعن اليهود والنصارى وقال: ﴿ **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.** ﴾ وقال ﴿ **لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج** ﴾ وبناء القباب على القبور وإسراجها وسيلة إلى عبادتها والخضوع لها والتذلل والتعظيم وسؤالها ما لا يقدر عليه الا الله وفي الحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن النبي ﷺ ﴿ **اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد إشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** ﴾.

وأما مسئلة استغاثة الأحياء بالموتى في طلب الجاه وسعة الرزق والاولاد مثل أن يقال عند القبور نسألك أن تدعوا الله في رفع فقرنا وبسط رزقنا وكثرة أولادنا وشفاء مريضنا لأنكم سلف مستجابوا الدعوات عند الله.

فالجواب هذا من الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله وهذا شرك في الربوبية والالهية وقد كان شرك المشركين في جاهليتهم بطلب الشفاعة والقربة به.

واما طلب الرزق والاولاد وشفاء المرضى فقد أقروا بإن الهتهم لا تقدر على ذلك كما قال تعالى ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** ﴾ فأقروا لله تعالى أنه الخالق الرازق المدبر لجميع الامور وقال ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله** ﴾ أي يفعل ذلك فأقروا لله بذلك وصار إقرارهم حجة عليهم في اتخاذهم الشفعاء. وقال قال تعالى في فاتحة الكتاب:

﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ أي لا نعبد الا إياك ولا نستعين إلا بك فهو المعبود وحده وهو المستعان وقد تقدم ما يبين أن الدعاء مخ العبادة لأن الله تعالى نهى عن دعوة غيره وأخبر ان المدعو لا يستجيب لداعيه وانه شرك وضلال وانه كفر بالله. وقد أوضحنا ذلك في الجواب في إبطال دعوة المدعي جواز الاستمداد بالاموات ومن قال: ان الميت يسمع ويستجيب فقد كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وقال تعالى (**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون** ﴾ فأخبر تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً من دون الله غير الله وأخبر أن المدعو لا يستجيب وأنه غافل عن الداعي ودعوته وأنه عدوه يوم القيامة .

فأهل التوحيد أعداء أهل الشرك في الدنيا والآخرة قال الله تعالى ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين** ﴾ فأخبر تعالى أن آلهتهم تبرء منهم بين يدي الله ومن عبادتهم ويستشهدون الله على انهم في حال دعوتهم لهم غافلون لا يسمعون ولا يستجيبون وهذا كتاب الله هو الحاكم بيننا وبين جميع من أشرك بالله من الأولين والأخرين وليس فعل احد من الناس ولو من يظن انه عالم يكون حجة على كتاب الله بل القرآن هو الحجة على كل احد فلا تغتروا بقول بعضهم قال فلان وفعل فلان .

وأما السؤال عن دلائل الخيرات فيكفي عن دراستها ما وردت به السنة عن النبي ﷺ لما سئل عن كيفية الصلاة قال: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) الخ وقد قال: بعض العلماء لما قيل له إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب احرق دلائل الخيرات استحسن ذلك فقال.

وحرق عمداً للدلائل دفتراً ... اصاب ففيها ما يجل عن العد
غلو نهى عنه الرسول وفرية ... بلا مرية فاتركه إن كنت تستهدي

أحـاديث لا تعـزى إلى عـالم فـلا تسـاوي فليسـاً إن رجعت إلى النقـد

وأما السؤال عن البردة للبوصيري والهمزية وأمثالها في المديح فالمنكر من ذلك ما كان فيه شرك كقول صاحب البردة يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ❊ سواك، فدعا غير الله ولاذ به من دون الله والدعاء مخ العبادة واللياذ نوع من انواع العبادة كالعياذ، وقد جاء النبي ﷺ بتغيير ما كان عليه أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن إذا هبطوا وادياً يقولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه كما قال تعالى ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ أي طغيانـاً فشـرع النبي ﷺ لأمتـه قصـر الاستعـاذة على الله وأسمائه وصفاته فقال في حديث خولة بنت حكيم وهو في الصحيح: من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك وكذلك قول صاحب البردة.

إن لم تكن في معـادي آخـذاً بيـدي فضـلاً والا فقـل يـا زلـة القـدم

وقوله

فـإن من جـودك الـدنيا وضـرتهـا ومـن علومـك عـلم اللوح والـقـلم

فكل هذا شرك محرم بـالكتاب والسنـة فما كـان من جنس ذلك وجب إنكاره والنهي عنه وتغييره بطمسه وهذا يتبين بما تقدم من الآيات المحكمات في النهي عن دعوة غير الله والرغبة والتوكل عليه ورجاه.

وأما الاجماع فقد حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم، ويتوكل عليهم كفر إجماعاً، وأما البدعة المنهي عنها فكل ما حدث بعد النبي ﷺ وأصحابه ولا دل عليه قول من النبي ولا فعل وكذلك أصحابه الذين هم أحرص الأمة على فعل الخير فكل ما حدث بعدهم في العبادات وغيرها من أمور الدين فهو بدعة لقول النبي ﷺ لأصحابه في خطبته: وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وبسط القول في هذا يستدعي كتاباً ضخماً لكن في أصول الأدلة ما يكفي المسافر إلى الله

على صراط مستقيم وكل ما لم يفعله أصحاب الرسول ﷺ مما حدث بعدهم فالجواب أن يقال لو كان خيراً سبقونا إليه.

وأما السؤال عن السفر إلى قبر النبي ﷺ فقد ثبت عنه ﷺ انه قال: (لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الاقصى) فالنهي عن شد الرحال إلى غير الثلاثة لفظ عام يتناول المساجد وغيرها وفحوى الخطاب يدل عليه لان غير المساجد من باب أولى، ولكن إذا نوى الإنسان السفر إلى مسجده حصلت زيارة القبر الشريف تبعاً، فإنه إذا وصل إلى المسجد سلم على النبي ﷺ من قرب فيكون قد أخذ بعموم الحديث وحصلت له الزيارة من غير ان يخصها بشد الرحال المنهي عنه.

وأما السؤال عن الرسوم والعادات التي شاعت وذاعت في الأعاجم سيما في مشايخهم إذا مرض أحدهم يحفون ويحيطون به فيقرأون شيئاً من الآيات بحساب واعداد معلومات، فإذا انتهى قالوا يا قاضي الحاجات، ويا كاشف الكربات، ثم يأتون بالاطعمة النفسية فيأكلونها بأجمعهم.

فالجواب ان الذي وردت به السنة دعاء العائد له وحده من غير تكلف ولا اجتماع فإن شاء رقاه بما وردت به السنة كما قال: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لامرأته لما نخستها عينها إنما يكفيك أن تقولي اذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً هذا جنس المشروع.

وأما على هذه الكيفية التي ذكرها السائل فبدعة تجري مجرى ما ذكره الله تعالى رداً على من ابتدع في دينه فقال: ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾

وأما ما ذكره السائل من انه إذا مات أحدهم يتصدق أقاربه وعشائره ويذبحون الذبائح، ويطبخون الطعام، ويفرشون الحرير، ويدعون الناس كلهم الغني والفقير فليس هذا من دين الإسلام، بل هو بدعة وضلالة ما أنزل الله بها

من سلطان، وهذا من جنس ما احدثه اليهود والنصارى من التغيير والتبديل في شريعتهم خالفوا به ما جاءت بـه انبياؤهم فيجب اجتنـاب ذلك المـأتم وما في معناه.

وأما ما سألت عنه من شد الرحال إلى مكانات مشرفة للانبياء والاولياء هل هو ممنوع ومحذور أم لا.

فالجواب لا ريب أن هذا مما نهى عنه رسول الله ﷺ في الحديث الذي تقدم وهو قوله (لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد) فإذا كـان تبرك للمحـل المزور فهو من الشرك لانهم قصدوا بذلك تعـظيم المزور كقصـد النبي ﷺ أو الـولي لتعود بـركته عليـه بزعمهم وهـذه حال عباد الاصنـام سـواء كمـا فعله المشركون باللات والعزى ومنات، فانهم يقصدونها لحصول البركة بزيارتهم لها واتيانهم اليها، وفي الحـديث الذي رواه الترمذي عن أبي واقـد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهـد بكفر وللمشـركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقـال: لها ذات أنـواط، فمررنـا بسدرة فقلنا يا رسول الله أجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط، فقال رسول الله ﷺ (الله اكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كمـا قالت بنـوا اسرائيـل لموسى إجعـل لنا الهـا كما لهم آلهـة قال: إنكم قـوم تجهلون لتـركبن سنن من كـان قبلكم) فجعل التبرك بالأشجار مثل قول بني إسرائيل إجـعل لنا الهاً وهذا هو جنس عبادة الاشجار والاحجار.

وأما قول بعضهم ان أمور التعظيمـات خصصه الله تعـالى للذات وسماه بالعبادة كالسجود والركوع، والقيام كقيام الصلاة، والتصدق بالصدقات والصيام باسمه، وقصد السفر إلى بيته من المكانات البعيدات، فهذا من وحي الشيطان وزخرفته التي ألقاها على ألسن المشركين فجمع لهم الشـرك وتعظيمـه والغلو فيه، والبدع والضلالات. وكل هذا باطل ما أنزل الله به من سلطان، إن يتبعون الا الظن وما تهوى الا نفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى.

وأما سوآله عن رجل بنى في جوار قبر صالح لإفـاضة الفيـوضات عليه

واصابة البركات، ورجل جلس مراقبة على قبر صالح.

فالجواب من أخبر هذا المغرور أن بركة هذا المدفون تفيض عليه وهذا من جنس ما قبله مما زين الشيطان وأجراه على ألسن المغرررين المفتونين الذين اعرضوا عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولما قال رجل للنبي: ما شاء الله وشئت قال (اجعلتني لله نداً قل ما شاء الله وحده، وقال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقد صان الله قبر نبيه ﷺ بأن صار قبره في حجرته حذراً من هذه الأمور التي نهي عنها. قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، وقال ﷺ ﴿ **إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو** ﴾والضابط ان ما كان يفعل مع الميت من رفع الاصوات على جنازته والتبرك به وبتربته والنذر له وغير ذلك من الشرك كالذبائح والنذور التي يقصد بها الميت حرام وهي مما أهل به لغير الله كما صرح به القرآن قال تعالى: ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به** ﴾

وقد تضمنت هذه الافعال التي ذكرت الشرك والبدع والغلو في الدين وخالف أهلها وصادموا ما بعث الله به رسله، وانزل به كتبه من إخلاص العبادة بجميع انواعها لله تعالى، وتوجيه الوجه والقلب إلى الله تعالى بجميع الارادات الشرعية، والاحوال الدينية، وقد أبطل الله في كتابه التعلق على غيره كائناً من كان. قال الله تعالى ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير** ﴾وقال تعالى ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك اداً من الظالمين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير إطمأن به، وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه**﴾ إلى قوله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد ﴿ يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) وقال تعالى ﴿**ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾الآية. وقال تعالى ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان**

سحيق ﴾ ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق افـلا تذكـرون ﴾إلى قـولـه ﴿ والـذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾

إذا عرفت ذلك وما في معناه من الآيات المحكمات فهذه الشبهات التي اعتمدها كثير من جملة المشركين كلها باطلة تصادم كتاب الله وسنـة رسولـه، وأول من زخـرف هذه الشبهـات، وزين للجهال التعلق على الامـوات زنادقـة الفلاسفة الكفار الدعاة إلى الخلود في عذاب النار كابن سينا والفارابي فـإنهم أدخلوا على كثيـر ممن ينتسب إلى العلم كثيـراً من الفلسفـة وزخـرفـوا هـذه الشبهات التي صارت في أيدي المشركين وحـاولوا بهـا إبطال مـا في الكتاب والسنة من توحيـد المرسلين، وخـالص حق رب العالمين، فـإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فمن التفت إلى الاموات يستمد منهم نفعاً ونبركا بهم فقد إتخذهم أرباباً من دون الله قال الله تعالى ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبـاداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانبين** ﴾ إلى قوله ﴿ **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة** والنبيين أربـابـاً **أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** ﴾.

وقد أخبر تعالى عن عيسى ابن مريم انه قال: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيـداً ما دمت فيهم فلمـا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيـد) وهو دليـل على أن من مات فلا اطلاع له على الأحياء ولا علم له بهم[1] فكيف يدعو من لا يعلم ما له ولا يدري ما يفعله وما يقوله وقد تقدم في الآيات المحكمات ما يـدل على ذلـك وأن المـدعو لا يسمـع ولا يستجيب، فما هـذه التعلقـات الشـركيـة التي هي أضل الضلال وأمحل المحال الا من وحي الشيطان وزخرفـة أعداء المـرسلين كما قال تعالى﴿ **وكذلـك جعلنا لكـل نبي عدواً شيـاطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً،** ولو شاء ربك مـا فعلوه فذرهم ومـا

---

(١) إذا كان هذا قول عيسى وقد رفعه الله حياً فكيف بالأموات.

يفترون ﴾ وكل هـذه التعلقات على الامـوات والغائبين هي أعمـال الشرك من المشركين قديماً وحديثاً، وهو شرك قوم نـوح لما صـوروا الاصنام على صـور صـالحيهم قال من بعـدهم: ما عـظم أولنـا هؤلاء إلا وهم يـرجـون شفـاعتهم فعبدوهم أي بطلب الشفاعة منهم واستمداد البركة بهم وهذا هـو شرك العـالم وهم في آخـر هذه الامـة أشد وأعـظم، فاستمسـك بادلـة القرآن وسبيـل أهل الإيمان.

وقد عرفت ان عبادة الاشجار والقبور والأحجار بـدعائهم لهـا باستمـداد البركة منها في زعمهم أنه أبطل الباطل وأمحل المحـال كما دل عليـه الكتاب والسنة.

وهذا الجواب يكفيك عما تقـدم من السؤالات فكل مـا كان يفعـل عند القبور من التعظيم لها ولأربـابها وقصدها والتبرك بها والدعاء عندها أو لها كل هذا شرك وضلال .

فتأمل قوله عن خليله عليه السلام (يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فـطر السموات والأرض حنيفـاً ومـا أنـا من المشـركين) والحنيف هو المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه، فهذه الادلة التي ذكرنا تبطل كل ما تعلق به المشركون مما كانوا يفعلونه مع العزى ومنـاة، ومن إدعي جواز شيء من ذلك أو أنه يحتمل الجواز فيطالب بالدليل من كتاب الله وسنـة رسولـه على ان هذا جائز، ولا يخفي أنه ينافي الاخلاص لما فيه من الاقبـال على غير الله والرغبة إليه وجلب النفع والدفع منه، وكـل هذا مـردود بالآيـات المحكمات والأحاديث الصحيحة كما ثبت عنـه ﷺ في الحديث الصحيـح انه قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبـد فقولـوا عبد الله ورسوله) وكل ما كان يفعل هؤلاء مع الاموات فليس فيه مستحب ولا مباح الا زيارة القبور من غير شد رحـل لتذكـر الآخرة والاستعـداد لما بعـد الموت من الأخلاص والعمل المشروع من غير تحر لإجابة الدعاء عندها والصلاة إليها ولو كانت لله فهذا محرم سداً لذريعة الشرك وحماية لجناب التوحيد.

وأمـا قولهم بعصمـة الانبياء فـالذي عليـه المحققون أنـه قد تقـع منهم الصغائر لكن لا يقرون عليها وأما الكبائر فلا تقـع منهم وكل مـا قـال رسـول الله ﷺ مما ثبت عنه فهو حق كما قال تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى، إن هو الا وحي يوحى ﴾ كذلك تقريراته حق.

وأما قول أبي الوفا بن عقيل رحمه الله تعـالى فهو حق وأعـظمه خـطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فـيهـا يا مـولاي إفعل كـذا وكذا وأخـذ تربتهـا والتبرك بها، فهذا الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله، وقد كتبنا الادلة على ذلك في الرد على الذي يقول بالامداد من الموتى فطالعه وفيه ما يكفي ويميز الحق من الباطل.

وأما ما ذكـره ابن عقيل رحمـه الله من افاضـه الطيب على القبـور وشد الـرحال اليهـا فهو من إفـراطهم وغلوهم في الآلهة التي يعبدونهـا من دون الله وكلامه عندنا رحمه الله مسلَّم لانه اشتمل على انكار الشرك من التعلق بالاموات واعتقاد ان لهم قدرة على قضاء الحاجات، وتفريـج الكربـات، ويخاطبـونهم بذلك من قريب وبعيد لإعتقـادهم ان لهم تصرفـات وأنهم يعلمون الغيب وان لهم قدرة على ما أرادوا، والقرآن كله من أوله إلى آخره ينكر ذلك عليهم ويبين انه شرك وكفر وضلال ودليله من الكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة والجماعة مذكور على صاحب الرد في الإمداد.

وأما قـول الائمة الاربعة فذلك مذكور في مذاهبهم في باب حكم المرتد في كل مذهب، وأما مسح الرقبة فقـول أبو حنيفة وجمهور الفقهاء بخلافـه لا يرون ذلك وفيه حديث ضعيف.

وأما دعاء القنوت فبعد الركوع ورفع اليدين فيه جائز والتكبير قبله محدث.

وأما الرسالة التي أرسلتموها الينا فالجواب عليها يصل اليكم ان شاء الله ويظهر بطلانها بالتمسك بالآيات المحكمات والوقوف عندها، ويكفي في ردها ما في سورة الفاتحة في قـوله ﴿ إيـاك نعبد وإيـاك نستعين ﴾ من قصر العبـادة

والاستعانة على الله دون كل ما سواه فان غالط فأدلـة النهي عن دعوة غيـر الله وانها شرك وكفر تكفي المتمسك بها، وذكرنا من الادلة ما فيه كفاية، ولو تتبعنا ما في كتاب الله وسنة رسوله من دلائل التوحيد وكلام السلف والخلف من أهل السنة لاحتمل جلداً ضخماً ومجلدات.

وأما السؤال عن رجل لا يتكلم بعد صلاة العصـر إلى غروب الشمس وبعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس (فالجواب) ما ذكرتموه من قصة أبي بكر مع المرأة الأحمسية وقال: لها ان هذا لا يحل فتكلمت .

وأما ما أحدثه المشايخ من المراقبات واللطائف فإن كانت مما جاءت به السنة وفعله أصحاب رسول الله ﷺ فاقبلوه، وما لم يفعلوه ولم يقم عليه دليل فدعوه فإن (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)

وأما قول أهل التأويل للصفات إن الله تعالى منزه عن الجهات فهذه شبهة أرادو بها نفي علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه، وقد ذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه قال الله تعالى ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ في آية الكرسي وغيرها من القرآن فأثبت لنفسه العلو بأنواعه الثلاثة: علو القهر، وعلو القدر، وعلو الذات، ومن نفي علو الذات فقد سلب الله تعالى وصفه وقد قال تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وقال ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقال ﴿ تعرج الملائكة والروح اليه ﴾وحديث المعراج الذي تواترت به السنة يدل على علو الله على خلقه وانه على عرشه فوق سمواته. وهذا مذهب سلف الامة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبت لنفسه وما أثبته له رسول الله ﷺ من صفات كما له ونعوت جلاله على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل. تعالى الله عما يقول المحرفون المخرفون عن الحق علواً كبيراً والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين[1].

---

(١) المجموعة ٢ / ٣٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣١)

من عبد الرحمن بن حسن وإبنه عبد اللطيف إلى عبد الخالق الحفظى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد بلغنا من نحو سنتين إشتغالكم ببردة البوصيري وفيها من الشرك الاكبر ما لا يخفى، من ذلك قوله: يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك إلى آخر الابيات التي فيها طلب ثواب الدار الآخرة من النبي ﷺ وحده فاما دعاء الميت والغائب فقد ذكر الله في كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله ﷺ النهي عن دعوة الاموات والغائبين بقوله تعالى ﴿ **ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين** ﴾ ولم يستثن أحداً والنبي ﷺ هو المبلغ عن الله وقال ﴿ **فلا تدع مع الله إلها** آخر **فتكون من المعذبين** ﴾ فانظر إلى هذا الوعيد الشديد المترتب على دعوة غير الله وخاطب به نبيه ﷺ ليكون أبلغ للتحذير فكيف يظن بالنبي ﷺ أن الله تعالى ينهاه عن ذلك ويذكر الوعيد عليه ويرضاه أن يفعل ذلك أحد معه أو مع غيره صلوات الله وسلامه عليه ولما قال له رجل: ما شاء الله وشئت قال: (أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده) ودعوة غيره تنافي الاخلاص الذي هو دينه الذي لا يقبل الله ديناً سواه وذكر تعالى إختصاصه بالدعاء بقوله (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية وأخبر أن دعوة الحق مختصه به وما ليس بحق فهو باطل ولا يحصل به نفع لمن فعله بل هو ضرر في العاجل والآجل لانه ظلم في حق الله تعالى يقرر هذا تهديده تعالى لمن دعا الانبياء والصالحين والملائكة بقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) نزلت في عيسى وأمه والعزير والملائكة باتفاق أكثر المفسرين من الصحابة والتابعين والائمة فكيف يظن من له عقل أنه يرضى منه في حقه قولا وعملاً تهدد الله من فعله مع عيسى وامه والعزير والملائكة وكونه ﷺ أفضل الانبياء لا يلزم ان يختص دونهم بأمر نهى الله عنه عباده عموماً وخصوصاً بل هو

مأمورأن ينهي عنه ويتبرأ منه كما تبرء منه المسيح بن مريم في الآيات في آخر سورة المائدة وكما تبرأت منه الملائكة في الآيات التي في سورة سبأ وأما اللياذ فهو كالعياذ سواء فالعياذ لدفع الشر واللياذ لجلب الخير وحكى الامام أحمد وغيره الاجماع على انه لا يجوز العياذ الا بالله واسمائه وصفاته وأما العياذ بغيره فشرك ولا فرق.

وأما قوله (فإن من جودك الدنيا وضرتها) فمناقض لما اختص به تعالى يوم القيامة من الملك في قوله ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾.

وفي قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ مالك يوم الدين ﴾ وفي قوله تعالى ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله﴾ وغير ذلك من الآيات لهذا المعنى وقال غير ذلك في منظومته مما يستبشع من الشرك، ومدح النبي ﷺ شعراء العرب الفصحاء ولم يقرب أحد منهم حول هذا الحمى الذي هو لله وحده بل مدحوه بالنبوة وما خصه الله به من الفضائل والاخلاق الحميدة مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وأمثال هؤلاء فما تعلقت قلوبكم يا عبد الخالق الا بنظم للشيطان فيه حظ وافر قد أنكره الله ورسوله على من قاله أو فعله وهذه الأمور كانت عند محمد الحفظي وأبيه وأخيه فأقلعوا عنها وتابوا إلى الله منها وتجنبوا الشرك وتبرأوا إلى الله منه ومن أهله وجاهدوا أهله نثراً ونظماً وقد نزلت المنزلة التي كانوا عليها في الجاهلية ثم تابوا منها فاصغ سمعك لكتاب الله فإنه يكفيك ويشفيك في كل خير ويعصمك من كل شر ا هـ آخر ما وجد من لرسالة والحمد لله[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٢)

من عبد الرحمن ابن حسن إلى الأخوين المكرمين محمد ابن عبد الله وعبد الله ابن سالم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد وصل الكتاب وفهمت ما تضمنه من الخطاب وما ذكرتماه عن

(١) المجموعة ٢/٨٢ .

نصب الشيخ عبد اللطيف لهؤلاء الاولاد الثلاثة فالعادة ان مثل هذا يرجع فيه إلى الإمام لأن نصبه له في أمر خاص وهو فصل القضايا بين الناس.

وأما النظر فيما يصلح للامامة والتدريس فيرد إلى الإمام وربما أن الإمام يجعل لنا فيه بعض الشورى لان كثيراً من الناس ما تخفانا حالهم وعقائدهم ونصب الإمام لقضاة نجد كذلك والشيخ أحمد بن مشرف يسامي الاكابر ومثلهم ما ينسب له والذي نعلم منه صحة المعتقد في توحيد الانبياء والمرسلين الذي جهله أكثر الطوائف كذلك هو رجل سلفي يثبت من صفات الرب تعالى ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وأما أهل بلدكم في السابق وغيرهم فهم أشاعرة والاشاعرة اخطأوا في ثلاث من أصول الدين منها تأويل الصفات وهو صرفها عن حقيقتها التي تليق بالله.

وحاصل تأويلهم سلب صفات الكمال عن ذي الجلال أيضاً اخذوا ببدعة عبد الله بن كلاب في كلام الرب تعالى وتقديس ورد العلماء عليهم في ذلك شهير مثل الإمام أحمد والشافعي وأصحابه والخلال في كتابه السنة وإمام الائمة محمد بن خزيمة واللالكائي وأبو عثمان الصابوني الشافعي وابن عبد البر وغيرهم من أتباع السلف كمحمد بن جرير الطبري وشيخ الإسلام الأنصاري[١] وقد رجع كثير من المتكلمين الخائضين كالشهرستاني شيخ أبي المعالي[٢] وكذلك أبو المعالي والغزالي وكذلك الاشعري قبلهم في كتاب الابانة والمقالات ومع هذا وغيره فبقي هذا في المتأخرين المقلدين لاناس من المتأخرين ليس لهم اطلاع على كلام العلماء وإن كانوا يعدون من العلماء.

وأخطأوا أيضاً في التوحيد ولم يعرفوا من تفسير لا آله إلا الله الا أن معناها القادر على الاختراع ودلالة لا آله إلا الله على هذا دلالة التزام لأن هذا من توحيد الربوبية الذي أقر به الامم ومشركوا العرب كما قال تعالى ﴿ قل لمن

(١) هو إسماعيل الهروي الحنبلي صاحب (منازل السائرين).
(٢) الظاهر أن في العبارة تحريف.

الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾الآيات وهي كثيرة في القرآن **يحتج تعالى** عليهم بذلك على ما جحدوه من توحيد الالهية الذي هو معنى لا آله إلا الله مطابقة وتضمناً وهو الذي دعا اليه الناس في أول سورة البقرة وفي سورة آل عمران والنساء وغيرهما ودعت اليه الرسل ان لا تعبدوا الا الله وهو الذي دعا اليه رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ودعا اليه العرب قبلهم كما قال أبو سيفان لهر قل لما سأله عما يقول قال: يقول اعبدو الله ولا تشركوا به شيئاً وكل السور المكية في تقرير معنى لا إله الا الله وبيانه فإذا كان العلماء في وقتنا هذا وقبله في كثير من الأمصار ما يعرفون من لا إله الا الله الا توحيد الربوبية كمن كان قبلهم في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب اغتروا بقول بعض العلماء من المتكلمين أن معنى لا اله الا الله القادر على الاختراع وبعضهم يقول معناها الغني عما سواه المفتقر اليه ما عداه وعلماء الاحساء ما عادوا شيخنا رحمه الله في مبدء دعوته الا من أجل انهم ظنوا ان عبادة يوسف والعيد روس وأمثالهم لا يستفاد بطلانها من كلمة الاخلاص والله سبحانه بين لنا معنى هذه الكلمة في مواضع كثيرة من القرآن قال تعالى عن خليله عليه السلام **﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾** فعبر عن هذه الكلمة بمعناها وهو نفي الشرك في العبادة وقصرها على الله وحده وقال عن أهل الكهف: **﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله ﴾** فإذا كان هذا التوحيد الذي هو حق الله على العباد قد خفي على أكابر العلماء في أزمنة سلفت فكيف لا يكون بيانه أهم الأمور خصوصاً إذا كان الإنسان لا يصح له إسلام ولا إيمان الا بمعرفة هذا التوحيد وقبوله ومحبته والدعوة اليه وتطلب ادلته واستحضاره ذهناً وقولاً وطلباً ورغبة فهذه نصيحة مني لكل إنسان دعاني اليها غربة الدين وقلة المعرفة فيه فينبغي ان تشاع وتذاع في مخاطر أهل العلم يقبلها من وفقه الله تعالى للخير فإنها خير مما كتبت فيه بأضعاف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد واله وسلم[1]

(١) المجموعة ٢/٨٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٣)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخوان الأمير محمد بن أحمد والشيخ عبد اللطيف بن مبارك وأعيان أهل الاحساء وعامتهم، رزقنا الله رإياهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وجنبنا وإياهم سبل أهل البدع والاهواء، ووفقنا واياهم لمعرفة ما بعث الله به رسوله من النور والهدى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فإن الباعث علي هذا الكتاب هو النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم، (وأوصيكم) بما دلت عليه شهادة لا إله الا الله، وما تضمنته من نفي الالهية عما سوى الله، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والبراءة من كل دين يخالف ما بعث الله به رسله من التوحيد، كما قال تعالى ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فإن أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود * إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله** ﴾ وهذه الآية وما في معناها تتضمن النهي عن الشرك في العبادة والبراءة منه، ومن المشركين، من الرافضة وغيرهم، والقرآن من أوله إلى آخره يقرر هذا الأصل العظيم فلا غناء لاحد عن معرفته والعمل به باطناً وظاهراً، قال بعض السلف: كلمتان يسأل عنهما الاولون والآخرون، ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ وقال تعالى ﴿ **قل إني أمرت أن اعبد الله مخلصاً له الدين * وأمرت لان اكون أول المسلمين** ﴾وهذا هو مضمون شهادة لا إله الا الله، كما تقدمت الاشارة اليه، ومضمون شهادة ان محمداً رسول الله؛ وجوب اتباعه، والرضى به نبياً ورسولاً ونفي للبدع والاهواء المخالفة لما جاء به ﷺ فلا غناء لاحد عن معرفة ذلك وقبوله، ومحبته والانقياد له قولاً وعملاً، باطناً وظاهراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٤)

وبه نستعين وعليه نتوكل ونعتمد.

من عبد الرحمن بن حسن إلى إمام المسلمين، وخليفة سيد المرسلين

في إقامة العدل والدين، وهو سبيل المؤمنين والخلفاء الراشدين فيصل بن تركي جعله الله في عدادهم متبعاً لسيرهم وآثارهم آمين. . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. .

وبعد اعلم أن الله انعم علينا وعليكم وعلى كافة أهل نجد بدين الإسلام الذي رضيه لعباده ديناً وعرفنا ذلك بأدلته وبراهينه دون الكثير من هذه الأمة الذين خفي عليهم ما خلقوا له من توحيد ربهم الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه ولاصلاح للعباد في معاشهم ومعادهم إلا بمعرفة هذا الدين وقبوله والعمل به ومحبته، واستفراغ الوسع في ذلك علماً وعملاً والدعوة اليه والرغبة فيه، وان يكون أكبر هم الإنسان ومبلغ عمله ليحصل له النعيم المقيم الابدي والسرور السرمدي.

وقد وقع أكثر من أنعم الله عليهم بهذه النعمة في التفريط في شكرها والتهاون بها، وعدم الرغبة فيها، والاشتغال بما يشغل عنها من الرغبة في الدنيا والاقبال عليها والتحدث بها والعمل بموجبها وقد وقع بالغفلة عن شكر هذه النعمة من التفريط فيها والاشتغال بما يشغل عنها من الرغبة في الدنيا والاقبال عليها ما لا يخفى على ذوي البصائر، وقد ذم الله تعالى في كتابه أهل الغفلة والاعراض أعاذنا الله وإياكم من اتباع سبيلهم قال تعالى: ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون** ﴾فعلينا وعليكم أن نقوم على من قدرنا على القيام عليه ببذل الجهد والاجتهاد بالنصيحة لجميع المسلمين بتذكيرهم ما أنعم الله به عليهم من الدين وتعليمهم ما يجب عليهم تعليمه مما فيه صلاحهم وفلاحهم ونجاحهم وسعادتهم ونجاتهم من شرور الدنيا والآخرة، وقد قال تعالى: ﴿ **أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون** ﴾ فإذا كان هذا في أناس في عهد النبوة والقرآن ينزل فمن بعدهم أحرى بأن يكونوا كذلك.

فيجب على من أقدره الله من المسلمين ان يقوم بنصيحة العباد بهذا الدين علماً وعملاً ودعوة اليه وتعلماً وتعليماً، ولا يخفى ان العامة تتبع الخاصة فيما أحبوه وقالوه وعملوا به، وقد حذر الله عباده من عقوبات الدنيا والآخرة وعن الأعراض عما خلقوا له كما قال تعالى: ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾وقال في حق نبيه ﷺ : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن نصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وعلينا ان نحذر ونحذر عما حذرنا الله تعالى عنه من التفريط في طاعة الله وطاعة رسوله والقيام بدينه كما ينبغي.

وبسبب الغفلة عن هذه الأمور الواجبة وقع كثير من الناس في أشياء مما لا يحبه الله ولا يرضاه كما لا يخفى على من ينظر بنور الله، وقد قال تعالى ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ والفساد المعاصي وأثارها في الأرض، ولكن كما قيل إذا كثر الامساس قل الاحساس نعوذ بالله من شرور أنفساً وسيئات اعمالنا، وموجبة الغفلة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه لا صلاح للعباد في دينهم ودنياهم إلا بالقيام بحقه واليوم ما فيه من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر إلا على ضعف وفي تركه الوعيد الشديد، وفعله علامة الإيمان وهو من فروض الكفايات إذا قام بها البعض سقط الوجوب عن الباقين، وإذا لم يحصل القيام بذلك اثموا كلهم قال تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ قال بعض العلماء: فروض الكفاية اشد على الناس من فروض العين، لأن فرض العين تخص عقوبته تاركه، وفرض الكفاية تعم عقوبته كل من كان له قدرة.

فأوصيكم معشر الأخوان من الخاصة والعامة ان ترغبوا فيما رغبكم الله فيه وان تهتموا به كاهتمامكم لدنياكم لتسعدوا وتسلموا وتغنموا والشأن كل

الشأن في الاهتمام بما يرضي الله عنكم ويدفع الله به عنكم عقوبات الدنيا والآخرة.

وعلى الإمام وفقه الله أن يبعث للدين عمالاً كما يبعث للزكاة عمالاً ليعلموهم دينهم ويأمروهم وينهوهم، وهذا مما يجب على الإمام أعانه الله على ذلك ووفقه للقيام بوظائف الدين نصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين سنة الخلفاء الراشدين.

وأوصيكم بالتوبة إلى الله عما فرطتم فيه من العمل بدينه وتعليمه وتكميله فإن الله تعالى اكمله لكم وهو أعظم نعمة أنعم بها عليكم فالله الله في الاخذ بأسباب الفلاح والنجاة، وعلى كل منكم ان يحاسب نفسه لربه قبل القدوم عليه والرجوع اليه. ولا ينفع قول إلا بعمل ولا عمل إلا بنية وعلم فاشكروا الله تعالى على ما أعطاكم ومن به عليكم من دين الإسلام وما حصل به من النعم التي لا تحصى وقد خطب نبيكم ﷺ اصحابه وأنذرهم وحذرهم فقال: (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فأحذروا واحذروا فإن الأمر عظيم قال تعالى ﴿ **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة** ﴾ قال بعض العلماء في قوله: (أن تقوموا) فيه وجوب القيام لله فيما شرعه وأمر به وقوله: (لله) فيه التنبيه على إخلاص العبد في قيامه لربه وطاعته فجمعت هذه الآية العمل بالتوحيد وحقوقه ولوازمه والقيام بذلك جداً واجتهاداً،

ويشبه هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون**﴾ إلى قوله: ﴿**وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل**﴾ فجمع تعالى الدين كله في هاتين الكلمتين: نجب دعوتك: فيه التوحيد لانه الذي دعا اليه ودعت اليه رسله، وفي قوله: (ونتبع الرسل) العمل بكتابة وأتباع رسوله ﷺ، لان من اتبع كتابه ورسوله فقد اتبع الرسل جميعهم، فمن عمل بهاتين الكلمتين فيما كان طاعة لله ولرسوله فقد فاز ونجا وحصل ما تمناه المفرطون يوم القيامة، فالله

الله في الاهتمام بهذا الشأن والقيام به حسب الامكان وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

ومما يدفع الله به العقوبات ويزيد بـه الحسنات: الصـدقة على الفقـراء والمساكين، كما قال تعالى : **﴿ وأنفقـوا مما جعلكم مستخلفين فيـه، فالـذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾** وقال تعالى : **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾** وقد ورد **﴿ بادروا بالصدقـة فإن البـلاء لا يتخطاهـا ﴾** والحسنة بعشـر أمثالهـا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وفي الحديث (إتقوا النـار ولو بشق تمـرة) والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة وهي من الباقيات الصالحات، وقد قال تعالى **﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾** نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية والعون على مرضاته فإنه ولي ذلك والقادر عليه ولا ملجأ منه إلا اليه بالتوبة النصوح والإيمان والعمل الصالح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد [1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٥)

الحمـد لله رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتـدين غيـر ضـالين ولا مضلين سلماً لاوليائك حرباً لأعدائك نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعدواتك من خالف أمرك، اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة اللهم هـذا الجهد وعليـك التكلان، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأشهد أن محمـداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

من محبكم الداعي لكم بظهـر الغيب عبد الـرحمن بن حسن إلى الأبن الإمام فيصل بن تركي الزمه الله كلمة التقوى ووفقه للقيام بما هو أقوم وأقـوى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) الدرر السنية ١١/٢٨ .

وبعد موجب الخط أبين لك ما أنت خابر من أمر دعوة الإسلام التي من الله بها في آخر هذا الزمان بموجب النصيحة للإمام المشوبة بالمحبة والشفقة والخوف، وكنت والله يعلم صدقي بما قلته أني أحبك وأقدمك في المحبة على من مضى من حمولتك وحمولتي، واليوم الذي اجتمع بك فيه عندي يوم سرور ولا عندي لك مكافات إلا بالدعاء والنصح باطناً، وأكثر من يجتمع بالإمام ما يجي أمر النصيحة له على بال، وبعضهم ما يحسن النصيحة ولا يعرف وجهها وبعضهم غرضه دنياه وهمته موقوفة عليها، وقد قال الله تعالى:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ولا يسلم من الخسران إلا أهل العلم ومعرفته، وقبول الحق ومحبته والانقياد في طاعته، والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر على ذلك، ومن نقص في ذلك فله الخسارة بحسب ذلك.

ولا يخفاك أن الله من عليكم بدين الإسلام في آخر هذا الزمان برجل واحد خالف فيه الادنى والاقصى والقريب والبعيد لأنه قام في حال غربته لما اشتدت غربة الإسلام في جميع الاماكن والناس كلهم إلا من شاء الله لا يعرفون معنى لا إله إلا الله واشتد نكير الناس عليه العامة والمطاوعة وحذروا الملوك منه وشنعوا عليه في التوحيد الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه وخلق الجن والإنس له، وصار أقرب قريب له ابن معمر امير بلاده لما عرف عداوة الناس له ارخص له عن البلد ، وصار رحمة ونعمة عظيمة لكم يا حمولة آل سعود، وتلقاها جدك رحمه الله وأهلك والخواص وأعانهم الله على عداوة أهل الأرض في هذا الدين، ولا عندهم أموال يبذلونها لكن بذلوا نحورهم وانفسهم وارخصوها لله في طلب رضاه والفوز بالجنة والنجاة من النار. ولا مقصدهم إلا أن الناس يتركونهم يوحدون الله ولا يعارضونهم عند التوحيد، ولا حصل من الشيوخ بنجد وأتباعهم وضدهم في غاية القوة وهم في غاية الضعف والقلة، فايدهم الله بدينه، وكل

عدو يقصدهم يكسره الله، وما زالوا كذلك حتى ملكهم الله جزيرة العرب بهذا الدين وهم في تلك السنين معافيهم الله في ابدانهم حتى ان الأمراض العامة لا تعرف فيهم، ولهم سيرة أذكرها لك من غير مجازفة؛ دائماً في كل وقت يبعثون الدعاة إلى الله كل بلدة يجددون لهم دينهم ويسألونهم عن ثلاثة الأصول والقواعد وغير ذلك من كتب الأصول أعرف منهم نحو العشرة منهم عبد الله بن فاضل، وعبد الرحمن بن ذهلان، وراشد بن درعان، وعثمان بن عبد الله بن عبيكان، وحمد بن قاسم، وأحمد الوهيبي، وسليمان بن ماجد، ومحمد بن سلطان واولاده، وحسن بن عيدان ومحمد بن سويلم، وعبد العزيز بن سويلم، وعثمان العود، وعبد الرحمن بن نامي، وعبد الرحمن بن خريف وأمثال هؤلاء ممن لهم فقه في التوحيد ورغبة فيه.

وكل واحد من هؤلاء يروح لجهة ومعه إثنان أو ثلاثة ويجلس في البلد قدر شهرين يسألهم ويعلمهم والذي ما يعرف دينه يؤدب الادب البليغ ما يعارض فإذا اراد السفر استلحق أهل الدين من أهل البلد وقال سلموا على الكبار ويعرِّف الشيخ وعبد العزيز واخوانهم باحوالهم، ويقدمونهم في بلدهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذا صار للدين سلطان وعز، وهذا يفعلونه دائماً مع الرعايا وصار الذي له دين يقوم بالدين ويأمر وينهى، والذي ما له دين يتزين عند أهل الدين.

وأما حالهم في بلدهم الدرعية فبنوا مجمعاً حول مسجد البجيرى محله معروف إلى اليوم يسع له قدر مائتي رجل وجعلوا فيه رفا للنساء فإذا صلوا الصبح اقبلوا لهذا المجمع وفيه معاميل وقهوة وما نابها مقيوم به من بيت المال، تارة يجلس فيه حسين ابن الشيخ، وتارة عبد الله وتارة على ويقرأون في نسخ التوحيد فإذا فرغ هذا الدرس راحوا هم وغيرهم وجلسوا عند بيت الشيخ حتى يجيء عمك وجدك وسعود وعياله، وآل عبد الله، ويدخلون عند الشيخ رحمهم الله فإذا تقهور وذكر عمك رحمه الله للشيخ ما عنده من خبر أو أمر يحتاج له

الشيخ ذكره له وأخذ ما عنده من رأى ومن علم وأرخصوا للجماعة وقرأ ثلاثة عبد العزيز بن الشيخ يقرأ في تفسير ابن كثير وعلى وعبد الله يقرأون في البخاري وكل من عنده دراية وفهم إذا فاضوا في الباطن صاروا حلقاً يتذاكرون درس الشيخ رحمه الله :

والأجنبي الذي يبغي يركب لديرته يصغي للمذاكرة عارف ان أهل ديرته يسألون : أيش أيش درس الشيخ فيه، وقد ذكرت لك قصة إبراهيم بن زيد في تلك المدة ، وموسى بن حجيلان يمشي على المساجد يسألهم عن ثلاثة الأصول والقواعد، ونحن يا حمولة لنا مجلس بين العشاءين في الباطن يجتمعون فيه أهل البلاد ونسأل اثنين والذي ما يعرف دينه يضرب فاول يجلس فيه حسين ثم على ابن الشيخ وجلست فيه مدة نحو سنتين أو ثلاث على هذا الترتيب ثم حمد بن حسين هذا بعض ما حضرناه من سيرتهم فلما توفي الله عمك حصل غفلة عن هذا الترتيب لما فتح الله الدنيا وكثرها على الناس ووقع الأعراض عن كثير مما ذكرنا لا كله بل باق بقايا، وحدث ما احدث من البلاوى بالعدو وهذا شيء أنت خابره ، ورد الله لكم الكرة أنت ووالدك رحمه الله، وعادت البلوى الأولى وعافاك الله منها ومكنك غاية التمكين، وتسببت في حفظ أموال الناس. ورفع أيدي البوادي، وهذا عمل صالح ومن الواجبات، ولكنك اصبحت اليوم في جيل غفلوا عن دينهم إلا من شاء الله وهم الاقلون، واقبل الناس على دنياهم لها يوالون وعليها يعادون، فهم وان صلوا وصاموا فقد أعرضوا عن التوحيد تعلماً وتعليماً، وصار أكثرهم خصوصاً أهل المناصب والولايات واتباعهم وأكثر الناس ليس له إخلاص ولا متابعة كل يحوم إلى ما يراه ويشتهيه.

وأنت اليوم جعل الله لك القدرة على تجديد هذا الدين تولي له وتغزل له وتغضب له، وترضى له، وتبعث الدعاة والسعاة لكل بلد، وتقدم لله وتؤخر لله وتبعد لله ، لا يدخل عليك في هذا هوى أحد فيخل بالإخلاص والمتابعة وتفهم

حديث عائشة رضي الله عنها من التمس بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) وقد قال تعالى : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين**﴾ ونظائرها في المائدة والكهف وطه والنجم وغيرها من القرآن.

جدد هذا الدين الذي اخلولق لما اقدرك الله على ذلك، والتمس من أهل الخير عدداً يدعون إلى هذا الدين ويذكرونه الناس ويعلمونه الجاهل والغافل وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وأنت سالم والسلام.[1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٦)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ المكرم فيصل بن تركي سلمه الله تعالى آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد لا يخفاك ان حقك على كبير واكبر منه حق الله تعالى عليّ وعليك ويجب علي النصح لك وللمسلمين باطناً وظاهراً، وانت بارك الله فيك احسنت احسن الله عليك ولا لك مكافأة الا بالدعاء والنصح باطناً وظاهراً، وانت اليوم حاجتك إلى العلم ضرورة في خاصة نفسك وفيما ابتليت به من أمور الخلق، والعلم بالنظر إلى أحوال الناس ما بقي معهم الا رسمه كما قال عبد العزيز ابن الماجشون وهو من أكابر علماء القرن الثاني :

قد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف،

---

(١) الدرر السنية ١١/ ٣٠ .

وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر فإذا كان هذا حال القرن الثاني فما ظنك بأهل هذه القرون الذين عاد المعروف فيهم منكراً والمنكر معروفاً، نشأ على هذا الضغير، وهرم عليه الكبير، والبدع فشت فيمن يدعي العلم حتى اعتقدوا في ربهم وخالقهم ما يتقدس عنه ويتعالى سبحان الله عما يصفون وهذا في حق من عرفه إذا كان جازماً ناصحاً لنفسه استيقظ في طلب ما ينجيه ويسعده في دنياه وأخراه، من العلم النافع والعمل الصالح، ويكون مبني اقواله وأفعاله على الأخلاص والمتابعة على علم ومعرفة ويقين، فمبنى العبادة على محبة المعبود غاية المحبة في غاية الذل والخضوع كما قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه — مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر — ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر امر رسوله — لا بالهوى والنفس والشيطان

فالمحب لله قلبه يخشع، وعينه تدمع يحاسب نفسه بالأخلاص والمتابعة للرسول ﷺ: بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وهذا هو دليل المحبة كما قال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وهذا هو الصراط المستقيم، لا يعرفه السالك ولا يهتدي إليه إلا بالكتاب والسنة علماً وعملاً، ومحبة وطلباً، كما في حديث عبد الله بن عمر وعن النبي ﷺ انه قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) وهذا لا يدرك إلا بالعلم النافع، والعلم النافع لا يدرك الا بالدخول من باب التواضع والاعتراف بالجهل والتفريط، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستعين على ما حمل من أمور الناس بقرب أهل العلم وتقريبهم اليه، وكان يقرب ابن عباس على صغر سنه لعلمه بالتأويل وقد كان وقافاً عند كتاب الله تعالى.

ومن سعادة العبد أن يتخذ له إخوان صدق ممن لهم علم ودين، يذكرونه إذا نسي ويعينونه إذا ذكر كما قال بعض السلف: عليك بإخوان الصدق تعش في اكنافهم: يعني بالعلم النافع والعمل الصالح فإنهم زينة في الرخاء عدة في

البلاء، يأنس بهم أصحابهم في هذه الدار وفي القبور ويوم البعث والنشور، وهم الحجة بين يدي الله تعالى حال العرض على الله، وهم الذين قرن الله توليهم بتوليه وتولى رسوله، كما قال تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ وهذه أمور متلازمة لا يكون الله تعالى ولياً لعبد حتى يكون الرسول له ولياً ويكون المؤمنون هم اولياءه دون كل من عداهم.

وقد وصى الله تعالى نبيه بالصبر معهم فقال: ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً** ﴾ ولهذا كان الحب في الله وأبغض في الله أوثق عرى االإيمان لما في الحديث الصحيح: (اوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)، وفي الحديث الآخر (من أحب في الله وابغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك)، وهم الذين وصى الله نبيه ﷺ بأن يقول لهم إذا جاءوه: (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) بشرهم عن ربهم بالمغفرة من ذنوبهم إذا تابوا اليه وانابوا، ووصاه بهم في قوله(فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) وبه تتم مصالح الدنيا والدين، وقال: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وفي العلم بما وصى الله به نبيه، من ذلك صلاح أمر الدنيا والآخرة، فارغب وفقك الله فيما رغب الله به نبيه ﷺ .

وانت اليوم تستعين بكل صانع في صنعته التي يحسن، وتدور الطيب من السلع والطيب من العلم والإيمان والدين انت له احوج من جميع ما تحتاج إليه واختر لنفسك من تستعين به على طاعة الله وبراءة ذمتك بالعمل بالمشروع

في الدقيق والجليل، حتى تسلم وتغنم، وقد رؤي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد موته فقال له الرائى: ما فعل الله بك؟ قال: كاد عرشي لينهد لولا اني لقيت غفوراً رحيماً، فاحرص على العلم وأهل العلم واجعل بالك لهـذه الآية ﴿ **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ فلا غلبة الا بهذا السبب العظيم الذي من انتظمت له هذه الثلاثة غلب من ناوأه وعاداه من قريب أو بعيد، لانه صار مع حزب الله، لهـذه الثلاثـة توليه ربه بـالأخلاص وخشيته وطاعته وتوليه رسوله بمحبته واتباعه وتوليه المؤمنين بمحبته لهم وقربـه منهم ودنوهم منه واكرامهم والتواضع لهم بخفض الجناح وغير ذلك مما يجب لهم من الحقوق التي تجب لهم دون غيرهم، واطلبهم ولـو في اطراف البـلاد واطلب ما عندهم مما يعينك على هذا السفر فإن العبد في هذه الدنيـا مسافـر محنتاج إلى أخذ الزاد والمزاد للمعاد ولا حول ولا قـوة إلا بالله العلي العـظيم وصلى الله على محمد ١٢٨١ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٧)

من عبـد الـرحمن بن حسن إلى من يـراه من أئمـة المسلمين وعـامتهم سلمهم الله تعالى وهداهم آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فالواجب علينا وعليكم التناصح في دين الله تعالى، والتذكير بنعم الله وأيامه فإن في ذلك من المصالح الخاصة والعامة ما لا يحيط به الا الله، وفي الحديث (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة) وكل خير في الدنيا والآخرة إنما حصل بمتابعة الرسل وقبول ما جاءوا به وكل شر في الـدنيا والآخـرة إنما حصل ووقع بمعصية الله ورسله والخروج عما جاءوا به، وبعض الاذكياء يعرف ذلك في نفسه وأهله وولده ودابته قال بعضهم: أني لا أعصى الله فاعرف ذلك في خلق أهلي ودابتي، ويكفي المؤمن قوله تعالى: ﴿ **إن الابرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم** ﴾

الدرر ١/٣٤.

وقد عرفتم ارشدكم الله تعالى: ان الله بعث محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل، وأهل الأرض قد عمتهم الجهالة، وغلبت عليهم الضلالة عربهم وعجمهم الا من شاء الله من بقايا أهل الكتاب فاول دعوته ﷺ رد الخلق إلى الله وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الانداد والآلهة، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الأخلاص، وهو اول دعوة الرسل وأول الواجبات والفرائض وهذا هو أهم الأمور وأوجبها على الخلق كما في الحديث (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) وكان من هديه ﷺ : أن يبعث عماله، ويرسل رسائله إلى أهل الأرض ويدعوهم إلى هذا يبدأ به قبل كل شيء، ولا يأمر من الأركان الا بعد التزامه ومعرفته كما دل عليه حديث معاذ لما بعثه إلى اليمن وغيره من الأحاديث.

وقد حصل في الناس ما لا يخفى من الإعراض والإهمال، وعدم الرغبة والتنافس فيما أوجبه الرب من توحيده، وفرضه على سائر عبيده، وقل الداعي إلى ذلك والمذكر به والمعلم له في القرى والبوادي، والتساهل في هذه الأمور العظام يوجب للرعية ان يشب صغيرهم ويهرم كبيرهم على حالة جاهلية، والله سائلنا وسائلكم الدعاة اليه، وجعل اموال الله التي بايديكم آلة ووقاية وحماية واعانة، وبقاء الإسلام والإيمان: في استقامة الولاة والأئمة على ذلك، وزوال الإسلام والإيمان وانقضاؤه: بانحرافهم عن ذلك، وجعل الهمة والأموال والقوة مصروفة في غيره، مقصود بها سواه، فأهم المهمات، وآكد الأصول والواجبات التفكر في هذا، وتفقد الخاصة والعامة، البادية والحاضرة، وفي الحديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، ومن الدعوة الواجبة، والفرائض اللازمة جهاد من أبى ان يلتزم التوحيد ويعرفه، ومن البادية وغيرهم وقد افلح من كان لله محياه ومماته وخاف الله في الناس ولم يخف الناس في الله.

وكذلك يجب على ولي الأمر أن لا يقدم من نسب عنه طعن أو قدح في شيء من دين الله ورسوله، أو تشبيه على المسلمين في عقائدهم ودينهم،

مثل من ينهى عن تكفير المشركين ويجعلهم من خير أمة اخرجت للناس لأنهم يـدعون الإسـلام ويتكلمون بـالشهـادتين وهـذا الجنس ضـرره على الإسـلام خصوصاً على العوام ضرر عظيم، يخشى منه الفتنـة، وأكثر النـاس لا علم له بالحجج التي تنفي شبه المشبهين وزيغ الزائغين، بل تجده والعياذ بالله سلس القياد لكل من قاده أو دعاه، كمـا قال فيهم أميـر المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه:

لم يستضيئـوا بنور العلم ولم يلجـأوا إلى ركن وثيق، اقـرب شبهـا بهم الانعام السارحة.

فإذا تيسر لكم الاهتمام والقيام بهذا الأصل، فينظر بعد هـذا في أحوال الناس في الصلوات الخمس المفروضات، فانها من آكد الفروض والواجبات، وفي الحديث: (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر مـا تفقدون الصـلاة) وكـل شيء ذهب آخره لم يبق منـه شيء، وقد قـال تعالى: ﴿ **ومـا أمـروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة** ﴾فلزم جعل نواب يامرون بما أمر الله به ورسوله من إقامه الصلاة في المساجد في اوقاتها، ويؤدبـون من عرف منـه كسل أو تـرك أو أهمـل أدبا يردع امثـالـه وعلى أئمـة المساجد تعليم ما يشترط لها وما يجب فيهـا من الأعمال والأقـوال وبعد هـذا يلتفت إلى النـظر في أمر الـزكوات وجبـايتها على الـوجه الشـرعي من الانعام والثمار والنقود والعروض، ويكون مع كل عامل رجل له معرفة بالحدود الشرعية والاحكام الزكوية، ويحذر عن الزيادة عما شرعه الله ورسوله فلا يؤخذ الا مما وجبت فيه الزكاة وتم نصابه وحال حوله، وكثير من العمال يخرص جميع الثمار وان لم تنصب، واخذ الزكاة من شيء لم يوجبه الله ولا رسوله فيه ظلم بين وتعد ظاهر، حمانا الله وايـاكم منه، ومن الـواجبات على ولي الأمـر ترك ذلـك لله، فينبغي التفطن لهذه الأمور لئلاً يقع فيها وهو لا يدري.

وكـذلك ينبغي تفقـد أمر النـاس في الحج والقيـام على من تركـه وهـو

يستطيعه، وهو ركن من اركان الإسلام، وبعض السلف يكفر من تـركه، وأمـر الرعية بذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكذلك القيام على الناس ومنعهم عن التعدي في الدماء والأموال، وقطع السبل فهذا من الفساد في الأرض والمحاربة لله ورسوله فالواجب على من نصح نفسه ألا يحكـم الا بحكم الله ورسوله فإن لم يفعـل وقع في خـطر عظيم من تقديم الآراء والأهواء على شرع الله ورسوله.

ومما يجب على ولي الأمر نفقـد الناس من الـوقوع فيمـا نهى الله عنـه ورسوله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن بـإزالة اسبابها، وكذلك بخس الكيل والميزان والربا فيجعل في ذلـك من يقوم بـه ممن له غيـرة لدين الله وأمـانته، وكذلك مخالطة الرجال للنساء وكف النساء من الخروج إذا كانت المـرأة تجد من يقضي حاجتها من زوج أو قريب ونحو ذلك.

وكذلك تفقد اطراف البلاد في صلاتهم وغير ذلك مثل أهل النخيل النائية لأنه ربما يقع فيها فساد ما يدري عنه، وأكثر الناس ما يبالي ولـو فعل مـا نهي عنه، وفي الحديث: وما تركت فتنة على أمتي هي أضر على الرجال من النساء) وفي حديث آخر (ما ظهرت الفاحشة في قـوم الا ابتلوا بالـطواعين والأمراض التي لم تكن باسلافهم الذين مضوا) نعوذ بالله من عقوبات المعاصي، ونسأله العفو والعافية ومما يجب النهي عنه: الاسبال كما نهي عنه رسول الله ﷺ كما في الحـديث (ما أسفـل من الكعبين من الازار فهو النـار) وفي حـديث آخـر (بينما رجل يجر ازاره خيلاء أمر الله الأرض أن تأخذه فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة).

وكذلك التشبه باليهود والمجوس في ترك الشوارب وقـد أمر النبي ﷺ: باحفائها مخالفة لليهود والمجـوس: فقال ﴿ **حفـوا الشوارب واعفـوا اللحى خالفوا اليهود** ﴾ والذي فيه دين ورغبة في الخير ما يرضي لنفسه ان يخالف ما

أمر الله به ورسوله ويقتدي باليهود والمجوس والمتكبرين، وعلى الإمام ان يأمر النواب من رأو تاركاً للأمر أن يقوموا عليه ويلزموه الطاعة حتى تظهر طاعة الله ورسوله في المسلمين ويمتازون بذلك عمن خالفهم في الدين من أهل الجفاء والغلظة والغفلة والإعراض، نسأل الله العفو والعافية فانها قد عمت البلوى بهذا بكثير لما قام بقلوبهم من ضعف الإيمان، وعدم الرغبة فيه.

وكذلك يجب على الإمام النظر في أمر العلم وترغيب الناس في طلبه، وإعانة من تصدى للطلبة لقلة العلم وكثرة الجهل، وان كان قد قام ببعض الواجب فينبغي له ان يهتم بهذا الأمر لفضيلة العلم وكثرة ثواب من قام به واعان عليه وطلب العلم اليوم من الفرائض كما لا يخفى على الإمام وغيره وفي الحديث (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم) وهذا ما يحصل الا باعتناء الإمام وتأليفه للطلبة فإذا كثر العلم وقل الجهل بسببه حصل له من الخير والحسنات ما لا يحصيه إلا الله إن قبله الله، وبالغفلة عن طلبه العلم تضعف هممهم ويقل طلبهم، وفي مناقب عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه إذا أراد أن يحي سنة اخرج من العطاء ما لا كثيراً فإذا نفروا من هذا رغبوا إلى هذا، فلله دره ما احسن نظره لنفسه ولمن ولاه الله عليهم وعلى كل من نصح نفسه ان يحذر من كبائر القلوب التي هي من أعظم الذنوب ولا يأمن مكر الله، وليكن لنفسه اشد مقتاً منه لغيره، وليكن معظماً للأمر والنهي مفكراً فيما يحبه الله ويرضاه متدبراً لكتابه محبة لربه ورغبة في ثوابه وخوفاً من غضبه وعقابه.

ومن الواجب على كل أحد أن يحب في الله ويعادي في الله ويوالي في الله ويحب أولياء الله أهل طاعته ويعادي أعداءه أهل معصيته وما توفيقي إلا بالله عليه وتوكلت وإليه أنيب. وصلى الله على محمد[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٨)

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يصل اليه هذا الكتاب من الإخوان

---

(١) الدرر ١١/٣٦.

وفقنا الله وإياهم لإقامة شرائع الدين واستعملنا فيما استعمل فيه أهل الإيمان واليقين وجعلنا من الشاكرين لنعمة الإسلام المثنين بها عليه ونسأله أن يتقبلها منا ويتمها علينا رغبة فيما يوجب الفوز لديه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فاوصيكم واياي بتقوى الله تعالى في الغيب والشهادة قال الله تعالى: ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله** ﴾ الآية. قال طلق بن حبيب رحمه الله: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله. وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

ولا وصية اعظم ولا أنفع مما وصى الله به عباده المؤمنين قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ وينبغي ان نشير إلى بعض ما ورد عن السلف رحمهم الله تعالى في معنى هذه الوصية العظيمة المتضمنة لأصول الدين.

حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

واصل الإسلام وأساسه ان ينقاد العبد لله تعالى بالقلب والأركان مذعنا له بالتوحيد مفرداً له بالآلهية والربوبية دون كل ما سواه، مقدماً مراد ربه على كل ما تحبه نفسه وتهواه، وهذا معنى قول النبي ﷺ: ﴿ **الإسلام ان تشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلاً** ﴾ الحديث. وحبل الله دينه أمركم به وعهده اليكم في كتابه في الألفة والأجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله قال ابو جعفر

ابن جرير رحمه الله تعالى، وهو جامع لكل ما ورد عن السلف في معناه كما روى عن ابن مسعود وقال: حبل الله الجماعة، وعن ابي العالية: اعتصموا بالاخلاص لله وحده، وعن ابن زيد قال: حبل الله الإسلام وقيل هو القرآن لما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ ﴿ ان هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين وهو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ﴾ ثم قال تعالى ﴿ ولا تفرقوا ﴾ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وان ما تكرهون في الطاعة والجماعة هو خير مما تحبون في الفرقة، وأخرج محمد بن نصر المروزى وغيره من حديث عبد الله بن يحي ابي عامر ان معاوية رضي الله عنه قام حين صلى الظهر بمكة فقال: ان رسول الله ﷺ قال: (ان أهل الكتاب افترقوا في دينهم على إثنتين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة يعني الاهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، والله يا معشر العرب ان لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس احرى ألا يقوم به، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم كل بدعة ضلالة.

ثم قال تعالى: ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ أي أذكروا ما انعم به عليكم من الألفة والأجتماع على الإسلام حيث كنتم اعداء على شرككم يقتل بعضكم بغضاً عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله فالف الله بين قلوبكم، تواصلوا بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه، وذكر عن قتادة: كنتم تذابحونِ بأكل شديد كم ضعيفكم حتى جاء الله بالإسلام فألف به قلوبكم فو الله الذي لا إله إلا هو إن الإلفة رحمة وإن الفرقة عذاب وقوله: (وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) يقول تعالى وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه فأنقذكم الله بالإيمان الذي هداكم به، وذكر عن قتادة في الآية: كان هذا الحي من العرب اذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأبينه ضلالة، واعراه جلوداً، وأجوعه بطوناً، مكفوفين على رأس حجر بين الاسد من فارس والروم، لا والله ما في

بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقياً، كانوا فيها أصغر حظاً وادق شأناً منهم حتى جاء الله بالإسلام فورثكم به الكتاب، واحل به دار الجهاد ووضع لكم به الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام اعطى الله ما رأيتم فاشكروا نعمه فان ربكم منعم يحب الشاكرين، وان أهل الشكر في مزيد من الله، فتعالى ربنا وتبارك، وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكمم تهتدون) أي يعرفكم في كل ذلك مواقع وصنائعه فيكم، ويبين لكم حججه في تنزيله على رسوله ﷺ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد وتسلكوها فلا تضلوا عنها،

وقوله: ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير** ﴾ الآية قال ابن كثير في تفسيره: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الامة متصدية للقيام بامر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان كان ذلك واجباً على كل فرد من الامة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ﴿ **من رأى منكم منكراً فلغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** ﴾ وفي المسند عن حذيفة ان النبي ﷺ: ﴿ **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم** ﴾

قلت وروى محمد بن نصر من حديث يزيد بن مرشد مرسلاً قال قال رسول الله ﷺ (كل رجل من المسلمين على ثغره من ثغر الإسلام، الله الله يؤتي الإسلام من قبله) وروى بسنده عن الحسن بن حي: إنما المسلمون اخوة على الإسلام بمنزلة فإذا احدث المسلم حدثاً ثغر في الإسلام من قبله، فإن احدث المسلمون كلهم فاثبت انت على الأمر الذي لو اجتمعوا عليه لقام الدين لله بالأمر الذي اراده من خلقه.

وقوله: ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات**

وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ قال: ابن عباس في الآية: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، واخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله قلت فتأمل كيف نهى الله سبحانه في هذه الآيات عن التفرق في موضعين، وأخبر أنه من مواجبات العذاب العظيم، وارشد إلى اسباب الاجتماع على دينه وشرعه، ومن اعظمها الاعتصام بكتابه ودينه علماً وعملاً واداء شكره والقيام بما فرضه على عباده، من الدعوة إلى الخَير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا تعلم ان من أعظم الفساد: الاعراض عن كتاب الله، وما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم، واتباع الاهواء والآراء المضلة نعوذ بالله من ذلك - فإذا وقع ذلك ترتب عليه من انواع الفساد ما لا يكاد يبلغه الوصف: فمن ذلك الاختلاف في الدين والتحاسد، والتدابر والتقاطع، فلا تكاد ترى إلا من هو معجب برأيه، متنقص لغيره مخلد إلى الأرض عن تعلم العلم وتعليمه.

من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعلى الخاصة والعامة ان يعظموا كتاب ربهم ودينه وشرعه، ويقبلوا بكليتهم على ما ينفعهم من تعلم دينهم، وطاعة ربهم وترك معاصيه، وان يقوموا بما وجب عليهم مع ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عنم المنكر على علم وبصيرة، وان يهتموا بما يصلح ذلك من الاخلاص لله تعالى في أمور دينهم.

وعلى من نصح نفسه أن يكون حذراً من الاسباب التي تضعف الإيمان وتجلب اسباب المآثم والعصيان من الهلع والطمع، والرضا بالدنيا والاطمئنان بها، وفي الحديث: (حب الدنيا رأس كل خطيئة) وأخرج البخاري في صحيحه وغيره من حديث أبي سعيد ان النبي ﷺ: جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: (ان مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يا رسول الله افيأتي الخير بالشر فسكت النبي ﷺ: فقيل له ما شأنك تكلم النبي ﷺ: ولا يكلمك فرأينا أنه ينزل عليه، قال: فمسح

عنه الرحضاء فقال: أيـن السائل وكأنه حمده: فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر: وان مما ينبت الربيع ما يقتل أو يلم إلا أكلة الخضر إذا أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فتطلت وبالت ورتعت، وان هذا المال خضرة حلوة فنعم صاحب المسلم ما اعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل) أو كما قال النبي ﷺ : ﴿ **وانه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع فيكون شهيداً عليه يوم القيامة انتهى** ﴾ فهذا مثل ضربه رسول الله ﷺ وبين فيه ان من جمع الدنيا أو طلبها من غير حلها، وصرفها في غير حقها صارت عليه وبالاً، ومن أجمل في طلبها واخذها من حلها وأدى حق الله فيها، ولم يشتغل بها عن طاعة مولاة فانها تكون في حقه نعمة وعطية، ولغيره محنة وبلية.

هـذا وقد أعـطاكم الله من أصناف نعمـة ما تحبـون، وصرف عنكم مـا تكرهون ابتلاء وامتحاناً لتعرفوا نعمه وتشكروها وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، فانظروا رحمكم الله بماذا تقابلونها؟ ؟ أباستعمالها في طاعته ودينه ومراضيه؟ أم تجعلونها سلماً إلى الاعراض عن دينه وارتكاب معاصيـه: من الظلم والبغي، والاشر والبطر، واللهو واللعب، وقول الزور والسخرية ونحو ذلك مما لا يحبه الله ولا يرضاه؟ نسأل الله السلامة من أسباب التغيير، قال الله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** ﴾ اللهم انا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عـافيتك، وفجأة نقمتك سخطك، اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقـاء وسوء القضاء، وشماتة الاعداء.

الله الله عباد الله قيدوا نعم الله بشكره، واتباع مـا يرضيـه، وانفقوا ممـا جعلكم مستخلفين فيه، فإن الله خولكم نعمه لتطيعوه ولا تعصوه، وتعلموا بدينه وشـرعه وتعـظموه لا لتشغلوا بهـا عن ذلك أو تمتهنـوه، اللهم أوزعنا شكـر ما انعمت به علينا من هذا النعم الظاهرة والباطنـة، واستعملنا فيمـا يرضيـك عنا وعـافنا عنـا برحمتـك يا ارحم الـراحمين وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٩)

من عبد الرحمن بن حسن: إلى من يصل اليه من الأخوان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد فالذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والتواصي بما يرضي الله سبحانه من طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، والعدل والانصاف وأذكروا فناء الدنيا وزوالها، والعرض على الله والحساب والميزان والجنة والنار يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. . والباعث على هذا أمور وقع فيها الخلل بسبب الاقبال على الدنيا والاعراض عن الآخرة.

فمنها: التهاون بالصلاة من كثير من السفهاء لا يبالون صلوها في جماعة أم لا، وصلاة الجماعة فرض على الأعيان، كما هو مذهب الإمام أحمد وغيره، وقال: بعض العلماء هي شرط لا تصح الصلاة إلا بها، ومر علينا في الدرس بحضرة إخوانكم وارتاعوا منها وأحبوا أنا ننبهكم عليها وهي: أن المشهور في مذهب الإمام أحمد من ترك الصلاة تهاوناً وكسلاً: يكفر، ويقتل كفراً إذا دعى اليها فاصر.

ومنها صلاة الجمعة: نصوا على ان من تركها تهاوناً وكسلاً ولو مرة واحدة أنه يكفر، ويوجد أناس في أطراف البلدان يتركونها مراراً وهذا أمر عظيم وخطره كبير، قد يكون الإنسان كافراً مرتداً بترك فريضة وهو لا يشعر.

فاحذروا رحمكم الله التهاون بمثل هذه الأمور الخطيرة التي إذا وقعت من سفيه ضرت العامة

إذا تركوه عليها، وأعظم الناس خطراً في مثل هذه الأمور: الامراء والنواب إذا تركوا القيام بما أوجب الله عليهم من القيام بأمر الله على الداني والقاصي، والقريب والبعيد، والعدو والصديق كما قال تعالى: ﴿ **كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم** ﴾: الآية وهذا هو الواجب على ولاة الأمور، فنسأل الله ولكم التوفيق.

وهنا مسألة مما يتعلق بالعدل وحقوق الخلق وهي ان النوايه التي يضعها الامراء والنظراء ربما يقع فيها الجور وعدم المواساة فمن ذلك تنويب المعسر الذي لا يقدر على وفاء جميع ما عليه من الدين لكون جميع ما له لا يقابل دينه فهذا لا يجوز أخذ النائبة منه، وقد بلغني ان الشيخ محمد رحمه الله أفتى أناساً من أهل سدير وغيرهم: ان هذه النوائب توضع بالقسط على الناتج، قال الله تعالى: ﴿ **ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾الآية. وصلى على محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٠)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الإمام عبد الله بن فيصل سلمه الله تعالى وتولاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتفهم أن الدين النصيحة وأحق من انصح نفسي ثم أنت يا إمام المسلمين، ورأيت الأمر ضاع وكثر الاعداء، واستحكمت أمورهم، وصعبت عليكم، وهنا سبب فيه ذهاب الاعداء مع النية الصالحة وتهتوه بالفعل وأما القول فتذكرونه صباحاً ومساءاً وذلك لا يجدي شيئاً، وقد بان لك ما جرى على اولئك مع ما بينوه من هذا الدين ومعهم حسنة تعلد ما عمل به الخلائق فكيف بكم اليوم جعلتموها أمور ملك ورأيتم الخلل.

تفهم أن اول ما قام به جدك محمد وعبد الله وعمك عبد العزيز انها خلافة نبوة يطلبون الحق ويعملون به، ويقومون ويغضبون له ويرضون ويجاهدون، وكفاهم الله اعداءهم على قوتهم إذا مشى العدو كسره الله قبل أن يصل لانها خلافة نبوة، ولا قاموا على الناس إلا بالقرآن والعمل به كما قال تعالى ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما إستخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي إرتضى لهم** ﴾

وأخذ عمك في الإسلام حتى جاوز الثمانين في العمر، والإسلام في عز وظهور واهله يزيدون وحصل لهم مضمون قوله: (ليستخلفنهم في الأرض)

وصار أهل الأمصار يخافونهم، وأراد الله سبحانه أمارة سعود بعد أبيه، يرحم الله الجميع، وأراد الله أن يغير طريقة والده الذي قبله وبغاها ملكاً وبدأ الأمر ينقص أمر الدين والدنيا تطغي يشرى البيت بستمائة ريال في الدرعية، والنخلة الواحدة بستين ريالاً، مائة نخلة بستة آلاف ريال أنا الكاتب لمشتراها، وصار العاقبة القصور التي بنيت بقناطير والمقاصير التي تنفذ فيها الأموال العظيمة التي تسوى ثلاثة آلاف ما تسوى اليوم إلا جديدة لما جرى ما جرى من تسليط الاعداء عليهم هذا وهم على التوحيد لكن ما أعطوه حقه إشتغلوا بالدنيا ونضارتها وما فتح الله عليهم، واعرضوا عما أوجب الله عليهم القيام به في أنفسهم وعلى الناس فجرى ما جرى وصار الحمولة أكثر شرائدهم الذين لقو آجالهم في مصر وهذا بسبب الغفلة عما أوجب الله، لأن الله اختار لهم أمراً عظيماً ومكنهم منه ومن الناس لكن حصل تفريط في هذه النعمة العظيمة.

والدرعية اليوم من تدبر حالها وحللها: عرف ان ما جاءهم إلا ذنوبهم فاعتبروا يا اولى الابصار. وهذا حقك على، وارجو ان الله يمن عليك بتوحيده والقيام به على نفسك وعلى الناس، قريبهم وبعيدهم ويعافيك من أهل التثبيط، والحق منصور في كل زمان ومكان، ومنصور من هو معه سواء كان حراً أو عبداً، صغيراً أو كبيراً، وابتلاكم الله وعرفتم العواقب، والمؤمن ما يلدغ من حجر مرتين: (فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) ووالله ثم والله ان لم تجعلها أمر دين وتدعوا الناس إلى ما أمرهم الله به إن تشفق سكون قرية من قرى نجد وانت مطلوب لكن إن تسلط عليك أحد وأنت تأمر بما أمر الله به ورسوله فالله مع المتقين، فإن كنت على هذه الحالة فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأنا لله وانا اليه راجعون. . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤١)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخوان صالح بن محمد الشترى وزيد

(١) الدرر ١١/٤٦.

ابن محمد آل سليمان واخوانهم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن الحال جعلنا الله وإياكم ممن عرف الحق فاتبعه، وقابل النعم بشكرها.

واوصيكم بتدبر انوار الكتاب التي هي أظهر من الشمس في نحر الظهيرة ليس دونها قتر ولا سحاب لاسيما دلائل التوحيد والتفكر في مدلولاته ولوازمه وملزوماته ومكملاته ومقتضياته، ثم التفطن فيما يناقضه وينافيه من نواقضه ومبطلاته، فالخطر به شديد ولا يسلم منه إلا من وفق للصبر والتاييد والفعل الحميد، والقول السديد، وخالط قلبه آيات الوعيد وعرف الله باسمائه وصفاته التي تجلوا الريب والشك عن قلب كل مريد، واعتصم بالله من كل شيطان مريد: (ان بطش ربك لشديد إنه هو يبدىء ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد) للآيات. . فقد عمت البلوى بالجهل المركب والبسيط (والله بما يعملون محيط) فالله الله في التحفظ على القلب بكثرة الاستغفار من الذنوب جعلنا الله واياكم ممن نجا من ظلمة الجهالة وأخلص لله أقواله وأعماله والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٢)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ محمد بن عمر آل سليم سلمه الله تعالى من كل آفة وامنه من كل مخافة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: وصل الخط وصلك الله ما يرضيه ونحمد اليك الله على ما أسبغ من نعمه الباطنة والظاهرة جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين، ونعمة الله عليكم عظيمة، حيث اقامكم في ناحية أهلها جهال بالتوحيد ما له عندهم قدر ولا قيمة، وجعلكم تدعون اليه وتبينونه وتحملون الناس عليه، وجعل لكم أصحاباً قابلين هذه الدعوة ومحبينها، ومعادين فيها وموالين فيها.

ويا أخي هذه النعمة علينا وعليكم عظيمة واحمدوا الله سبحانه وتعالى

---

(١) الدرر ١١/٤٧.

وتبرأوا من الحول والقوة وانسبوا النعمة إلى ربكم، قال: ابن القيم رحمه الله لما ذكر حياة القلب وصف القلب الحي بقوله: ان يكون مدر كالحق مريداً له مؤثراً له على غيره والسلام ـ ١٢٨٤ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وحال الناس اليوم لا تخفاك، وأهل نجد من الله عليهم بنعمة التوحيد لما يسر لهم من يدعوهم اليه، ويجاهدهم عليه، لكن أعرضوا في هذه الأوقات وآثروا الدنيا على الدين إلا من شاء الله، لكن إذا حصل في البلدان طائفة حق يقومون به ويدعون اليه، ويستحسنون الحسن ويستقبحون القبيح فهذه نعمة عليهم وعلى أهل بلدهم.

فالذي اوصيكم به: اصدقوا مع الله، وتعلموا من العلم ما ينجيكم من شبهات أهل الشك، والريب، فبالعلم واليقين تدفع الشبهات ولله الحمد على بقاء طائفة الحق تدعو من ضل إلى الهدى وتصبر منهم على الاذى واللام.

بسم الله الرحمن الرحيم
(٤٣)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخوان من المسلمين الموحدين المجاهدين أمراء جعلان وفقنا الله وإياهم للاخلاص والصدق في الدين، وجعلنا وإياهم من حزبه المفلحين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فاعلموا وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى من الأقوال والأفعال ان اشرف الوصايا وأجمعها وأكملها وانفعها ما وصى الله به عباده المؤمنين قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** ﴾ وفسره العلماء: أن يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى، وان يشكر فلا يكفر، ثم قال تعالى: ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ وأمرهم بالمحافظة على الإسلام الذي رضيه لنا ديناً، والثبات عليه والاستقامة عليه: علماً وعملاً، وهذا انما يحصل لأهل التقوى

خاصة الذين اخلصوا العبادة لله، وانكروا الشرك وابغضوه وعرفوا الله واطـاعوه فـاجتنبوا مـا نهاهم الله عنـه، ومن شقي في هذا وتـركه فـاتـه من الاستقـامـة والمحافظة بحسب ما أضاعه من تقوى الله، وملاك هذا كله، وهو الأمر الثالث، وهو قوله: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ فلا تحصل التقـوى إلا بمعـرفة مـا أمر دين الإسـلام ليتبين ما نهى عنـه ليكون العمـل والتقـوى على بصيرة، وبالتمسك بكتاب الله يتبين حقيقة دين الإسلام ليتبين ويعتقد، وحقيقة ما ينافيه من الشرك لينكر ويجتنب.

فهذه ثلاث وصايا لا يتم الدين إلا بها، فالاعتصام بكتاب الله والتمسك به ينتظم به ما قبله من الثبات على الإسلام والاستقامة وكذلك تقـوى الله حق تقاته لا تحصل بدون ذلك آخر ما وجـد وصلى الله على محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٤)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ عبد الرحمن بن علي بن عبيد وفقه الله وحفظ عليه دينه ودنياه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فالخط وصل وصلك الله إلى خير وما ذكرت صار معلوماً، وهؤلاء الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قد فضحتهم أعمالهم، وكل من لـه بصيرة لا تخفي عليه حالهم كما قيل:

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل؟. ؟.

وأما من عميت بصيرته، وفسدت سريرته، واستعبده هـواه، وركن إلى دنياه، ولعب بقلبه الرياسة والجاه، وخدعته الـدنيا بغـرورها وختلتـه بامـالها، وصار لنفسه من سعيه حظ، ولهواه نصيب، وللشيطان منه نصيب، ولارباب منه نصيب، ولمخدومه منه نصيب، ولمطاعه من الخلق نصيب، فانها تتلاعب بـه ارادته من كل واد من اودية الهلاك وهو لا يشعر: فهذا كالاعمى يتبع قائده ولا يرى الأمر على ما هو عليه فكان عـدم التصور من عـدم البصيرة وربمـا اعتقد

النافع ضاراً وبالعكس نسأل الله العافية وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ **أفرأيت من إتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً. أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون. إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً** ﴾وقوله: ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون**.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٥)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً..

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ محمد بن عمر آل سليم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد طلبت مني الاجازة أن تروي عني ما رويته عن مشائخى من أهل نجد ومصر وقد أجزتك بما رويته عنهم بالاجازة كالكتب الستة والفقه في مذهب الإمام أحمد وغير ذلك ككتب التفسير ونحو ذلك، وعليك في ذلك تقوى الله والتدبر والاجتهاد في معرفة المعنى، وصورة المسألة والمطالعة على كل ما يرد عليك، واجتهد في العدل فيما وليت عليه من أمور المسلمين في حق القريب والبعيد وفي حق من تحب وتكره، فما ظهر لك معناه فقله وما لم يظهر فكله إلى عالمه، واستعن بالله وتوكل عليه.

واجتهد في نشر التوحيد بادلته للخاصة والعامة، فإن أكثر الناس قد رغبوا عن هذا العلم الذي هو شرط لصحة كل عمل يعلمه الإنسان من صلاة وصيام وحج فلا يصح شيء من ذلك إلا بمعرفة معنى الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله: على يقين واخلاص، وصدق ومحبة وقبول وانقياد، وان يحب في هذا التوحيد ويوالي فيه ويعادي، وكل هذه القيود دل عليها الكتاب والسنة، فاطلب ادلتها من مظانها تجدها وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ٩ بـ سنة ١٢٨٣[1].

(١) الدرر ١١/٤٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٦)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ محمد بن عمر الله دارهم بالإيمان والقرآن، ووفقهم للتباع داعي الإسلام والإيمان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد وصل الخط وصلك الله ما يرضيه، وسرنا طيبك وعافيتك، جعلنا الله وإياكم من الطيبين المهتدين، ومن جهة تصانيف ابن منصور فلا يستنكر كما قيل: ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا، ولا ضر الا نفسه رد على الشيخ رحمه الله تعالى في دعوته أناس متشبهين بالعلم فابطل الله كيدهم، وصار وبالا عليهم، ولكن هذا الرجل فعل فعلاً ما فعله أحد قبله ممن كره هذا الدين، والله أعلم بما وافي به الله من اصرار أو توبة، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن عرف لله حقه وجرد اخلاصه وصدقه، وذلك فضله سبحانه ورحمته فلو أنت أرسلت الكتاب ما كرهنا الإشراف عليه[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٧)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ محمد بن عمر بن سليم سلمه الله تعالى سلام عليكم ورحمو الله وبركاته، ونحمد اليكم الله تعالى على ما أولاه من النعم، وما صرف من النقم نسأل الله لنا ولكم معرفة الحق والعمل به، والصبر والاستقامة والثبات على الإسلام، وما ذكرت من الورقة التي رميت يقول صاحبها: انكم جعلتم الناس بين مشرك ومبتدع، وفاسق وجاهل ظالم، ولا سبقكم أحد بهذا الاعتقاد فهذا ما ضر الا نفسه، وهذه الشبهة قد تلقاها الجهال في وقت ظهور شيخنا رحمه الله وهذه من أفسد شبههم لان الذي تدخل معه يدل على جهله، وانحرافه عن دينه ومخالفته للكتاب والسنة، لأن الله تعالى ذكر الكفار والمشركين من هذه الأمة، وأمر بقتالهم وأباح دماءهم وأموالهم، وكذلك أهل البدع هم الكثير وهم دول، وأهل الفسوق كذلك، وهذا الأمر ما يخفي على ابلد الناس ولكن ما حصل الا المسبة مثل من أغار على فريق، وأخذوه ولا

---

(١) الدرر ٩/٢٣١.

ابقوا له شيئاً وصار هذا باعثاً على رد هذه الشبهة، وان كان شيخنا قد ردها في كشف الشبهات لكن كتبنا الرد عليها على سبيل الاختصار والا فردها يحتمل مجلداً، وصار جواباً نافعاً لكل موحد، وأرسله الإمام للاحساء يقرأ في المدارس والمساجد والمجالس لانه ربما دخل على بعض من ينتسب إلى العلم وهم جهال، وما جرى منهم فهو خير بلا شر، وهو في الحقيقة نعمة ووباله على من أبداه، وليس هذا بأول، قد حزمها ناس من الاشرار، ولا ندري وصلى الله على محمد[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٨)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الابن صالح سلمه الله تعالى آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد بلغنا أن الباز ارسلوا لابن نبهان رسالة كتبها حمد بن عتيق متضمنة للاستدلال بالآيات المحكمات في تحريم طاعتهم والركون اليهم والإشارة إلى بعض الآيات الواردة في ذلك وهو أصل من أصول الدين لا بد من معرفته والبحث عنه وبيانه للجاهل لاسيما الواقع فيه تذكيراً وتحذيراًوهذا شرع محكم لو اجتمع على دفعه من باقطارها من عالم وجاهل لما قدروا على رده بحجة اصر، وبلغنا أن أبن نبهان لما أشرف على النسخة كتب أعتراضات وأصل فيها أصولاً لا يدري هل سبقه اليها مبتدع أم لا؟ فلو قيل لهم من هذا مذهبه ومن قال به لم يجب عن ذلك بما يصلح أن يعد جوالاً فمن ذلك فيما بلغنا عنه أنه لا جهاد إلا مع إمام فإذا لم يوجد إمام فلا جهاد فيلزم على هذا إنما يلزم بترك الجهاد من مخالفة دين الله وطاعته جائز بجواز ترك الجهاد فتكون الموالاة للمشركين والموافقة والطاعة جائزة، واللازم باطل، فبطل الملزوم، فعكس الحكم الذي دل عليه القرآن العزيز من انها لا تصلح امامة الا بالجهاد.

والاصل الثاني فيما بلغنا عنه انه قال: لا حجة فيما قاله الصحابة رضي الله عنهم في معنى القرآن العزيز فإذا لم يكن قول الصحابة حجة وهم الـذين

(١) الدرر ٩/٢٣١.

اخذوه عن نبيهم وحضروا نـزوله وعـرفوا اسبـابه وهم اعلم الأمـة واعدلهـا[1] الحجة في التفسير فليت شعري هل عرف من هذا مذهبه من الميتدعة إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى ان نطيل بذكره، والحاصل أن المطلوب منك اخذ ما كتبه وإرساله إليَّ لأ نظر فيه ليطالب في كل لفظة ببرهانها وليظهر تناقضه فإن المقام مقـام لا يسع تـركه، فلو كـان قد صـدره من لا يدعى المعـرفـة لكـان حقيقـاً بالاعراض عنه وأما من هو مثل الذي يدعى إنه يدري ولا يدري انه لا يدري فلا بد من بيان ما فيه لئلاً يعتر به جاهل فإذا تبين ما فيه من الغلط والتنـاقض دفع الشبهة عن ضعيف البصيرة ان شاء الله تعالى.

وهنا سؤال اسأله عنه واطلب جوابه منه سله عن كلمة الإسلام التي هي أصل دين الله عن معناها وعن مضمونها وعن مدلولها ومقتضاها وحقها وحقيقها ولوازمها فإن عرف ذلك تبين انه قد عرف وانكر فإن لم يعرف ذلك وهو يدعى المعرفة بطلت دعواه اصلاً، فإن خبط فالتخبيط لا ينفع أحداً ولا يفيد فـالزمـه الجواب فهو حجة الله وعليه المرفق لبيان الهدى والاستقامة عليه والسلام[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٩)

من عـبـد الرحمن بن حسن إلى الأخـوان والاعيان، من أهـل الاحسـاء الشيخ (عبد اللطيف بن مبارك وابنيه واولاده عبد الله الوهيبي، وعبد الله بن عبد القادر وعبد الله بن عمير، واخوانهم من أهل الدرس والمساجد وفقنا الله وإياهم لتوحيده وأهلنـا وإياهم لمعـرفته ومحبتـه وتأييـده) السلام عليكم ورحمـة الله وبركاته (وبعد) فمن المعلوم لديكم ان شيخنا شيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) رحمه الله تعالى وعفـى عنه تبين بدعوة الناس إلى اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وأن لا يصرف من العبادة شيء لأحد سواه كما قال تعالى ﴿إنا

(١) بياض في الأصل.

(٢) الدرر د/٨١.

أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين الا لله الدين الخالص ﴾ ثم ذكر دين المشركين وأنكره تعالى في أول هذه السورة وغيرها فقال تعالى **﴿ قل الله أعبد مخلصاً لـه ديني فاعبـدوا ما شئتم من دونـه ﴾** والآيات في اخـلاص العبادة وأفراد الرب تعالى بها في القرآن كثير تفيد الحصر لمن تدبرها .

ولا يخفاكم ان شيخنا رحمه الله لما تبين بهـذه الدعـوة الإسلاميـة وجد العلماء في الاحساء وغيرها لا يعرفون التوحيد من الشرك بل قد اتخذوا الشرك في العبادة ديناً فانكروا لجهلهم بالتوحيد ومعنى لا إله إلا الله فظنوا ان لا له هو القادر على الاختراع وهذا وغيره من تـوحيد الـربوبيـة حق لكنه لا يـدخل في الإسلام بدون توحيد الآلهية وهي العبادة كما قال تعالى **﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبـد أيها الجـاهلون ﴾** ولقد أوحى اليـك وإلى الذين من قبلك لئن أشـركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بـل الله فاعبـد وكن من الشاركـرين **﴾** والذي يبين لكم ان العلماء ما عرفوا التوحيد ولا عرفوا هذا الشرك كون أرباب القبور من الأموات تعبـد وتصرف الـرغبات والـرهبات إليهـا ولا عالم من علماء الاحساء أنكر هذا بل قـد صار إنكـارهم لاخلاص العبـدة لله وحده ومن دعي الاخلاص كفروه وبدعوه، ولا نعلم احداً من علماه الإحساء صدع بهذا الدين وعرفه وعـربه وهـو دعوة الـرسل كمـا قال بعض السلف كلمتـان يسئل عنهمـا الاولون والآخرون (مـاذا كنتم تعبدون) (ومـاذا أجبتم المرسلين) فالـدين في هاتين الكلمتين، والقرآن كله يقرر ذلك يعرفه من تدبره (فلما) انه برق للشيخ حسين بن غنام رحمه الله هذا الدين، وانه هو الحق الذي لا ريب فيه صنف في تقريره المصنفات وقال في بعض نظمه .

نفـوس الـورى الا القليـل ركـونهـا   إلى الغى لا يلفـى لـدين حنينـهـا

فسـل ربـك التثبيت أي مـوحـد   فـانت على السمحـاء بـاد يقينهـا

وغيـرك في بيـد الضـلالـة سـائـر   وليس لـه الا القبـور يـدينـهـا

فعرف رحمه الله ان فعلهم عند القبور هو دين لارباب القبـور .

والمقصود ان الإمام فيصل بن تركي وفقه الله وتولاه القي الله في نفسه ما حصل من الفترة منكم وغيركم عن هذا الدين والرغبة فيه والترغيب، فعزم على تجديد هذه الدعوة مخافة أن تندرس لأن الله فتح على كثير من الناس الدنيا وكثرتها والتنافس فيها هلاك لان بها تحصل الغلة عن الدين والاعراض عن دين المرسلين وتكون المحبة لها والبغض عليها حتى ان بعض الناس يقرب الرافضى وأمثاله لمصلحة دنياه ولا نميز بين الخبيث والطيب لما أشرب من هواه الذي طبع على قلبه فاعماه واصماه (فلن) حصل منكم وامثالكم قيام في هذا الدين وسؤال العامة عن أصول الدين وقراءة منكم وتدريس في كتب التوحيد التي وجودها حجة عليكم فهذا هو الواجب كما قال تعالى ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتنبيه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون** ﴾ والذي هذه حاله ما يستحق ان يصير في مدرسة ومسجد يأكل وقفهما لانه اوقع نفسه في الوعيد الشديد وغفل عن أوجب العلوم وأفرضها فاجعلوا لكم قصداً حسناً مع ربكم ولا تضيعوا دينكم فتبوؤا باثم من حولكم من الجهال إذا تركتم تعلم دينكم كما في كتاب النبي ﷺ لهرقل قال: ﴿**فإن توليت فإن عليك اثم الاربسبين** ﴾ ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** ﴾ ففي هذه الآية بيان التوحيد في العبادة ونفي الشرك فيها وبيان ان هذا هو الإسلام وهذا الخط لكم فيه بشارة ونذاره والسلام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٠)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ القادم من بلاد الافغان (عبد الله بن محمد) وفقه الله لحقيقة الإسلام والإيمان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فالذي يجب علينا محبة الخير لمن أراده وقصده فلعل الله أن يجعله موثراً للحق على غيره لكن نبحث مع مثلك في شيئين (الاول) ان علم المنطق

(١) الدرر ١/ ١٥٩.

قد حرمه كثير من المحققين وأجازه بعض العلماء لكن الصواب تحريمه لأمور (منها) انه ليس من علوم الشريعة المحمدية بل هو من علوم اليونان، وأول من أحدثه المأمون بن الرشيد وأما في خلافة من قبله من أسلافه من بني العباس وقبلهم خلفاء بني أمية فلا يعرف في عصرهم (الأمر الثاني) ان أئمة التابعين من الفقهاء والمفسرين والمحدثين لا يعرفون هذا العلم وهم نقلة العلم، والإسلام في وقتهم أظهروا العلوم النافعة عندهم أكثر، وقد توافرت دواعيهم على نقل العلم، وكذلك من أخذ عنهم من الائمة الاربعة ومن في طبقتهم من المحدثين ومن الفقهاء والمفسرين فلا تجد في كتبهم ولا من أخذ عنهم شيئاً من هذا العلم (الأمر الثالث) ان هذا العلم إنما أحدثه الجهمية لما الحدوا في أسماء الله وصفاته وأستمالوا المأمون على تعريب كتب اليونان فعظمت فتنة الجهمية وظهرت بدعتهم من أجل ذلك فصار ضرره أكثر من نفعه (وذكر العلماء) إنما فيه من صحيح فهو موجود في كتب أصول الفقه فيتعين تركه وعدم الالتفات اليه والمعول انما هو على الكتاب والسنة وما عليه السلف والائمة وهذه كتبهم موجودة بحمد الله ليس فيها من شبهات أهل المنطق شيء أصلاً (فهذا) الذي ندين لله به (البحث الثاني) السؤال عن التوحيد وأنواعه وحقيقة كل نوع منه فإن كان عند القادم من ذلك تحقيق والا فيجب ارشاده إلى ذلك وتعليمه لان العلم أقسام ثلاثة لا رابع لها فيجب عليك أيها الرجل القادم ان تسعى لنفسك بمعرفة الحق بدليله والذي يقبل علمنا هذا الذي من الله به علينا من تمييز الحق من الباطل فهو أخونا (والحمد لله على هداية من اهتدى) والذي يرى غير ذلك فلا تحن باخوان له والسلام وصلى الله علي محمد وآله وسلم[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥١)

من عبد الرحمن بن حسن، وعلي بن حسين وإبراهيم بن سيف، إلى من

---

(١) الدرر ١/١٦٥.

يصل اليه هذا الكتاب من الأخوان، رزقنا الله وإياهم الفقه في الدين، والإيمان واليقين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد فانا نوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة، والسر والعلانية، ونذكركم ما أنعم الله به علينا وعليكم من دين الإسلام الذي رضيه لكم ديناً، كما قال تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ وهو الذي لا يقبل الله من أحد ديناه سواه كما قال تعالى ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه في الآخرة من الخاسرين** ﴾ وليس الإسلام بمجرد الدعري والتلفظ بالقول، وإنما معناه الانقياد لله بالتوحيد والخضوع، والاذعان له بالربوبية والآلهية دون كل ما سواه، كما قال تعالى ﴿ **فمن يكفر بالطاغوث ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ الآية وقال ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ إلى قوله ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾الآية وقال ﴿ **إن الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا إياه ذلك الدين القيم** ﴾الآية وهو الدين الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه كما قال تعالى ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروا وويل للمشركين** ﴾ وإلا له الذي تألهه القلوب محبة ورجاء وتعظيماً وتوكلاً واستعانة ونحو ذلك من أنواع العبادة الباطنة والظاهرة، فالتوحيد هو إفراد الله بالإلهية كما تقدم بيانه ولا يحصل ذلك الا بالبراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً كما ذكر الله تعالى ذلك عن إمام الحنفاء عليه السلام بقوله ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون**﴾ الآية وقوله ﴿ **يا قوم إني بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وساأنا من المشركين** ﴾ فتأمل كيف ابتدأهم بالبراءة من المشركين وهذا هو حقيقة معنى لا إله إلا الله ومدلولها، لا بمجرد قولها باللسان من غير معرفة وإذعان تضمنته كلمة الاخلاص من نفي الشرك وإثبات التوحيد

والجاهلون من أشباه المنافقين يقولونها بألسنتهم من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، ولهذا تجد كثيراً ممن يقولها باللسان إذا قيل له لا يعبد الا الله ولا يدعى الا الله أشمأز من هذا القول، كما قال تعالى ﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾ وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ **وأقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين * ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين** ﴾والحنيف وهو المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه، وقد قال تعالى ﴿ **وإياي فاعبدون** ﴾ وتقديم المعمول يفيد الحصر كما في هذه الآية وأشباهها قال العماد بن كثير رحمه الله في معنى قوله ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه** ﴾ فيها الرد على المشركين المخالفين لملة إمام الحنفاء فإنه جرد توحيد ربه فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك قومه كما تبرأ من أبيه كما ذكر الله ذلك عنه في قوله ﴿ **وأعتز لكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن الا اكون بدعاء ربي شقياً * فلما اعتز لهم وما يعبدون من دون الله** ﴾ الآية، وكيف بادرهم بذكر اعتزالهم أو لا ثم عطف عليه بإعتزال معبوداتهم، كما في سورة الكهف ﴿ **وإذا اعتزلتموهم ما يعبدون الا الله** ﴾ وهذا هو حقيقة التوحيد، وقد ارشد الله نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين أن يأتموا بخليله في ذلك ويتأسوا به فقال ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ ولهذا الأصل العظيم الذي هو ملة إبراهيم شرع الله جهاد المشركين فقال ﴿**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ وفي الحديث (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له) ومع هذا حذر الله نبيه ﷺ وعباده المؤمنين من الركون اليهم فقال ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً * إذا لأ ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار** ﴾الآية، وأظلم الظلم الشرك بالله كما قال تعالى

﴿ **ان الشرك لظلم عظيم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾الآية، ومن المعلوم ان لذين نزلت هذه الآية في التحذير عن نوليهم ليسوا من اليهود ولا من النصارى، ولا ريب ان الله تعالى أوجب على عباده المؤمنين البراءة من كل مشرك، واظهار العداوة لهم والبغضاء وحرم على المؤمنين موالتهم وشركهم انما هو في التأله والعبادة كما قال تعالى ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون** ﴾ والآية الثانية، وقال تعالى ﴿ **له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو يبالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** ﴾ قال تعالى ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ والآيات في بيان الشرك في العبادة وأنه دين المشركين، وما تضمنه القرآن من الرد عليهم، وبيان ضلالهم، وضياع أعمالهم، أكثر من أن تحصر، ويكفي اللبيب الموفق لدينه بعض ما ذكرناه من الآيات المحكمات، واما من لم يعرف حقيقة الشرك لإعراضه عن فهم الادلة الواضحة والبراهين القاطعة، فكيف يعرف التوحيد، ومن كان كذلك لم يكن من الإسلام في شيء، وان صام وصلى وزعم أنه مسلم، وأما من شرح الله صدره للإسلام، وأصغى قلبه إلى ذكر الله من الآيات المحكمات في بيان التوحيد المتضمن لخلع الانداد التي تعبد من دون الله، والبراءة منها ومن عابديها، عرف دين المرسلين كما قال تعالى ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن إعبدوا الله واجتنبوا الطاغوث** ﴾ والطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، وكلما زداد العبد تدبراً لما ذكره الله تعالى في كتابه من أنواع العبادة التي يحبها الله من عبده ويرضاها عرف ان من صرف شيئاً منها لغير الله فقد أشرك، كما قال تعالى ﴿ **قل انما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد** ﴾ الآية ويجمع أنواع العبادة تعريفها بأنها كلما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

إذا فهمتم ذلك وعقلتموه علمتم ان من المصائب في الدين ما يقع اليوم من كثير ممن يدعى الإسلام مع هؤلاء الذين يأتونهم من أهل الشمال، وهم يعلمون ان الأوثان التي تعبد وتقصد بأنواع العبادة موجودة في بلادهم، وان الشرك يقع عندهم من الأقوال والأعمال، ولا يحصل منهم نفرة ولا كراهة له، مثل هؤلاء الذين لا يعرف منهم انهم عرفوا ما بعث الله به رسوله من توحيد ولا أنكروا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله بل الواقع منهم إكرامهم وإعظامهم، بل زوجوهم نساءهم، فأي موالاة أعظم من هذا، وأي ركون أبين من هذا، أين العدواة لهم والبغضاء؟ هل كان ذلك الذي شرع الله وأوجبه على عباده خاصاً بناس كانوا فبانوا، والناس بعد أولئك القرون قد صلحوا أم كان الشرك.. (١) (٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٢)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخوان من أهل القصيم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (بعد) اعلموا وفقنا الله وإياكم لمعرفة العلم النافع والعمل به، تفهمون ان الله سبحانه من على أهل نجد بتوحيده بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، وهذه نعمة عظيمة خص الله أهل نجد بالقيام فيها، من الخاصة على العامة، لكن لمن عرف قدرها، والغفلة ذمها الله في كتابه، وذكر انها صفة أهل النار تعوذ بالله من النار بقوله ﴿ **اولئك هم الغافلون** ﴾ وذم أهل الاعراض بقوله ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً** ﴾وهو القرآن، ولا تعرفون العبادة التي خلقكم الله لها إلا من القرآن من أوله إلى آخره يبين لكم كلمة الاخلاص لا إله إلا الله، ولا يصح إسلام الا بمعرفة ما دلت عليه هذه الكلمة من نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وممن فعله، ومعاداته، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والموالاة في ذلك، فمن الآيات التي بين الله تعالى فيها هذه الكلمة قوله تعالى ﴿ **وإذا قال إبراهيم**

---

(١) آخر ما وجد.

(٢) الدرر ٢/١٢٦.

لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ وهي لا إله إلا الله، وقد افتتح قوله بالبراءة مما كان يعبده المشركون عموماً ولم يستثن إلا الذي فطره، وهو الله تعالى الذي لا يصلح شيء من العبادة الا له، ونوع تعالى البيان لمعنى هذه الكلمة في آيات كثيرة يتعذر حصرها، كقوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد الا الله ﴾ والكلمة هي لا اله إلا الله بالاجماع، ففسرها بقوله ﴿ سواء بيننا وبينكم ﴾ أي نكون فيها سواء علماً وعملاً وقبولاً وانقياداً، فقال ﴿ ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾ فنفي ما نفته لا إله إلا الله بقوله ﴿ ألا نعبد ﴾ واثبت ما أثبتته لا إله إلا الله بقوله ﴿ إلا الله ﴾وقال ﴿ أمر ألا تعبدوا الا إياه ﴾ فهذا أعظم أمر أمر الله به عباده، وخلقهم له ففي قوله ﴿ ألا تعبدوا ﴾ نفي الشرك الذي نفته لا إله الا الله، وقوله ﴿ الا إياه ﴾هو الاخلاص الذي اثبتته لا إله إلا الله وقال تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ﴾ قضى: أي امر ﴿ الا تعبدوا ﴾فيه من النفي ما في معنى لا إله وقوله ﴿ إلا إياه ﴾ هذا هو الإثبات الذي أثبتته لا إله إلا الله وقال تعالى ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ﴾ فهذا هو الذي أمر به ﷺ، ودعا الناس اليه، وهو إخلاص العبادة وتخليصها من الشرك قولاً وفعلاً واعتقاداً، وقد فعل ﷺ ذلك، ودعا الناس اليه وجاهدهم عليه حق الجهاد، وهذا هو حقيقة دين الإسلام كما قال تعالى ﴿ قل إنما يوحي إلى أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ بين تعالى ان توحيد الألهية هو الإسلام، والأعمال كلها لا يصلح منها شيء الا بهذا التوحيد، وهو أساس للملة ودعوة للرسلين، والدين كله من لوازم هذا الأصل وحقوقه، وقد قال تعالى ﴿ كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ فمن تدبر القرآن، وتذكر به عرف حقيقة دين الإسلام، الذي أكمله الله لهذه الأمة، كما قال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ هذا ما ننصحكم به، وندعوكم اليه وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[1].

---

(١) الدرر ٢/١٢٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٣)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخوان على بن حمد واخوانه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتذكرون أمر الهيتمي الذي معه الحيات ويبيع سقوة على الناس البدو والحضر يسقيهم من ريقه ويأخذ عليهم العهد ويدعى ان من سقاه من ريقه لا تلدغه الحية ولم ينكر عليه الا عبد العزيز ابن عبد الجبار جزاه الله خيراً وتذكرون ان عثمان بن منصور تابعه وقبل منه سقوته هذا تحققناه منكم ومن سيبيع الذين جاؤا من قبلكم ويذكرون انهم توقفوا في مبدأ أمره وأهل القرايا كذلك حتى قيل منه ابن منصور وكتب معه خطاباً وبعد هذا تزاحم عليه البدو والحضر الذي يشتري سقوته بدراهم والذي بعيش والذي بغنم والذي بسمن والذي حصل منهم باعه في تمير وبعد هذا قدم المجمعة وطردوه.

وخط عبد العزيز بن عبد الجبار أشرفنا عليه وذكر كلام العلماء وإنكارهم على من فعل هذا وأخذ الحيات وان هذه أحوال شيطانية تحصل بواسطة الشياطين إذا تقرب اليهم بالشرك بالله وهذا لا يوجد الا في أجهل الناس وأبعدهم عن الله وعن دينه وعبد العزيز جزاه الله خيراً أدى الذي عليه وأما ابن منصور فالله أعلم انه معاقب ولا ندري هل هذا كله جهل اوله مقصد شر والا فالذي على فطرة او له عقل ينكر هذا بفطرته وعقله وذكر شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب الفرقان من الأحوال الشيطانية أموراً من هذا تركنا ذكرها لئلا يطول الجواب فهذا من جنس أحوال الكهان مع الشياطين، والكهانة أنواع هذا منها وفي الحديث الصحيح من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ وأمور الكهانة وما شابهها من الاستمتاع بالشياطين والاستكثار منهم محاها الله بما أطلع في نجد من الدعوة إلى توحيد الله وأمتدت إلى كثير من الجزائر كما محى أحوال الكهان ببعثة رسول الله ﷺ فسد ﷺ أبواب الشرك وأحوال الجاهلية وحمى الإسلام فمن ذلك ما ثبت في حديث إبن مسعود مرفوعاً ان الرقى والتمائم والتولة شرك فلم يبح من الرقى الا ما خصه الدليل من

الآيات القرآنية والاذكار النبوية والدعوات المعروفة بالالفاظ العربية، وأما ما كان باسماء الشياطين أو بما لا يعرف معناه فينهي عنه لهذا الحديث وحكمه التحريم فإذا كان حال الرقى التي فيها من الالفاظ ما لا يعرف معناه فكيف بما هو ظاهر انه من أعمال الشياطين مع من تولى هم من مثل هذا الهيتمي وأمثاله ممن شاهدنا بمصر لا يشك أحد أنه من أعمال الشيطان ولهؤلاء اعتقادات شركية في معبودهم الذي يعبدونه من دون الله وأكثر هذه الطرائق محشوة بالشرك والبدع وقوله في الحديث والتولة شرك ذكر العلماء انها تشبه السحر وما يشبه السحر فهو شرك وكذلك التمائم شرك للتعلق بها والاعتماد عليها من دون الله وفي بعضها أسماء الشياطين وما لا يعرف معناه فكل هذه الأمور لا تجامع الإسلام الصحيح بل تنافيه إذا اشتملت على ما هو شرك بالله من التوكل على غيره ونحو ذلك وقد وقع في نفوس كثير من الجهال الذين أخذوا عن هذا الهيتمي كثير من تصديقه ما جاءهم به من هذه الضلالة وهذه فتنة وقى الله شرها وبسط القول في ذلك وذكر ما قاله العلماء له موضع آخر ان شاء الله تعالى والسلام[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٤)

من عبد الرحمن بن حسن إلى جناب الأخ إبراهيم بن محمود سلمه الله تعالى.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فهذا جواب سؤال المسئلة الاولى عن أناس يجتمعون ويصلون على النبي ﷺ.

(فالجواب) ان هذا ليس مشروعاً وإنما المشروع الصلاة وقراءة القرآن قبل دخول الإمام فإذا دخل الإمام وأخذ في الخطبة وجب الانصات للخطبة كما في الحديث (إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت).

وأما تقدم الخطيب في المسجد يصلي ويقرأ قبل الخطبة والصلاة فلا بأس به لكن ينبغي أن يكون في ناحية يراه المأمومون إذا خرج البهم للخطبة.

---

(١) الدرر ٢/٢٠٥.

وأما صلاة الجمعة قبل الزوال فهو وقت لها عند الإمام أحمد رحمه الله وخالفه بعض الائمة وقال: وقتها بعد الزوال، فتأخيرها إلى الزوال خروجاً من خلاف العلماء لكن هذا القول الثاني مجمع عليه.

كذلك الأمراض الحادثة وقع مثلها في وقت الصحابة رضي الله عنهم فلم يفتوا فيها ولو كان خيراً سبقونا اليه.

وأما جعل الذهب في الجنبية والسيف وفي خاتم رجل فلا يجوز الا الفضة وأما الذهب فلا.

وأما صاحب السفينة وقوله :سلفني ،فلا يجعله من الأجرة ويقدمها عليه جاز.

وأما كفارة اليمين فيطعم عشرة مساكين قدرها العلماء لكل مسكين مد من البر، والمد وزن ثلاثين ريالاً، فان كان شعير فمد ان وكذلك التمر.

وأما قوله إذا حلف وقال وعهد الله فهو كقوله والله.

وأما الحج فمن أخذها ليحج صح وأما إذا حج ليأخذ فلا يصح[1] كذلك ما يصح له ان يوكل غيره لا في بلد الميت ولا في غيرها فإن استأجر من يحج بدله من بلد هي أقرب إلى مكة من بلد الميت فهذا لا يصح أيضاً. وقولك من يأخذ الحجة لاشتياقه إلى البيت ومشاعر الحج وللعمل الصالح لما فيه من زيادة الفضل، فهذا هو الذي يصح نيابته كما تقدم فإن كان قصده التوصل إلى البيت فلواجب لقصده ذلك. وما فعله غير المناسك التي هي أركان الحج وواجبات وسنن فثوابه له وأما الأركان والواجبات والسنن فثواب ذلك يرجع للذي هو نائب عنه وفضل الله واسع.

وأما إذا أخذ مالاً من عمان لصاحب له في نجد فلا يجوز لان الواجب الحج للميت من بلده التي هي أبعد من مكة. وسلم لنال على أخوانك وعبد اللطيف وأخوانه والإمام وأولاده والأخوان بخير وينهون السلام. حرر سنة ١٢٩٢.

---

(١) المجموعة ٤/٤٢٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٥)

من عبدَ الرحمن بن حسن إلى الأخ المكرم محمد آل عمر السليم سلمه الله تعالى من كل آفة وآمنه من كل مخافة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد وصل الخط وصلك الله بما يرضيه وبحمد اليك الله تعالى على ما اسبغ من نعمه الباطنة والظاهرة جعلنا الله واياكم من الشاكرين الذاكرين، ونعمة الله عليكم عظيمة حيث أقامكم في ناحية أهلها جهال بالتوحيد ما له عندهم قدر ولا قيمة وجعلكم تدعون اليه وتبينونه وتحملون التاس عليه وجعل لكم أصحاب قابلين هذه الدعوة[١] ومحبينها ومعادين فيها وموالين فيها ويا أخي هذه النعمة علينا وعليكم عظيمة واحمدوا الله سبحانه وتعالى وتبرأوا من الحول والقوة وانسبوا النعمة إلى ربكم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى ـ لما ذكر القلب وصف القلب الحي بقوله ان يكون مدركاً للحق مربداً له مؤثراً له على غيره، والكتاب وصل وشرعنا نقرأ فيه ووجدناه صحيحاً ولله الحمد موافق ولو ثمنه غالي كل ثمن يساق فيه ليس بكثير.

وسلم لنا على الوالد ومحمد وجميع الأخوان بالتخصيص والتنصيص ومن لدينا الإمام وتركي ومحمد وعبد اللطيف واسماعيل وجميع العيال بخير ويبلغون السلام وانت سالم والسلام، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم. خطه سنة ١٢٨٤ ونقلته من خطه وعليه ختمه. غرة ربيع أول سنة ١٣٤٥[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٦)

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ المحب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن غمره الله بانعمه، وزاده من فواضل جوده وكرمه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) الدرر ٤/٤٢٨.

وبعد: فالخط وصل وبه الإنس والسرور حصل، حيث أنبأ عن حال الأخ جعلها الله حالاً مرضية، وبالتوفيق مرعية، وحيث سألت عني فأحمد الله اليك وأنا بخير وعافية جعلنا الله وإياكم من الشاكرين، والأحوال من فضل الله جميلة نسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا ويغفر ذنوبنا، ويستر عيوبنا، وأن يمن على الجميع بالهدى والسداد، والفوز بالرضوان يوم المعاد، انه هو الكريم الجواد، اللطيف بالعباد.

ويا أخي مر علينا في شرح الزاد في معنى قوله في الاستفتاح (ولا إله غيرك) أي لا يستحق أن يعبد غيرك وهو يؤيد ما قد قلته لك من أن المقدر في كلمة الاخلاص إذا قال الموحد لا إله إلا الله أي لا إله حق إلا الله، والعامل في هذا المقدر (لا) على انه خبرها في قول الاخفش: وعلى قول سيبويه لم تعمل فيه (لا) وإنما عمل فيه المبتدأ هو (لا) مع اسمها، فإن (لا) مع اسمها في محل رفع على الابتداء.

والمقصود ان المقدر (حق) ليطابق ما في الآيتين في سورة الحج ولقمان.

وأبلغ محمد بن مانع ومن بحضرتك من الطلبة والأخوان والجماعة السلام.

ومن لدينا العيال وخواص اخوانكم بخير وينهون السلام وأنت سالم والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٧)

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يراه من الأخوان سلام عليكم ورحمة الله وبركلته.

(وبعد) طلبنا أخوكم سعد بن كسران الفائدة في أصل الدين فأجبناه، فأحسن ما نجد في بيان اصل الدين الآيات المحكمات. فتدبر ما قص الله

تعالى عن رسله وما دعوا اليه من بعثوا اليهم يتبين لك أصل الدين وما ينافيه من الشرك.

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد على اختصاره كثيراً من الأدلة النمعرفة بأصل الدين، كذلك كتاب كشف الشبهات وأربع القواعد ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله. فأوصيك بالاشتغال والمطالعة في كتبه وتأمل ما فيها من الأدلة.

وأما المحرمة التي أخضرها حربر فلا شك في أنها حرام، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير فقال: (انما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة) وقال (من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) وفي الصحيح أنه أخذ حريراً فجعله في يمينه وذهباً في يساره ثم قال: (ان هذين حرام على ذكور أمتي).

وفي حديث عمر نهى عن الحرير الا موضع أصبعين أو ثلاثة أو اربعة وبعد الاستثناء يقتصر على القدر المستثني، فما زاد على الاربع الاصابع حرام، سواء كان مفرقاً أو مجتمعاً كما عليه جماهير العلماء وهو ظاهر الأحاديث وفيها ما يدل على المنع منه وإن لم يكن مجموعاً. فاجتنب هذه المحرمة فانها محرمة، فان كان عندك شيء منها تبعها على مسلم، بعها في غير بلاد المسلمين.

هذا وبلغ سلامنا الأخوان، وكاتبه وخواص الأخوان يسلمون عليكم وأنتم سالمون والسلام، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

(٥٨)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه ومن أحبه ووده.

من عبد الرحمن بن حسن إلى أخيه راشد بن مطر سلمه الله تعالى وزاده علماً وإيماناً وتوفيقاً واذعانا. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

(وبعد) فقد وصل إليّ خطك وسرنا ما أشعر به من حسن الحال من معرفة الإسلام ومحبته وقبوله، فتلك النعمة التي لا أشرف منها ولا أنفع (قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا، هو خير مما يجمعون) فرحمته الإسلام والإيمان وقيل القرآن، وهما متلازمان، ورحمته أن جعلكم من أهله كما فسر الصحابي رضي الله عنه الآية بهذا.

وما ذكرت من قيام الجهمية والرافضة والمعتزلة عليكم فلا يخفاك ان هذه الفرق الثلاث قد ابتلى بهم أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً وتشعبت هذه الاهواء شعباً وكل من أقامه الله بدينه والدعوة اليه ناله منهم عناء ومشقة، فهم اعداء أهل الحق في كل زمان ومكان، حكمة بالغة ليمتحن حزبه بحربه كما جرى للرسل من اعدائهم في الدين، قال تعالى ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين** ﴾ ليتميز الصادق بصدقه وصبره على دينه وليتخلف من ليس كذلك ممن ليس له قدم راسخ في الإيمان (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين).

وبعد الابتلاء والامتحان يحصل النصر والتمكين للمؤمنين الصادقين الصابرين كما قال تعالى ﴿ **وان جندنا لهم الغالبون** ﴾ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم** ﴾الآية، فمن قامت عليه الحجة فلم يقبل وجادل بالباطل وجبت عداوته والبراءة منه ومفارقته بالقلب والبدن.

وأما قول الاشاعرة في نفي علو الله تعالى على عرشه فهو قول الجهمية سواء بسواء. وذلك يرده ويبطله نصوص الكتاب والسنة كقول الله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ في سبعة مواضع كقوله ﴿ **تعرج الملائكة والروح اليه** ﴾ والعروج إنما هو من أسفل إلى فوق، وقوله ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾﴿ **إني متوفيك ورافعك إليّ** ﴾

﴿ **أأمنتم من في السماء** ﴾ الآيتين. وكل هذه الآيات نصوص في علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه على ما يليق بجلاله بلا تكييف.

وقول هؤلاء الاشاعرة: انه من الجهات الست خالي، قد وصفوه بما يوصف به المعدوم وهو قد وصف نفسه بصفات الموجود القائم على كل نفس بما كسبت،

وفي الأحاديث من أدلة العلو ما لا يكاد يحصر إلا بكلفة كقوله في حديث الرقية (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك) الحديث.

وجوهرة السنوسي ذكر فيها مذهب الاشاعرة وأكثره مذهب الجهمية المعطلة لكنهم تصرفوا فيه تصرفاً لم يخرجهم عن كونهم جهمية، ومذهبهم ان القرآن عبارة عن كلام الله لا أنه كلامه الذي تكلم به وخالفوا الكتاب والسنة، وقال تعالى ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ ﴿ **وإن أحد من المشركين إستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ ﴿ **وكلم الله موسى تكليماً** ﴾ ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** ﴾والادلة على هذا كثيرة جداً.

والاشعري له كتب في إثبات الصفات وهذا المذهب الذي نسبه اليه هؤلاء تبرأ منه في كتابيه (الابانة. والمقالات) وغيرهما وكثير من أهل العلم يكفرون نفاة الصفات لتركهم ما دل عليه الكتاب والسنة وعدم إيمانهم بآيات الصفات.

* * *

وأما من جحد توحيد الأُلهية ودعا غير الله لا شك في كفره وقد كفره القرآن، والسنوسي وأمثاله من المتأخرين ليس من السلف ولا من الخلف المعروفين بالنظر والبحث، بل هو من جهلة المتأخرين المقلدين لاهل البدع، وهؤلاء ليسوا من أهل العلم، والخلف فيهم من إنحرف عن السنة إلى البدع. وفيهم

من تمسك بالسنة، فلا يسب منهم إلا من ظهرت منه البدعة.

وأما أبن حجر الهيتمي فهو من متأخري الشافعية وعقيدته عقيدة الاشاعرة النفاة للصفات ففي كلامه حق وباطل.

وأما الدعاء بعد المكتوبة ورفع الايدي فليس من السنة، وقد أنكره شيخ الإسلام لعدم وروده على هذا الوجه.

وأما أهل البدع فيجب هجرهم والانكار عليهم إذا ابتليتم بهم. وتأملوا مصنفات الشيخ وتأملوا كلامه رحمه الله تعالى تجدوا فيه البيان والفرقان.

وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي التي تمسكت بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه

* * *

وأما الافغانيون الذين جاؤا فبلغنا انهم يرون رأى الخوارج، معهم غلو، وقد شدد النبي ﷺ في الغلو وأخبر عن الخوارج (انهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) وأمر بقتلهم.

وسبب غلوهم الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة فأداهم جهلهم وقصورهم في الفهم إلى أن كفروا أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الاولين، فإذا كان قد جرى في عهد النبوة من يطعن على رسول الله ﷺ ويكفر أصحابه فلا يبعد أن يجيء في آخر هذه الأمة من يقول بقولهم ويرى رأيهم، وهؤلاء الناس الذين هاجروا الينا وبايعونا ما ندري عن حقيقة أمرهم.

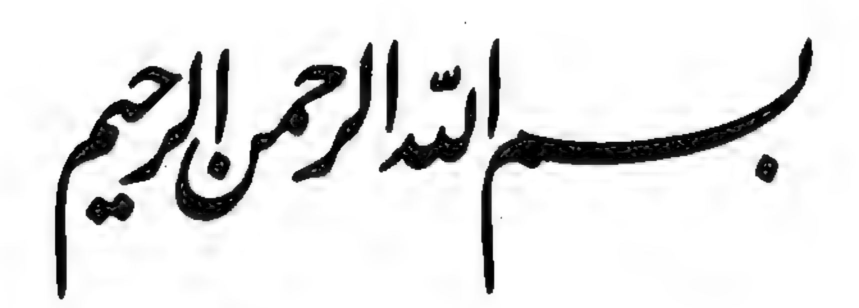
وعلى كل حال إذا عملتم بالتوحيد وأنكرتم الشرك والضلال وفارقتم أهل البدع فلا يلزمكم هجرة عن الوطن، والمال بل يجب عليكم الدعوة إلى الله وطلب أدلة التوحيد في كتاب الله، وتأمل كلام الشيخ في مصنفاته فإنه رحمه الله تعالى بين وحق وأنتم سالمون والسلام[١].

---

(١) المجموعة ٤/٣٦٩.

كتاب
بيان كلمة التوحيد
والرد على الكشميري عبد المحمود

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى آمين ورضي عنهم



وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ولا مثل ولا معين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الاولين والآخرين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين،وسلم تسليما ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات ، وألف بين قلوبهم ، واصلح ذات بينهم ، وانصرهم على عدوك وعدوهم ، واهدهم سبل السلام ، واخرجهم من الظلمات إلى النور ، وجنبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واجعلهم شاكرين لنعمتك ، مثنين بها عليك ، وقبلها منهم وأتمها عليهم ، اللهم انصر دينك وكتابك ورسولك وعبادك المؤمنين ، اللهم اظهر دينك دين الهدى ، ودين الحق الذي بعثت به نبيك محمداً ﷺ على الدين كله ، اللهم عذب الكفار والمنافين الذين يصدون عن سبيلك،ويبدلون دينك،ويعادون عبادك المؤمنين ، اللهم خالف بين كلمتهم،وشتت بين قلوبهم،واجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وادر عليهم دائرة السوء، اللهم انزل بأسك الذي لايرد عن القوم المجرمين ، اللهم منزل الكتاب،ومجري السحاب، وهازم الاحزاب ، اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم ، اللهم اعنا ولا تعن علينا ، واهدنا ويسر الهدى لنا ، وانصرنا على من بغى علينا ، اللهم اجعلنا شاكرين

ذا كرين مطاويع اليك مخبتين، اواهين منيبين ، اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا واهد قلوبنا وثبت حجتنا ، واسلل سخيمة صدورنا يارب العالمين

(أما بعد) فاعلموا معشر الاخوان ان الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وعرفهم ماخلقوا له من اخلاص العبادة لله وحده لاشريك له ، وترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ، والرغبة عن عبادة غيره والبراءة منها والكفر بالطاغوت وهو الشيطان وما زينه من عبادة الاوثان ، فدعا قريشا والعرب إلى أن يقولوا لا إله إلا الله لما دلت عليه من بطلان عبادة كل مايعبد من دون الله ، واخلاص العبادة لله وحده دون كل ماسواه . وهذا هو التوحيد الذي خلق الله الخلق لاجله ، وأرسل الرسل لاجله ، وأنزل الكتب لاجله . وهو أساس الايمان والاسلام ورأسه وهو الدين الذى الحق لايقبل الله من عبد ديناً سواه . قال الله تعالى (وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون) اي يوحدون ، وقال تعالى (وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا)وهذه الآية تفسر الآية قبلها وتبين أن المراد بالعبادة التوحيد وأن يكون سبحانه وتعالى هو المعبود وحده دون كل ماسواه ، والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد وبيانه، وبين ذلك قوله تعالى (إن الحكم إلا لله أمر أن لاتعبدوا إلا إياه)

والرسل عليهم الصلاة والسلام افتتحوا دعوتهم لقومهم بهذا التوحيد (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وقال تعالى (وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون* انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ، ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون * وإن تكذبوا فقد

كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وقوله (فقد كذب أمم من قبلكم) يعني قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات، وهم قوم لوط ، وقد قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)

وكل رسول يدعو قومه الى ان يخلعوا عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ويخلصوا أعمالهم كلها عن الاصنام والاوثان التي اتخذوها وجعلوها أنداداً لله بعباداتهم ، كما قال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون)

وهذا هو معنى لا إله إلا الله لا يشك في هذا مسلم كما قال تعالى (والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) فأجابوه بقولهم (يا هود ما جئتنا ببينة، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين* إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، قال اني أشهد الله، واشهدوا، أني بريء مما تشركون* من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) وهذا هو المنفي في كلمة الاخلاص (اني بريء مما تشركون من دونه) كما قال تعالى مخبراً عن جميع رسله أنهم قالوا لقومهم (انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

والايمان بالله وحده هو البراءة مما كانوا يعبدونه من الاصنام والاوثان واخلاص العبادة لله وحده، لا يرتاب في هذا مسلم

فمن شك في أن هذا هو معنى لا إله إلا الله فليس معه من الاسلام ما يزن حبة خردل .

والقرآن أفصح عن معنى لا إله إلا الله في آيات كثيرة يطول الكتاب بذكرها ويأتي بعضها ان شاء الله في هذا الجواب .

وأنتم معشر المخاطبين بهذا قد تقرر عند من له علم فيكم حتى العامة من أكثر

من مائة وثلاثين سنة أن هذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، فما بال أناس يرغبون عما عرفوه وعُرفوه من كتاب الله وسنة رسوله إلى طلب العلم ممن لم يعرف هذا التوحيد ولا نشأ في تعلمه ولاعرفه، كما هو ظاهر في كلامه؟ يعرف من له عقل وبصيرة انه لا يتكلم به إلا من لم يعرف مابعث الله به المرسلين من توحيد رب العالمين

وقد علمتم معشر الموحدين ماحل بين كثير من الناس وبين معرفة التوحيد من العوائد الشركية، والشبهات الخيالية لما افترقت الامة إلى ثلاث وسبعين فرقة، فلقد عظمت نعمة الاسلام على من عرفها وقبلها وأحبها وصار مستيقنا بها قلبه، مخلصا صادقا، ورزق الثبات والاستقامة على ذلك، فيالها من نعمة ما أعظمها وموهبة ما أجلها، نعوذ بالله أن يصدف عنها صادف أو يصرف عنها صارف، ونعوذ بالله من مضلات الفتن ماظهر منها وما بطن،

فاتقوا الله عباد الله وارغبوا فيما كنتم فيه من نعمة الاسلام والايمان، وجددوا وجدوا واجتهدوا في معرفته على الحقيقة بأدلته وبراهينه التي نصبها عليه رب العالمين في كتابه المبين، وبينها لكم نبيه الصادق المصدوق الامين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى من اتبعه إلى يوم الدين.

ثم انه قد تكلم غريب في معنى لا إله إلا الله لا يعرف ما هو ولا ممن هو؟ وكتب في ذلك ورقة تبين فيها من الجهل والضلال ماسنذكره لكم حذراً وتحذيراً واعذاراً وتعذيراً، والقلوب بين أصابع الرحمن، نسأل الله الثبات على الاسلام والايمان

ذكر ما في الورقة. قال (الحمد لله المتوحد بجميع الجهات).

(الجواب وبالله التوفيق) لايخفى على من له ذوق وممارسة ومعرفة بمذاهب المبتدعة أن هذا لفظ لامعنى له إلا على قول أهل الحلول من الجهمية ومن تابعهم فانهم يقولون: ان الله تعالى حال في جميع الجهات وفي كل مكان، ويجحدون ماتقرر

في القرآن من علو الله على جميع خلقه واستوائه على عرشه (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).

وهذا الرجل انما تكلم بألسنتهم، فهذا محصوله من العلم الذي ادعاه قد ظهر واستبان على صفحات وجهه، وفلتات اللسان . وأهل السنة ينكرون هذه الالفاظ، ويشيرون إلى ما فيها من دسائس أهل البدع أسوة أمثال هذا من الفلاسفة وأهل الوحدة وغيرهم ممن لم يستضيء بنور العلم، ولم يلجأ إلى ركن وثيق، فلا تنظر الى منظر الرجل وانظر إلى مخبره

وقد غلط أكثر الفرق الثلاث والسبعين في مسمى التوحيد، وكل فرقة لها توحيد تعتقد أنه هو الصواب حتى الاشاعرة القائلين بان معنى الاله : الغني عما سواه، المفتقر اليه ما عداه[1] ويقولون انهم أهل السنة وهيهات هيهات، ولم يصبر منها على الحق إلا فرقة واحدة وهم الذين عرفوا التوحيد على الحقيقة من الآيات المحكمات وصحيح السنة . جعلنا الله وإياكم من الفرق الناجية

وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى فقال: وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام، ومن أهل الارادة والعبادة وهذا يفيد الحذر من مخالطة كل من لا يعرف دينه

وقد كان بعض العلماء اذا دخل عليه مبتدع جعل أصبعيه في أذنيه حتى يفارقه حذراً من أن يلقي اليه كلمة تفتنه.

فارجعوا رحمكم الله الى صريح القرآن فانه حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو النور كما قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)

(١) هذه العبارة هي التى بنى عليها السنوسي عقيدته الصغرى المشهورة وزعم انها معنى كلمة التوحيد واستنبط الصفات السلبية والثبوتية منها وما هي الا من لوازمها، وما كل الاشعرية يقول بأنها معناها

ثم ان هـذا قال في ورقته (اعلم ان الاله هو المعبود فقط غير مقيـد بقيد الحقيقة والبطلان ، إذ اشتقاقه من أله ، اذا عبده- يوجب اتحاده معه في المعنى لعدم وجوده بدونه،إذ الاشتقاق وجود التناسب في اللفظ والمعنى)

(فالجواب)أن نقول : سبحان الله ، كيف يشكل على من له أدنى مسكة من عقل ما في هذا القول من الكذب والضلال والالحاد والمحال ؟ فلقد صادم الكتاب والسنة والفطر والعقول واللغة والعرف ،

أما مصادمته الكتاب والسنة فان الله تعالى يقول (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) في عدة مواضع من الكتاب والسنة، فالله تعالى الحق وعبادته وحده هي الحق أزلا وأبداً ،وما يدعى من دونه هو الباطل، قبل وضع اللغات وبعدها. وهذا لا يمتري فيه مسلم أصلا .

وأما مصادمته للعقل فان كل مألوه معبود ،ولا بد أن يكون حقا أو باطلا، فان كان هو الله فهو الحق سبحانه كما في حديث الاستفتاح الذي رواه البخاري وغيره « ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق »وان كان المعبود غيره فهو باطل بنص القرآن ، والقرآن كله يدل على ان الله هو الحق وان ما يدعى من دونه فهو باطل .

وأما مخالفته للفطر فباتفاق الناس على ما دل عليه الكتاب والسنة والمعقول ، حتى أهل البدع من كل طائفة لا يقول بهـذا القول الذي قاله هذا أحد منهم ، لكن كل طائفة تدعي انها أسعد من غيرها بالدليل، على ما في أدلة كل طائفة من التحريف والتأويل .

وأما مخالفته للغة فلا ريب ان الواضع وضع الالفاظ بازاء معانيها . فكل لفظ وضع لمدلوله الذي وضع له لاجل الدلالة عليه ، والواضع وضع الالفاظ دالة على معانيها ، فاللفظ دال والمعنى مدلوله .يعرف هذا كل من له أدنى مسكة من عقل وكل ماذكرناه لا نزاع فيه ولا يعرف ان أحداً قال بخلاف ما ذكرنا .

وواضع اللغة قال بعض العلماء : هو الله تعالى ، وقال بعضهم وضعها غيره من بني آدم المتقدمين بالهام منه تعالى وجبلة جبلهم عليها . واللغات وان تعددت فهي بالهام من الله وبها يعرف مراد المتكلم ومقصوده .

اذا عرفت ذلك فيلزم على قول هذا الجاهل ان الملائكة قبل خلق آدم وذريته كانت عبادتهم لله تعالى غير مقيدة بحق ولا باطل ، وهذا اللازم باطل فبطل الملزوم وكذلك عبادة آدم وذريته قبل حدوث الشرك في قوم نوح لا توصف عبادتهم لله بأنها حق أو باطل ، وهذا اللازم باطل فبطل الملزوم ، وكذلك قوم نوح لما عبدوا آلهتهم وقالوا لما دعاهم نوح عليه السلام (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) فيلزم على قول هذا ان عبادتهم لتلك الاصنام ليست باطلة ، وهذه اللوازم الباطلة تلزمه وببطلانها يبطل ملزومها الذي ذكرناه عنه ،

وأيضا ففي قوله هذا مضاهاة لقول ابن عربي امام أهل الوحدة :

وعباد عجل السامري على هدى ولا ئمهم في اللوم ليس على رشد

فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . فلا تعجب فكل صاحب بدعة لابد أن يجادل عن بدعته ، والعلم نور يهبه الله لمن يشاء من عباده وهو معرفة الهدى بدليله ، والناس ليسوا كلهم كذلك إلا أقل القليل الذين تمسكوا بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها علما وعملا ،

ومن تدبر القرآن رأى العجب فيما قصه الله تعالى عن الرسل مع أممهم قديما وحديثا كما قال تعالى (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد * كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب)

فاذا كان الكلام في بيان معنى لا إله إلا الله فان الله تعالى هو الذي تولى بيانه في مواضع

من كتابه وأجمعت عليه الرسل من أولهم الى آخرهم، كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) بل القرآن كله في بيان معناها، كما قال تعالى (وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهديني * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) أي اليها من البراءة من عبادة كل معبود سوى الله، واخلاص العبادة له تعالى كقول امام الحنفاء عليه الصلاة السلام في هذه الآية (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) وهي لا إله إلا الله، وقال تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله) والطاغوت الشيطان وما زينه المشركين من عبادة معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى كاصنام قوم نوح وأصنام قوم ابراهيم واللات والعزى ومناة، ومالا يحصى كثرة في العرب والعجم وغيرهم وهي موجودة في الخارج معينة معلومة الوجود كاصنام قوم نوح وغيرها مما لا يحصى كثرة. فمن قال لا إله إلا الله بصدق واخلاص وتعيين فقد بريء من كل معبود يعبد من دون الله ممن كان يعبده اهل الارض ، وهذه الكلمة دلت على البراءة من الشرك والكفر به تضمنا ، ودلت عليه وعلى اخلاص العبادة لله تعالى مطابقة ، قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) بين تعالى ان الحكمة في خلق الجن والانس أن يعبدوه وحده لا شريك له ومن المعلوم انه خلق الجن قبل الانس

فيلزم على هذا القول الفاسد الذى أبداه هذا الجاهل ان العبادة التي خلق تعالى لها الثقلين لا توصف بحق ولا باطل حين خلقهم لها. واللازم باطل فبطل الملزوم

وهذا الموضع الذي بينا بطلانه بالمعقول والمنقول هو ثاني موضع زلت فيه قدم هذا الذي يدعي أنه على شيء وليس معه شيء يلتفت اليه بما يوجب إنكاره عليه، وقد قال تعالى (اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم؟ ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر

فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين) وقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاماتذكرون) وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قلت : لا . قال « يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الائمة المضلين » رواه الدارمي

فرضي الله تعالى عن امير المؤمنين عمر كانه ينظر إلى ما وقع في هذه الامة من جدال اهل الاهواء بالكتاب ، وكثرة الآراء المخالفة للحق التي بها كثر أهل الضلال ، وكثرت بها البدع ، وتفرقت الامة واشتدت غربة الاسلام ، حتى عاد المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وما أحسن ماقال بعض السلف: « لاتستوحش من الحق لقلة السالكين ، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين » وقال بعضهم « ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، انما العجب ممن نجا كيف نجا » فالناصح لنفسه يتهم رأيه وهواه ، ويرجع إلى تدبر كتاب الله سبحانه لا إله غيره ولارب سواه ، والى ماسنه الرسول ﷺ وما عليه سلف الامة وأئمتها قبل حدوث الاهواء وتفرق الآراء ، وليكن من الشيطان وجنده على حذر

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، سلماً لاوليائك . حربا لاعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادي بعداوتك من خالفك . اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة ، اللهم هذا الجهد وعليك التكلان .

وأما قول هذا في ورقته (إذ اشتقاقه من اله يوجوب اتحاده معه في المعنى)

(أقول) قد عرفتم ماذكرناه من تناقضه في هذه العبارة وماقبلها ، وقد أخطأ أيضا فيما عبر به عن الاشتقاق من وجهين :

(الاول) انه جعل أله مشتقاً منه وهو فعل يشتق ولا يشتق منه ، والمصدر

هو الذي يشتق منه الفعل كما قال في الخلاصة[1] * وكونه أصلا لهذين انتخب *
ومصدره أله إلاهة قال في قاموس: أله إلاهة وألوهة والوهية: عبد عبادة. ومنه لفظ
الجلالة وأصله آلآه كفعال بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبوداً اله عند متخذه. انتهى

(الوجه الثاني) قوله اله إذا عبده فجعل عبده مشتقاً من اله وهو من غير
مادته وهو فعل ايضاً فان عبده مشتق من عبادة يقال : عبده عبادة فمادته عبد
لكن عبد تفسير لاله فاتفقا في المعنى لا في اللفظ . وأيضاً فقوله اله إذا عبده
يناقض ماسلف من كلامه

واما قوله (يوجب اتحاده معه في المعنى لعدم وجوده بدونه)

(فالجواب) ان قوله يوجب اتحاده معه في المعنى ليس كذلك بل لا بد أن
يتضمن أحدهما وهو الفعل معنى المصدر وزيادة لدلالته على الحدث والزمان. والمصدر
انما يدل على الحدث فقط، وهذا أمر معروف عند النحاة وغيرهم محسوس فعبارته
تدل على إنه لا يعرف معنى الاشتقاق الذي ذكره العلماء ، ولو سئل عن معناه لما
أجاب ، ولكنه خلا بالناس عظموه في نفسه فأراد أن يأخذ العلوم بمجرد الدعوى

ومن نظر في كلامه عرف انه لاشيء هناك فتجده يأتي بعبارات متضمنة
لجهالات لم يسبقه اليها سابق كما قد عرفتم وتعرفونه فيما يأتي من كلامه ومافيه من
التناقص، فما أقبح جهل من يدعي العلم ، وما أفحش خطأ من يدعي الفهم

والله أسأل أن يوزعنا شكر ما انعم به علينا مما علمناه وفهمناه فلله الحمد
لانحصي ثناء عليه ،ونسأله الثبات والاستقامة ، والعفو والعافية في الدنيا والآخرة
ولكل من عرف الاسلام وقبله ودان به ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وأما قوله (ثم استعمل في العرف على الاغلب والاكثر على المعبود بحق
لعدم تحقق العبادة إلا بعد اعتقاد العابد استحقاق المعبود لها. والا فلا تسمى عبادة

---

(١) المعروفة بألفية ابن مالك

(فالجواب) أن قوله ثم استعمل في العرف أي بعد ان كان الاله المعبود لغة غير مقيد بقيد الحقيقة والبطلان كما تقدم صريحا في كل أمة ، فليت شعري متى هذا العرف الذي وضع الالفاظ اللغوية معناها ؟ ومن هم أهل هذا العرف؟ هل كانوا في قوم نوح أو قوم هود، فيسأل هذا متى كانوا ؟ فما أقبح هذه الاقوال المختلقة التي غايتها التمويه والتلبيس ، فلا منقول ولا معقول ولم يسبقه اليها أحد . وقدم تقدم ما يلزم على هذا القول من اللوازم الباطلة

فتبين أن قوله هذا كذب على اللغة لايعرف عن أحد لغوي ولا عن عربي والعرف لايغير اللغة عن أصلها لفظا ومعنى. وهذه كتب اللغة كالقاموس وصحاح الجوهري وغيره ليس فيها مايدل على هذا القول الباطل فيكون قد كذب على اللغة والعربية وعلى غيرها من اللغات وعلى كتاب الله وسنة رسوله

وقال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى : الاله هو الذي تألهه القلوب محبة ورجاء وتوكلا وغير ذلك من أنواع العبادة. وهذا قول أهل السنة قاطبة لايختلف فيه اثنان

وأما قوله (على الاغلب والاكثر على المعبود بحق) فمفهومه أنه يستعمل في غير الاغلب والاكثر على غير المعبود بحق. فهذا صحيح لكنه لايختص بالعرف بل هو في اللغة كذلك ، فاذا كان يطلق على غير المعبود بحق كما تفهمه كل أمة فهذا حجة عليه فان جميع الاصنام والاوثان وما يعبد من دون الله كلها آلهة معبودة بغير حق باطلة بكلمة الاخلاص لا إله الا الله. ففيها النفي والاثبات، كما سيأتي بيان ذلك وكل ما نفته لا إله إلا الله من الاصنام والانداد فليس كليا لايوجد إلا ذهناً كما يقوله المفتري افلاطون الفيلسوف وشيعته ، وانما كانت أشخاصا متعددة يباشرها عبادها بالعبادة بالدعاء ، والاستغاثة والاستشفاع بها ، والعكوف عندها ، والتبرك بها كأصنام قوم نوح ، وأصنام قوم عاد القائلين (إن نقول إلا اعتراك بعض

آلهتنا بسوء) وأصنام نمروذ التي تبرأ منها خليل الرحمن بقوله (انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهديني وجعلها كلمة باقية في عقبه) أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لاشريك له وخلع ماسواه من الاوثان، وهي لاإله الا الله، وجعلها فى ذريته باقية (لعلهم يرجعون) أي اليها .

فالخليل عليه السلام فسر لاإله إلا الله بمدلولها من النفي والاثبات فالنفي في قوله (انني براء مما تعبدون) فالبراءة منها وابطالها نفيها ، وقوله (إلا الذي فطرني) استثنى الاله الحق الذي لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الذي فطره أي خلقه ،وخلق جميع المخلوقات (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) وقد قال تعالى (ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فان تولوا اي عما تدعوهم اليه من عبادة الله وحده لاشريك له ، والرغبة عما كانوا يعبدونه من دون الله كالمسيح وأمه عليهما السلام .

فان سبب نزول الآية في نصارى نجران وكانوا يعبدون آلهة أخرى ، فقوله (أن لا نعبد الا الله) ينفي كل معبود سوى الله ويثبت العبادة لله وحده التي لا يستحقها غيره . وهذا ظاهر جلي لا يخفى على من له أدنى بصيرة ، وسبب النزول لا يمنع عموم النهي لجميع الامة كما هو ظاهر في قوله (أن لا تعبدوا الا الله) فلم يستثن أحداً سواه لا ملكا ولا نبيا ولا من دونهما كما قال تعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو إله واحد فاياي فارهبون) وقوله (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) أي من جميع المخلوقات من بشر وحجر وغير ذلك، لكن قوله (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) يختص بالبشر لما تقدم من انهم كانوا يعبدون المسيح وامه وغيرهما من الانبياء والصالحين، ويشمل غيرهم من باب أولى، وقد قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا)

وأحداً نكرة في سياق النهي وهي تعم كل مدعو من دون الله من اهل السموات والارض .وتأمل قوله (مع الله)

وخبر « لا » التي لنفي الجنس محذوف تقديره حق كما دل عليه القرآن قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل) وهذا قول اهل السنة والجماعة اتباعا لما دل عليه القرآن . ومن قدر الخبر المحذوف غير ذلك كقول بعضهم ان المحذوف « أحد » فلا حجة له ولا برهان

ينبئك عن هذا المعنى العظيم ما قرره ابن القيم رحمه الله تعالى قال : فان قوام السموات والارض والخليقة بأن تأله الاله الحق ، فلو كان فيهما آلهة أخرى غير الله لم يكن إلهاً حقاً، إذ الاله الحق لاشريك له ولا سمي له ولا مثل له ، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء مافيه صلاحها إذ صلاحها بتأله الاله الحق كما انها لاتوجد إلا باستنادها الى الرب الواحد القهار ، ويستحيل أن تستند في وجودها الى ربين متكافئين فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها الى إلهين متساويين ، وقد قال رحمه الله في قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) الآية ، قال فالمؤمنون أشد حباً لربهم ومعبودهم من كل محب لكل محبوب ، وليست هذه المسألة من المسائل التي للعبد عنها غنى أو منها بد . بل هذه أفرض مسئلة على العبد وهي أصل عقد الايمان الذي لايدخل فيه الداخل الا بها ولا فلاح للعبد ولا نجاة له من عذاب الله الا بها .

فليشتغل العبد بها أو ليعرض عنها ، ومن لم يتحقق بها علما وعملا وحالا لم يتحقق شهادة أن لا إله إلا الله، فانها سرها وحقيقتها ومعناها ، وان أبى ذلك الجاحدون وقصر عن علمه الجاهلون ، فان الاله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه، وترجوه وتنيب اليه في شدائدها وتدعوه في مهماتها ، وتتوكل عليه في مصالحها ، وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى

حبه . وليس ذلك الا لله وحده. ولهذا كانت أصدق الكلام وكان اهلها اهل الله وحزبه، والمنكرون لها اعداؤه وأهل غضبه ونقمته .

فهذه المسألة قطب رحا الدين الذي عليه مداره واذا صحت صح بها كل مسئلة وحال وذوق، واذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه واعماله واحواله واقواله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، انتهى فما أحسن هذا من بيان .

***

وأما قول الملحد في ورقته (لعدم تحقق العبادة الا بعد اعتقاد استحقاق المعبود لها)

(فالجواب) هذا القيد ممنوع وهو من جملة اختلاقاته وأكاذيبه لانه فاسد شرعا ولغة وعرفا ، ومما يبين فساده مافي الحديث من قصة الرجلين اللذين مرا على صنم قوم لايجاوزه احد الا قرب له شيئا فقالوا لأحد الرجلين قرب فقال: ماعندي شيء أقرب . قالوا : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار. اي بتقريبه الذباب لصنمهم . وهو انما قربه للتخلص من شرهم من غير اعتقاد استحقاقه لذلك، فصار عبادة للصنم دخل بها النار، وهذا يدل على ان هذا الفعل منه هو الذي اوجب له دخول النار لانه عبد مع الله غيره بهذا الفعل. وقالوا للآخر: قرب فقال : ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة .

وايضاً فقد قال ابو طالب :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب　　لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

وقوله يخاطب النبي ﷺ :

ودعوتني وعرفت انك ناصحي　　ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه　　من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة　　لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فثبت بهذا ان ابا طالب لم يعتقد ان ما كان قومه عليه من الشرك حقا ولم يمنعه من الدخول في الاسلام الا خوف أن يسب أسلافه فقط ، ومع هذا مات مشركا كما ثبت في الصحيح ، وهذا يبين فساد هذا القيد .

فاذا عرف ذلك تبين ان هذا الرجل يختلق أقوالا لا برهان عليها ولا حجة

ثم ان من المعلوم ان كل من عبد معبوداً غير الله وأصر على عبادته له انه يعتقد استحقاقه للعبادة ، وهذا هو الغالب على المشركين في حق معبوداتهم ، ولهذا تجدهم يجادلون عنها ويناضلون مجادلة من يعتقد انها تستحق ما كانوا يفعلونه لها من العبادة .

وقوله (في كل أمة أيضاً) اعتراف منه بأن الاله يطلق على كل معبود يعتقد عابده انه يستحق العبادة كما هو حال أكثر المشركين ، فاحفظ هذا الاعتراف منه فسيأتي في كل أمة ما يناقضه .

وأما قوله (ولهذا ذهب كثير من المتبحرين الى انه عبارة عن المعبود بحق وما قيل من ان كثيراً ما يطلق على الآلهة الباطلة كما ورد في أكثر موارد القرآن وهو يوجب عدم صحة المدعى ـ فمدفوع بأن اطلاقه عليها بالنظر الى اعتقاد عبادها لا باعتبار نفس الامر)

(فالجواب أن يقال) هذا يناقض ما تقدم له من أن العابد اذا اعتقد استحقاق معبوده للعبادة صار إلهاً، ولا يخفى مناقضة هذا له، فانه أقر فيما تقدم قريباً ان المعبود يكون إلها باعتقاد عابده استحقاقه للعبادة في نفس الامر ، وقد عرفت ان القيد ممنوع، فأخطأ في الموضعين أي في هذا والذي قبله وتناقض

وأما قوله : ولهذا ذهب كثير من المتبحرين الخ فهـذا القول مجهول قائله لا يعرف ان أحداً من المسلمين قاله، والقائل به مجهول لا يقبل له قول

وقد أجمع العلماء قديما وحديثا على ان المجهول لا يقبل له قول ولا خبر ، ولا

تقوم به حجة في شيء من أبواب العلم، فكيف اذا كان إلحاداً وطعنا في أصل الدين؟ وقد أجمع المحدثون على ان رواية المجهول لاتقبل كذلك، فسقط هذا القول من أصله وفسد

وقوله (كما ورد في أكثر موارد القرآن) انظر إلى هذا الجهل العظيم في محاولته رد ماورد في أكثر موارد القرآن، بقول المجهولين الذين لايعتد بقولهم عند أحد من طوائف العلماء، وموارد القرآن يحتج بها لا يحتج عليها بقول أحد، وهي الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية، فما وافق القرآن سواء كان نصا أوظاهراً قبل، وما خالفه رد على من قاله كائنا من كان، فقد ارتقى هذا مرتقى صعبا بتهجينه القرآن وابطال دلالته عنه بما زخرفه ونسبه إلى مجهولين، فسبحان الله كيف يخفى هذا على أحد؟ فمن تدبر هذا المحل تبين له ضلاله.

وأما قوله (فمدفوع بان اطلاقه عليها بالنظر إلى اعتقاد عبادها)

(فالجواب) ان هذا يبطله القرآن كما قال تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة؟إني أراك وقومك في ضلال مبين) وقال (ائفكا آلهة دون الله تريدون؟) فسماها الخليل آلهة مع كونها باطلة، وكونها باطلة لاينافي تسميتها آلهة، كما قال موسى عليه الصلاة والسلام، لما قال له بنو اسرائيل (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون) وقال (أفغير الله أبغيكم إلها) فسماه الكليم إلها مع انكاره عليهم ماطلبوا وهو قد أقر فيما تقدم ان يطلق على غير الاله الحق، فتناقض والالهية المنفية في كلمة الاخلاص بدخول اداة النفي عليها، وهي لا النافية. فالمراد بنفيها ابطالها والبراءة منها والكفر بها واعتزالها وغير ذلك مما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، فكما تسمى آلهة وأنداداً وأربابا وشركاء وأولياء، لان من عبدها فقد جعلها مألوهة له وجعل

لها شركة في العبادة التي هي حقه ومثلها بالله في عبادته لها واتخذها أربابا وأولياء وكل هذا في القرآن كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)

وقد تقدم كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى على هذه الآية العظيمة .

وقال تعالى (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقال (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء) وهذا في القرآن كثير ، فصارت تطلق عليها هذه الاوصاف بجعل عابديها واتخاذهم لها كذلك بعبادتهم وارادتهم كما تقدم بيانه في هذه الآيات ، كما في قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) فصارت آلهة بالفعل والاتخاذ والارادة والقصد ، واستشهد العلماء على ذلك بقول رؤبة بن العجاج :

لله در الغانيات المدّه سبحن واسترجعن من تألهي

أي من تعبدي ، وتقدم كلام صاحب القاموس على هذا المعنى . وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (ويذرك وإلاهتك) أي عبادتك قال لأنه كان يعبد . وتقدم تقرير هذا في كلام العلماء . وهذا يبين ان كل معبود إله ، حقا كان أو باطلا لأنه قد اله العابد بالعبادة ، وتبين بهذا ان هذا الرجل يتكلم في هذه الامور بلا علم ويأتي بما يخالف القرآن واللغة والسلف والعلماء ويتناقض

ومن فرط جهله قوله (وبهذا تعين فساد ماتوهم من ان الاله المنفي بلا ، في الكلمة الطيبة هو المطلق غير المقيد بالحق أو الباطل) وهذا القول الذي أقر بفساده هو الذي قاله آنفا وبينا فساده في محله

فتأمل ما في هذا الكلام من الفساد والضلال ، فانه جعل المنفي في كلمة الاخلاص قابلا للوصفين اي الحق والباطل ، فانه لاشك أن الاله المنفي باطل . ولا بد من

تقييده بالبطلان لان المنفي في كلمة الاخلاص هي الطواغيت والاصنام وكل ماعبد من دون الله ، وكلها باطلة بلا ريب : كما قال لبيد في شعره الذي سمعه منه النبي ﷺ

ألا كل شيء ماخلا الله باطل *

ومن لم يعتقد هذا فليس من الاسلام في شيء ، وتقدم في الآيات أن المستثنى في كلمة الاخلاص « بالا » هو الله الحق كما قال تعالى (ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل)

وهذا الرجل قد افترى على اللغة وكذب عليها بقوله المتقدم : ان الاله هو المعبود لا بقيد الحقيقة ولا البطلان ، فهو دائما يتناقض ، يذكر قولا وينفيه ثم يذكره بعده ويثبته ثم ينفيه ، ومن وقف على ما كتبته في هذا المعنى عرف ذلك من حاله ومقاله ، ومحط رحله هو قول الفلاسفة كابن سينا والفارابي وابن الملقمي القائلين بان مدلول لا إله إلا الله نفيا واثباتا فرد هو الوجود المطلق ، او قول الاتحادية انه الوجود بعينه

وكلام هذا وعبارته المتقدم منها والآتي يدل على انه يقول بقولهم ، ويحمل معنى كلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » على إلحادهم ، يعرف هذا من له فهم واطلاع على ما ذكره العلماء في بيان حقيقة قول هاتين الطائفتين الكفريتين كما سيأتي في كلام شيخ الاسلام وابن القيم وغيرهم

وهذا اعراب كلمة الاخلاص الذي يعرفه اهل العربية وغيرهم من العلماء في اعرابها فيقولون :

لا نافية للجنس ، واسمها اله ، مبني معها على الفتح ، منفي بلا ، والاله جنس يتناول كل معبود من بشر او حجر او شجر أو مدر او غير ذلك ، فهذا الجنس على تعدد افراده منفي بلا ، وخبر لا محذوف على الصحيح كما في الآيات ، وتقدم ذكره ،

والاستثناء من الخبر ، وإلا أداة الاستثناء ،والله هو المستثنى بالا ،وهو الاله الحق وعبادته حق وقوله الحق . والصحيح انه مخرج من اسم لا وحكمه كما قرره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ، والادلة على هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، وقد صرحت بذلك الآيات المحكمات كقوله تعالى (قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وهذا هو المنفى بلا في كلمة الاخلاص. وقوله (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) هو معنى إلا الله، وهذا هو الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو أمته اليه، وماخالف هذا فهو تلبيس وتشبيه وبهرج وباطل . نعوذ بالله من كل قول يؤخذ عن غير القرآن ، وعن غير ما دان به اهل الاسلام والايمان

***

ثم ان هذا الرجل انتهى امره فيما كتبه الى ان زعم ان المنفي بلا كلي وهذا الكلي منوي ذهنا لايوجد منه في الخارج إلا فرد ، وذلك الفرد المنفي بلا هو المستثنى بعينه وهذا صريح كلامه وأتى فيه بثلاث عظائم هي إلى الكفر اقرب منها إلى الايمان :

(الاولى) انه زعم ان المنفي بلا كلي لايوجد إلا ذهنا فعنده انها لم تنف طاغوتا ولا وثنا ولا صنما ولا غيرها مما يعبد من دون الله. فخالفوا أيضا أهل المنطق. فان الكلي عندهم مقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة ، ولم يقولوا انه منوي لايوجد منه في الخارج إلا فرد

(الثانية) انه زعم أن ذلك الفرد الذي لايوجد غيره لما كان منفيا بلا ـ صار ثابتاً بالا وهو فرد واحد ، فصار الاله عنده متصفا بالنفي والاثبات ، والنفي والاثبات في فرد نقيضان ، ومقتضاه ان هذا الفرد صار اولا باطلا لانه منفي ثم صار حقا لانه استثني بالا، فاجتمع فيه الوصفان. نعوذ بالله من هذا التهافت و الالحاد والتناقض والعناد

وقد عرفت ان النحاة واهل الكلام كالرازي وغيره ومن قبلهم يعلمون ان المنفي غير المثبت كما سنذكر عنهم اتفاقهم على ذلك ، وانه لا يحصل التوحيد إلا بذلك ، وهذا امر يعرفه كل أحد حتى مشركو العرب ومن ضاهاهم من الامم أعداء الرسل يعلمون انها نفت الالهة التي كانت تعبد من دون الله واثبتت الهية الحق الذي اقروا انه رب كل شيء ومليكه ، وخالق كل شيء ورازق كل حي، وذلك هو الله العلي الاعلى القاهر فوق عباده

(والثالثة) انه صرح ان المنفي كلي . والفرد الموجود في الخارج جزئي (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) وهذا هو حقيقة قول هذا ولهذا مثله بقوله : لاشمس إلا الشمس

ومن أشكل عليه فساد قول هـذا وضلاله فليتدبر القرآن وليراجع كلام المفسرين في معنى كلمة الاخلاص وماوضعت له ومادلت عليه هذه الكلمة العظيمة، فقد قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) فدلت الآية على أنه لا يكون مستمسكا بلا إله إلا الله إلا إذا كفر بالطاغوت وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم لانه لم يتمسك بلا إله إلا الله

فتدبر واعتقد ماينجيك من عذاب الله وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله نفياً واثباتاً ، وتدبر قوله تعالى عن خليله عليه السلام (واذقال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) والكلمة هي لاإله الا الله باجماع المفسرين . فلااحسن من هذا التفسير ولا أبين منه ، وليس للجنة طريق الا بمعرفته وقبوله واعتقاده والعمل به

نسأل الله أن يوزعنا شكر ما أنعم به علينا من هذا التوحيد والبصيرة فيه ولا حول ولاقوة الا بالله

فتأمل كيف عبر الخليل عليه السلام عن هذه الكلمة بمدلولها الذي وضعت له من البراءة من عبادة كل معبود سوى الله من وثن وصنم وغير ذلك وقصر العبادة على الله وحده بقوله (الا الذي فطرني) ودلت على ان المنفي جنس تحته افراد موجودة في الخارج يعبدها المشركون وليست آلهة الا في حق من يعبدها ويتألهها دون من يكفر بها ويتبرأ منها ويعاديها ويعادي من عبدها

اذا ثبت ذلك وعرفت ان الحق فيما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله في بيان معنى هذه الكلمة فاعلم ان النحاة والمتكلمين اختلفوا: هل تحتاج لا النافية لخبر مضمر أم لا ؟ فمنعه الرازي والزمخشري وابوحيان ،وقالوا : انه يكفي في الدلالة على التوحيد ماتضمنته من النفي والاثبات. بناء على ان اصلها مبتدأ وخبر ثم قدم الخبر على المبتدأ ،ثم دخل حرف النفي على الخبر المقدم،ودخل حرف الاستثنى على المبتدأ فانتفت الالهية عن كل ماسوى لله من كل مايعبد من دونه من صنم ووثن وطاغوت وغير ذلك. هذا مضمون ماذهب اليه هؤلاء .وغيرهم وافقهم في المعنى فاتفقوا ان المستثنى مخرج بالا ولولا الاستثناء لدخل ، قال الكسائي :هو مخرج من اسم لا ، وقال الفراء :مخرج من حكم اسمها وهو النفي .والصحيح انه مخرج منهما كما قرره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

اذا عرفت ذلك فاكثر النحاة وغيرهم يقولون لا بد لها من خبر مضمر قال بعض من صنف في أعراب هذه الكلمة ومعناها ــ بعد كلام له سبق أقول: قد عرفت أن المضمر على تقدير ان يكون في الكلام اضمار اما الخبر او المرفوع بالا المكتفى به عن الخبر ، وقد عرفت ايضا ان المعنى المقصود في لا اله الا الله هو قصر الالوهية على الله تعالى

والعلامة الدواني قائل بهذا كما يشير اليه في البحث الخامس من رسالته وصرح به في شرحه للعقائد العضدية حيث قال : واعلم ان التوحيد اما بحصر وجوب

الوجود او بحصر الخالقية او بحصر العبودية ـ ثم قال :الاول كذا والثاني كذا ـ وساق الكلام وحقق المقام ، أي في رده الى ان قال ـ والثالث وهو حصر العبودية ، وهو ان لا يشرك بعبادة ربه أحدا فقد دلت عليه الدلائل السمعية ، وانعقد عليه اجماع الانبياء عليهم السلام ، وكلهم دعوا المكلفين أولا إلى هذا التوحيد ، ونهوهم عن الاشراك في العبادة قال تعالى (وتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعلمون) انتهى

ثم قال الناقل : ومصداق اجماع الانبياء قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لاإله الا أنا فاعبدون) بعد قوله تعالى (أم اتخذوا من دونه آلهة، قل هاتوا برهانكم؟ هذا ذكر من معي وذكر من قبلي، بل أكثرهم لايعلمون * الحق فهم معرضون) وقوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لاإله الا أنا فاتقون) وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (واسأل من قبلك من أرسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟)

الى أن قال : فاثبات الالوهية له تعالى على وجه الانحصار فرع على أصل ثبوتها له تعالى ، وأصل ثبوتها له تعالى فرع على ثبوته تعالى في نفسه بل اصل ثبوت الالوهية له تعالى أيضاً على مايقتضيه دلالة هذا الكلام لغة أمر مسلم الثبوت مفروغ منه لانزاع فيه. وانما النزاع ـ اي مع المشركين ـ في قصر الالوهية عليه تعالى فالموحد يخصها به فيقول لاإله الا الله، والمشرك ينكر ذلك استكباراً ،فيقول (اجعل الآلهة الها واحداً ان هذا لشيء عجاب) قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟)

الى ان قال : فاذا تمهد هذا فنقول : لما كان في لا إله الا الله نفي واثبات فهي في الحقيقة جملتان اسميتان ، لان كلا من النفي والاثبات يقتضي طرفين

ينعقد الحكم بينهما، فطرف الاثبات هو الاسم الجليل مع صحة الايجاب من آله فصح ان يقصر بالاولى استمرار الثبوت الممتنع الانفكاك، وبالثانية استمرار النفي الممتنع الانفكاك، ومقام الدعوة الى كلمة التوحيد قرينة على ان المعنى المراد من لا إله الا الله نفيا واثباتا هو هذا الاستمرار الممتنع الانفكاك ضرورة ان الشارع لا يقول الا صدقا

واستمرار ثبوت الالهية له تعالى على سبيل امتناع الانفكاك واستمرار انتفاء الالوهية عن غيره تعالى هو المطابق لما في نفس الامر، فهو المقصود للشارع فلم يبق الا ان أهل اللسان: هل فهموا ذلك منه حتى يكون دلالته لغوية أم لا ؟ فنقول: انهم قد فهموا منه ذلك بدليل قوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون ويقولون: أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون؟)

ووجه دلالته على ماذكرناه هو ان الصادق أخبر بان انكارهم لما يلزم من الاعتراف بلا إله الا الله من تركهم آلهتهم واختصاصه تعالى بالالوهية - انكار بمحض استكبار لا لتمسك عقلي. انتهى مانقلته وهو تقرير حسي موافق لما دل عليه الكتاب والسنة كما عرفت من صريح الآيات والاحاديث

لكن قوله وأصل ثبوتها له تعالى فرع على ثبوته تعالى في نفسه أمر فطري مسلم حتى عند أعداء الرسل فانهم يعرفونه ويعبدونه لكن عبدوا معه غيره. فدلالتها على وجوده تعالى دلالة التزام، فيلزم من اختصاصه بالالهية وجوده وكماله في ذاته وصفاته ومباينته للمخلوقين وانه أحد صمد لا كفء له ولا مثل له ولا شريك له، ولا ظهير له ولا ند له تعالى وتقدس كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وقال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) إلى أمثال هذه الآيات

رجعنا الى تقرير معنى هذه الكلمة العظيمة قال الله تعالى (ذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال ؟)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في هذه الآية (فماذا بعد الحق الا الضلال) فالآية انما سيقت فيمن يعبد غير الله ، فما عبد إلا الضلال المحض والباطل البحت . انتهى

وقد فسر العلماء من المفسرين وغيرهم سلفا وخلفا معنى قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ان الطاغوت هو الشيطان وما زينه من عبادة الاوثان كما تقدم .

ولا ريب أن الكفر بالشيطان يحصل بالبراءة منه ومعصيته في كل ماأمر به ونهى عنه . وكان موجوداً اعاذنا الله من عبادته ، وكذلك الاوثان يكفر بها المؤمنون ويتبرءون من عبادتها مع وجودها ومن عبادة المشركين لها

والمقصود ان نفي الاوثان الذي دلت عليه كلمة الاخلاص يحصل بتركها والرغبة عنها والبراءة منها ، والكفر بها وبمن يعبدها واعتزالها واعتزال عابديها وبغضها وعداوتها. وكل هذا في القرآن مبينا ، وقد انتفت عبادة كل ماعبد من دون الله مما هو موجود في الخارج مما يعبده المشركون سلفا وخلفا بهذه الكلمة كما تقدم

وقد ذكر تعالى عن خليله عليه السلام انه قال (فانهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهديني) الآيات وبالله التوفيق

وصح عن أهل السير والمغازي وغيرهم من العلماء : ان الله تعالى لما أرسل محمداً ﷺ يدعو الناس الى ان يشهدوا ان لاإله الا الله وانه رسول الله، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما تعبدها قريش ،وكانوا يعبدون اللات والعزى ومناة — وهي أكبر الطواغيت التي يعبدها أهل مكة والطائف ومن حولهم —

فاستجاب للنبي ﷺ من استجاب من السابقين الاولين، وهاجر من هاجر منهم الى الحبشة ، وكل من آمن منهم يشهد ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله رغبة عن الشرك وعبادة الاوثان وكفراً بها ، وبراءة منها ، ومسبة لها ، فصح اسلامهم وايمانهم بذلك مع كونها موجودة يعبدها من يعبدها ممن لم يرغب عنها وعن عبادتها

فبهذا يتبين انه ليس المراد من نفي الاوثان والاصنام وغيرها في كلمة الاخلاص زوال ماهية الاصنام ونفي وجودها ، وانما المراد انكار عبادتها والكفر بها وعداوتها كما تقدم بيانه ، وكل من تبرأ منها ورغب عنها فقد نفاها بقول لا إله الا الله، وأثبت الالوهية لله تعالى دون كل مايعبد من دونه. فلما تمكن ﷺ من إزالة هذه الاصنام كسرها وبعث من يزيل ما بعد عنه منها ، فخلت الجزيرة من أعيانها ، وهذا معنى قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وفيه الرد على الفلاسفة واهل الاتحاد القائلين بان المنفي كلي يوجد ذهنا ولا يوجد منه في الخارج إلا فرد بناء على مااعتقدوه في الله تعالى من الكفر به وبكتابه وبرسوله ، وقد عرفت ان المنفي بها أفراد متعددة من الاصنام والانداد والشركاء والاولياء من حين حدث الشرك بعبادة الاصنام في قوم نوح إلى أن تقوم الساعة. فيجب بلا إله إلا الله البراءة من كل مايعبده المشركون من دون الله. فلا بد من نفي هذا كله بالبراءة من عبادته ومن عابديه فمن تبرأ من عبادتها كلها وأنكرها وكفر بها فقد قال لا إله الا الله وأخلص العبادة لله وحده ، وصار بهذا التوحيد مسلما مؤمنا

وتأمل ماذكره المفسرون في قول الله تعالى (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب *أجعل الالهة إلها واحدا؟إن هذا لشيء عجاب)

قال ابو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: أنبأ ابو كريب وابن وكيع قال ثنا ابو اسامة أنبأ الاعمش ثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :لما مرض

أبوطالب دخل عليه رهط من قريش فيهم ابوجهل، فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثت اليه فنهيته، فبعث اليه ، فجاء النبي ﷺ فدخل البيت و بينهم و بين ابي طالب قدر مجلس رجل، قال فخشي ابوجهل ان جلس النبي ﷺ الى جنب ابي طالب ان يكون ارق عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له ابوطالب اي ابن اخي، مابال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال واكثروا عليه القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال «ياعم اني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤدي اليهم بها العجم الجزية» ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم كلمة واحدة ؟ نعم وأبيك عشراً ، فقالوا وماهي؟ وقال ابوطالب: واي كلمة هي ياابن أخي؟ قال « لااله الا الله » فقاموا فزعين ينفضون التراب عنهم (ويقولون اجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب ـ الى قوله ـ لما يذوقوا عذاب) لفظ أبي كريب . وهكذا رواه الامام احمد والنسائي من حديث محمد بن عبدالله بن نمير كلاهما عن أبي اسامة عن الاعمش عن عباد منسوبا به نحوه ، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من تفاسيرهم من حديث سفيان الثوري عن الاعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وقال الترمذي حسن

ففي هذا من البيان والعلم ، ان لا اله إلا الله تبطل عبادة كل ما يعبده المشركون من دون الله ، وتنفي ما كان بينهم من معبوداتهم الموجودة في الخارج باعيانها وفيه ان المشركين عرفوا معناها الذي وضعت له ودلت عليه من ابطال عبادة كل معبود سوى الله .

فاذا كان معناها هذا يعرفه كل أحد حتى المشركون يعرفون ما نفته وما أثبتته ، فاذا جاء ملحد لا يعرف معناها من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا لغة

ولا عرف ولا عرف من معناها ماعرفه المشركون . وقال ان لااله الا الله لم تنف الا كليا منويا لايوجد منه في الخارج الا فرد وهذا الفرد المنفي هو المثبت ، فاين هذا من معناها الذي يعرفه المسلمون وبه يدينون ، ويعرفه المشركون أيضاً ويشمئزون منه وينفرون ، كما قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

فالمشركون عرفوا وأنكروا مدلولها ، وهذا الملحد أنكر مدلولها مع الجهل بمعناها الذي يعرفه كل أحد حتى أعداء الرسل القائلون (أجئتنا لنعبد الله وحده؟)

فسبحان الله ماأبين ضلال هذا الملحد عند أهل البصيرة من أهل التوحيد ، وعند أهل الفطر والعقول قاطبة ، فكل ذي عقل ينكر هذا القول ويعرف بطلانه ،

ونذكر وجوها تبين بطلان هذا القول مع ماتقدم (الاول) ان هذا يناقض ما شهد الله به وشهدت به ملائكته وألو العلم من عباده قال تعالى (شهد الله أنه لااله الاهو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) فلم يبق معبود يعبده الاولون والآخرون من دون الله الا بطلت عبادته والهيته بشهادة الله عز وجل وملائكته وأولي العلم قاطبة ، وأن المعبودات التي بطلت بشهادة الله ليست كليا لايوجد منه في الخارج إلا فرد كما يقوله الملحد بل كل مايوجد في الامم وفي العرب من الاوثان والاصنام التي لا تحصى كثرة كاصنام قوم نوح وغيرها . ومن لم يعتقدان هذا هو الذي شهد الله به وملائكته وأنبياؤه بنفيه عن هـذه الاصنام ، وكل ماعبد من دون الله فما قال لا إله الا الله ، وما عرف من الاسلام مايعصم دمه وماله ، وصار عما شهد الله به في معزل

(الوجه الثاني) ان هذا القول ينافي مابينه الله تعالى في كتابه من ملة الخليلين لقوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون) الآية وقد تقدمت . وقال تعالى (وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ذلكم

خير لكم ان كنتم تعلمون * انما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) فذكرها عليه السلام بصيغة الجمع. أيجوز في عقل عاقل ان ماذكره تعالى عن خليله من انكاره لعبادة هذه الاوثان واخباره إنهم لا يملكون لعابديهم رزقا انها لا توجد في الخارج ؟ ولا ريب انه لا يجحد هذا الامكابر معاند مخالف لما جاءت به الرسل من التوحيد . وقوله تعالى عن خليله وقال (انما اتخذتم من دون أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) الآية . أيشك من له عقل ان تلك الاوثان موجودة عند عابديها يباشرونها بالعبادة ؟ وهل يعرف أحد من هذا السياق إلا انها موجودة معبودة منتفية بلا إله إلا الله

وكذلك قول الله تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ؟ اني أراك وقومك في ضلال مبين)

ولا خلاف ان الصنم شيء مصور على صورة شخص يعبد من دون الله. وذلك لا يكون إلا موجودا في الخارج فسماه الخليل أوثانا وآلهة وأنكرها وتبرأ منها وممن عبدها .

(الوجه الثالث) ان الله بعث محمداً ينهى قريشاً والعرب وغيرهم من المشركين عن أن يعبدوا مع الله غيره كاللات والعزى ومناة والاصنام التي كانت حول الكعبة كما تقدم ، وقد قال تعالى (أفرأيتم اللات والعزى — الى قوله — إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) أيشك احد بعد هذا انها موجودة تعبد من دون الله ؟ بل لا يشك مسلم ولا مشرك في وجودها وان قريشاً وغيرهم يعبدونها .

(الوجه الرابع) ان الله تعالى قال (إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن ياتيهم عذاب أليم * قال ياقوم اني لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فأجابوا رداً عليه فيما دعاهم اليه وقالوا (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا)

ومعلوم عند العماء قاطبة بل وعند العامة انها اسماء رجال صالحين صورها قومهم أصناما على صورهم وسموها بأسمائهم ، فآل بهم الامر الى أن عبدوها وهي موجودة في الخارج لايشك في وجودها أحد ،ولا ريب انها منتفية بكلمة الاخلاص لا إله إلا الله . وهذه الاصنام استخرجها عمرو بن لحي الخزاعي الكاهن لما كان والياً على مكة قبل قريش وفرقها في العرب فعبدوها كما عبدها قوم نوح كما ذكره البخاري في صحيحه .

(الوجه الخامس) ماذكره الله عن قوم هود لما دعاهم هود عليه السلام الى أن يعبدوا الله وحده ويتقوه قال لهم (ماتعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان)[1] فأجابوا بقولهم (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) فظهر ان لهم ولآبائهم معبودات في الخارج يعبدونها من دون الله ، ودعوة الرسل تبطل عبادتها .وتقدم ماذكره الله تعالى في سورة هود من قولهم لهود عليه السلام (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وهذا لايقال إلا على آلهة موجودة تعبد ، ودلت هذه الآيات على ان الالهية هي العبادة وان المشركين وضعوها فيمن لا يستحقها من صنم ووثن وطاغوت وغير ذلك .

(الوجه السادس) قول يوسف عليه السلام (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ * ما تعبدون من دونه إلا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) فسبحان الله أين ذهب عقل الفيلسوف حين اعتقد ان المنفي كلي لايوجد إلا ذهنا . ومعلوم انه لا يكون له اعداد على هذا الاعتقاد الباطل

وتبين ان كلمة الاخلاص نفت أربابا متفرقين وضعت عليها أسماء ماأنزل

---

(١) هذه الآية في قول يوسف عليه السلام . أما قول هود عليه السلام فهو (أتجادلونني في أسماء الخ) من سورة الاعراف

الله بها من سلطان كما كان اهل الاوثان يسمون آلهتهم ، وفيما ذكرنا في هذه الوجوه كفاية . فلو ذكرنا مايبطل قوله من الوجوه لبلغ مائة أو أكثر

***

وقد قدمنا عن أئمة اللغة في معنى الاله موافقتهم في لغتهم لما دل عليه الكتاب والسنة من معنى كلمة الاخلاص وما دلت عليه مطابقة وتضمنا والتزاما، وكذلك النحاة وجميع العلماء من المفسرين وغيرهم أجمعوا قاطبة على ان الاله هو المعبود وان العبادة حق لله لايجوز أن يصرف منها شيء لغير الله كائنا ما كان وان المنفي في كلمة الاخلاص كل ما كان يعبد من دون الله من بشر أو ملك او شجر او حجر او غير ذلك ، ولولا قصد الاختصار لبسطت القول في هذا المعنى العظيم الذي لا يصلح لاحد دين إلا اذا عرفه على الحقيقة وقبل مادل عليه الكتاب والسنة من بيان توحيد الاله وقصر العبادة عليه دون كل ماسواه

***

واعلم انني لما كتبت قبل هذا في رد قول هذا الملحد ان المنفى بلا إله إلا الله كلي منوي لايوجد منه في الخارج الا فرد وهو المستثني ، فأجبت بما حاصله :

اذا كانت لاإله إلا الله لم تنف إلا كليا منويا ، فعلى هذا القول الباطل لم تنف لاإله إلا الله صنما ولا وثنا ولا طاغوتا وصار النفي منصباً على الفرد ،فهو المنفي وهو المستثني ، وتناقض هذا لايخفى على من له عقل وفهم ، وقد عرفت ان هذه دعوى منه مخالفة لما بعث الله به رسله من توحيده ، وعلى قول هذا لم يكن للاإله إلا الله مدخل في الكفر بالطاغوت والبراءة من الاوثان التي صرح القرآن بنفيها بكلمة الاخلاص ـ لاإله إلا الله ـ كما في آية البقرة وغيرها وقد تقدم بيان ذلك،

وبهذا يتبين لمن له فهم ان قول هذا الرجل من أبطل الباطل وأبين الضلال وأمحل المحال .

والمسلم الموحد يعلم من الكتاب والسنة ومن قول اهل العقول الصحيحة والفطر السليمة أن لا إله إلا الله لها موضوع عظيم ومدلولها هو حقيقة الاسلام والايمان فانها انما وضعت للرغبة عن عبادة كل مايعبد من دون الله والبراءة منه والكفر به وانكار ذلك وبغضه وعداوته وعداوة من اتخذ الشرك في العبادة دينا ، وهذا هو أظهر مافي القرآن، وأبينه ايضاحا وتقريراً

وجواب ثان وهو قولي : كيف يجوز أن يكون الفرد الذي وجد من الكلي المنفي داخلا في المنفي بالا خارجا بالاستثناء فيكون متصفا بالنفي والاثبات وأحدهما نقيض الآخر ، وأن لا إله إلا الله لاتدل الا على هذا الفرد خاصة نفياً واثباتا ؟ هذا لايقبله إلا من كان عقله فاسداً لايعرف حقا من باطل ولا هدى من ضلال، كيف يصح استثناء فرد منفي ويكون هو المستثني فأين المستثنى والمستثنى منه الذي يعرفه العرب من لغتهم المستعمل في الكتاب والسنة وأقوال سلف الامة وأئمتها وأهل العربية وغيرهم ويعرفه اهل اللغات؟ فما أبعد ضلال هذا وأجهله وأبعده عن العلم واهله

***

ثم ان هذا الرجل سمع بما كتبته على قوله من الرد والابطال . فأجاب بقوله: قلنا إنما يلزم هذا لو أريد بالمستثني منه فرد خاص جزئي وانما أريد منه المفهوم العام المتناول لافراد المعبود بحق سواء كانت في الذهن أو في الخارج

(فالجواب) انه عدل عن قوله الاول الى ماهو أفظع منه وأشنع فزعم ان المستثنى منه انما أريد منه المفهوم العام المتناول لافراد المعبود بحق، فصرح بأن المستثنى منه انما أريد منه المفهوم العام المنفي مراداً، فصار المفهوم العام المنفي له افراد ومعلوم ان الافراد لاتوجد في الذهن وانما توجد في الخارج فتراه يحوم حول الباطل ويتهافت . وأعظم من هـذا قوله ان المفهوم العام المنفي متناول لافراد

المعبود بحق فجمل للمعبود بحق افرادا منفية بلا، و كلها حق، فكيف يجوز أن ينفى ماهو حق؟ وكيف تكون الافراد كلها حق ؟

فتدبر يتضح لك الحال. فهذه فنون من الضلال والالحاد يبديها تارة ثم يأتي بما هو أعظم منهـا وأبين في الضلال والمحال، والمنفي بلا في كلمـة الاخلاص لا يكون حقا بل هو الباطل كما دل عليه الكتاب والسنة وما عليه المسلمون، والحق في كلمة الاخلاص هو المستثنى وهو الله تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) لاشريك له في الهيتة ولا في ربوبيته ولا في أفعاله ولا مثل له ولا كفء له ولا ند له، وكل معبود سواه فباطل، ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم.

ولا يخفى انه يلزم على قول هذا ان للكلي افراداً معبودة فاذا كانت كلها معبودة بحق جاز أن تقصد بالعبادة وهذا دين المشركين الذي بعث الله رسله بانكاره وابطاله كما قال تعالى (وقال الله لاتتخذوا إلٰهين اثنين انما هو إله واحد) وقال تعالى (ولا تدع مع الله إلهاً آخر) والآيات في المعنى كثيرة جداً، فمن عبد مع الله غيره فقد ألحد وأشرك. وكل هـذه العبارات التي ذكرها هذا في ورقته ينكرها كل من له عقل.

***

وأصل هذا الرجل الذي اعتمده وعبر عنه هو بعينه الذي ذكره شيخ الاسلام رحمه الله عن افلاطون الفيلسوف واتباعه بنـاء منهم على كفرهم فانهم يقولون: ان الله هو الوجود المطلق.

ومعلوم ان هذا لا يكون له وجود متميز بنفسه مباين للمخلوقات إذ الكلي كالجنس والفصل والخاصة والعرض العام لا يوجد في الخارج منفصلا عن الاعيان الموجودة وهذا معلوم بالضرورة متفق عليه بين العقلاء.

قال شيخ الاسلام : وانما يحكى الخلاف في ذلك عن شيعة افلاطون ونحوه الذين يقولون باثبات المثل الافلاطونية وهي الكليات المجردة عن الاعيان خارج الذهن

(قلت) وهذا قول هذا الرجل في ورقته تبع فيه افلاطون وهو قوله: إن المنفي في لاإله إلا الله كلي لايوجد منه في الخارج الا فرد واحد وهو المستثنى وقد عرفت بطلان هذا القول من الكتاب والسنة وان العلماء أنكروا هذا القول غاية الانكار كما سيأتي في كلام شيخ الاسلام، لان المنفي بلاإله إلا الله كل مايعبد من دون الله وهي أجناس موجودة في الخارج ، كما قال الخليل عليه السلام (انني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فانه سيهدين) وقال تعالى عن اهل الكهف (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) ولا ريب ان المنفي ما كان اهل الشرك يباشرونه بعباداتهم وهي أنداد موجودة في الخارج .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى - في رده قول افلاطون ومن تبعه : والمعلم الاول ارسطو واتباعه متفقون على بطلان قول هؤلاء ، فلو ظنوا ان الباريء هو الوجود المطلق بهذا الاعتبار لوقعوا فيما منه فروا ، فان هذا يستلزم مباينته لجميع المخلوقات وانفصاله عنها مع ان عقلا لايقول ان الكليات هي المبدعة لمعيناتها، بل هم يقولون : ان العلم بالقضية المعينة المطلوب اثباتها - وهو علو الله على العالم - معلوم بالضرورة والفطرة، ويعلمون بطلان نقيضها بالفطرة والضرورة، ويعلمون انه اذا لم يكن مباينا كان داخلا محايدا فيلزم الحلول والاتحاد .

وذكر رحمه الله تعالى في موضع آخر : ان قدماء الفلاسفة خالفوا افلاطون واتباعه في الكلي والجزئي لانه قول غير معقول

(قلت) وبهذا يعلم ان قول هذا الرجل ان المنفي كلي لايوجد في الخارج قول غير معقول .

وذكر شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ان جميع الطوائف من المسلمين وغيرهم

خالفوا هذا القول وذكروا انه لايعقل، وذكر رحمه الله تعالى ان الفلاسفة واهل الاتحاد لم يفرقوا بين القديم والحديث ولا بين المأمور والمحظور ، وقد وقع كثير من الصوفية في هذا الضلال ، وكلتا الطائفتين ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل .

وقال رحمه الله تعالى : ان ابن سينا ومن تبعه أخذوا اسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ،فأخذوا مخ الفلسفة وكسوه ثوب الشريعة، وهذا كلفظ الملك والملكوت والجبروت واللوح المحفوظ كما يوجد في كلام أبي حامد يعني الغزالي ونحوه من أصول هؤلاء الفلاسفة الملاحدة الذين يحرفون كلام الله ورسوله

(قلت) ومن ذلك ماذكره العلامة ابن القيم عنهم من انهم يقولون عناية الهية وتحت هذه الكلمة نفي القدر والحكمة.

*
* *

ثم ان هذا في ورقته صرح بأن معنى لاإله لا الله، مثل لا شمس الا الشمس، استثناء للشيء من نفسه وهذا قول في غاية الضلال والجهل باطل بأدلة الكتاب والسنة لايقوله أحد من الأولين والآخرين ولا في لغة أحد ، وليس في المعقول والمنقول الا رده وابطاله ، ومن لم يعرف بطلان هذا القول فلا حيلة فيه

وتأمل قول هـذا أيضا : وخلاصة المعنى سلب مفهوم الآله لما سوى الله وايجابه له وانحصاره فيه وصرح بهذا المراد بالا الله

(قلت) من يسمع كلامه هذا ظن انه حق وقد بناه على مامثل به لاشمس الا الشمس وحقيقة هذا القول ان الاله واحد يبينه قوله سلب مفهوم الا له على ماتقدم له من ان المنفي كلي لايوجد منه في الخارج الا فرد ، وقد عرفت مما قدمناه ان توحيد الانبياء والمرسلين البراءة من عبادة الاصنام والاوثان والطواغيت وكلها موجودة في الخارج بأعيانها كما قال تعـالى عن قوم نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم

ولا تذرن وداً ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا) فتبين ان نوحا عليه السلام دعا قومه الى ترك عبادة هذه الاصنام والبراءة منها والكفر بها و كذلك هود عليه السلام دعا قومه الى عبادة الله وحده وترك ما كان يعبده آباؤهم كما أخبر تعالى عنهم انهم قالوا له (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا)

ومعلوم ان آباءهم لم يكونوا يعبدون كلياً ذهنيا لا يوجد الا في الذهن ، بل يعبدون أشخاصا موجودة في الخارج وقد قالوا لهود عليه السلام (إن نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وقد تقدم من الادلة مايدل على ان المنفي والمنهي عنه هو عبادة الاصنام والاوثان والطواغيت التي تعبد من دون الله كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله) فلا يشك مسلم بل كل من له عقل ان الطواغيت التي يعبدها المشركون موجودة في الخارج ، والقرآن من اوله إلى آخره يدل على هذا

فيا من لا يعرف من كلمة الاخلاص ماعرفه عوام المسلمين ، ارجع إلى نفسك وتأمل ماوقعت فيه ، أما علمت ان لا النافية انما وضعت لغة لنفي الجنس تنصيصا ؟ والجنس الذي وضعت له لا بد له من أشخاص متعددة في الخارج قديمة وحديثة يعبدها كل مشرك ؟ وليست كليا لا يوجد إلا في الذهن ، فان هذه الدعوى الباطلة لم يقل بها مسلم في معنى كلمة الاخلاص حتى المشركين في لغاتهم لا يعرفون أن هذا معناها ولا انها سلبت مفهوم الاله ، بل عرفوا كلهم أن من دعاهم إلى أن يقولوا لا إله إلا الله فانما أراد منهم ترك ما كانوا يعبدونه من أصنامهم وأوثانهم وطواغيتهم التي كانت عندهم يعبدونها من دون الله

أما قريش والعرب فأخبر الله تعالى عنهم انهم لما قال لهم رسول الله ﷺ «قولوا لا إله الا الله» (قالوا اجعل الآلهة الها واحداً ـ الى قوله ـ وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد) وآلهتهم اللات والعزى ومناة التي

كانت حول الكعبة؛ فهذا هو المراد من هذه الكلمة من لغتهم لا يعرفون غير ذلك.
فمعنى النفي في هذه الكلمة ترك عبادة الاوثان والبراءة منها ، والكفر بها وعداوتها وعداوة من عبدها ، وقد كان العرب يقولون في تلبيتهم: لبيك لاشريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، والشريك انما هو أوثانهم، أشركوها مع الله في العبادة واتخذوها أنداداً كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) ومفهوم الاله الذي لا يوجد إلا ذهنا لا يوصف بالاتخاذ ولا بالمحبة بل ولا له ثبوت .

وتأمل ما فهمه أعداء الرسل لما دعتهم الرسل الى أن يعبـدوا الله وحده . قال تعالى عن قوم هود (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وقالوا (أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) عرفوا انه دعاهم الى ترك عبادتها والبراءة منها قال تعالى (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء)

والمفهوم الكلي الذي لا يوجد في الخارج لا يوصف بهذه الصفات ولا يجمع بهذا الجمع بل ولا يتصور أن يدعى من دون الله . وقال تعالى عن قوم صالح (ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا * أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) عرفوا أنه أراد منهم ونهاهم أن يعبدوا مايعبد آباؤهم من الاوثان . وقال تعالى عن قوم شعيب (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) عرفوا في لغاتهم انه نهاهم عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم من الاوثان الموجودة في الخارج

وتأمل قول الله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) وقال (واتخذوا من دون الله آلهة قل هاتوا برهانكم) وقال(أم اتخذوا من دون الله شفعاء) وقال (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) ولا شك عند من له أدنى مسكة من عقل ان

الذي اتخذه المشركون يعبدونه من دون الله أشخاصاً متعددة في القرآن من هذا النمط لاتحصى . والمقصود أن الرسل من أولهم الى آخرهم دعوا أممهم الى عبادة الله وحده لاشريك له، وترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دونه ، والكفر به والبراءة منه كما أفصح عن ذلك خليل الرحمن ابراهيم كما قال تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين) وقال (انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

فالنهي عن عبادة الاصنام والطواغيت والبراءة منها والكفر بها واخلاص العبادة لله وحده هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل ، وأفصح القرآن عنه ، وجرى بسبب جحوده على الامم والمشركين ماجرى من العذاب والذهاب والعقاب فان هذا من سلب مفهوم ذهني لا يفيد شركا ولا براءة ولا عداوة

فسبحان من طبع من شاء من عباده عن فهم مابعث الله به رسله من توحيده في العبادة، وصرفهم عن فهم الادلة التي أظهر فيها لعباده مراده ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وبهذا يتبين فساد ما لبس به هذا المفتري في معنى كلمة التوحيد ، وانه مصادم لما في كتاب الله من تفسير هذه الكلمة العظيمة ومناقض لما بعث الله به رسله من اخلاص العبادة له وترك عبادة ماسواه والبراءة منها ،وهذا أظهر شيء في القرآن وأبينه ، لا يمتري فيه مسلم

ونشير الى ما ذكره بعض العلماء في أصل هذه المقالة وبطلانها .

***

قال ابراهيم بن سعد الكوراني في مصنفه في بيان معنى لا اله الا الله واعرابها،

وانها دلت على توحيد الالهية مطابقة وتضمنا وما دلت عليه التزاما، وذكر كلاما في تقرير هذا المعنى، وذكر أن بعضهم اشترط في لا النافية للجنس في هذه الكلمة الوحدة الذهنية فجعلوا الجنس المنفي واحداً لا يوجد الا ذهنا ـ قال: وبما ذكرناه يتضح انه لا يصح أن يقال نأخذ الجنس بشرط الوحدة الذهنية فتكون القضية طبيعية (اما أولا) فالمراد بالجنس ـ بلا شرط ـ الصالح للصدق على الافراد كما هو الشأن في موضوع القضايا (واما ثانياً) فلان الكلام يخرج عن افادة التوحيد بالكلية لان حاصله حينئذ هذا الجنس المأخوذ بشرط الوحدة الذهنية المغايرة لله تعالى منتف وليس هذا من التوحيد في شيء ولا شم من رائحة الدلالة عليه

ويقال ثالثاً ان أريد ان هذا الجنس منتف في الذهن فهو قطعي البطلان اذ كل من ينطق بهذا التوحيد مستحضراً لمعناه قد تحقق هذا الجنس في ذهنه فكيف يصلح نفيه، وعلى كل حل فلا يصح تفسيراً لهذه الكلمة، لان المراد من لا إله إلا الله هو الدلالة على توحيد الالوهية وهذا معلوم بالضرورة. وعلى تفسيرهم يكون بينه وبين الدلالة على التوحيد بعد المشرقين

(قلت) وهذا الذي ذكره ابراهيم ابن سعد من اشتراطهم أن يكون الجنس فرداً لا يؤخذ الا ذهنا، هو الذي صرح به هذا الملحد في ورقته وهو ان لا في كلمة التوحيد سلبت مفهوم الاله الذي لا يوجد إلا ذهنا، وقد عرفت بعد هذا عن التوحيد الذي دلت عليه كلمة الاخلاص

ولقد صرفوا هذه الكلمة العظيمة عما وضعت له وأريد بها لغة وشرعا وعقلا وفطرة فانها وضعت للبراءة من كل ما يعبد من دون الله وابطال عبادته والكفر به وقد عرف هذا كل أحد حتى مشركو الامم ومشركو العرب كما تقدم بيانه.

***

وأما قوله: وخلاصة المعنى سلب مفهوم الاله لما سوى الله وايجابه له وانحصاره

فيه ، وصرح بهذا المراد بإلا الله ، فمراده بقوله وايجابه له وانحصاره فيه ، هذا هو توحيد الفلاسفة وأهل الوحدة ، فان الله عندهم مسماه الكون المطلق ، فكل ما كان خارجا عن الذهن من الاشخاص فقد دخل في مسمى الله ، فكل مافي الكون من خبيث وطيب فهو الله، كما ذكره شيخ الاسلام وابن القيم وغيره عنهم فواجب الوجود والممكن كله داخل في هذا المسمى عندهم ، وقد صرحوا بهذا في كتبهم فلم يفرقوا بين الخالق والمخلوق ، وقد قدمنا التنبيه في كلام شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما تعالى كما ذكر ابراهيم بن سعد ذلك عنهم وكما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

يا أمة معبودها موطوءها أين الاله وثغرة الطعان؟

والناصح لنفسه يكون من هؤلاء الملبسة على حذر ، ولا يهمل السؤال عنهم وعن مذاهبهم وما يخدعون به العامة من زخرف القول الذي ربما يظن الجاهل انه حق وهو عبارة هؤلاء عن باطلهم كما نبه على ذلك شيخ الاسلام من وضعهم اسماء الحق على باطلهم، وكل طائفة من اهل البدع لها توحيد ، وهذا الذي ذكرناه هو توحيد الفلاسفة والاتحادية وقد أضلوا بما موهوا به كثيرا ممن ينتسب الى العلم

ياقومنا ، الله في اسلامكم لا تفسدوه لنخوة الشيطان

وتأمل ماذكره الفخر الرازي في معنى لا إله إلا الله فانه قال : التحقيق ان المضمر المرفوع بإله راجع بالحقيقة الى نفي الاعيان التي سموها آلهة من حيث انها آلهة لا الى وجودها في حد ذاتها ضرورة انها موجودة في الخارج بالفعل محسوسة .

وحاصله نفي كل فرد من افراد إله من تلك الحيثية غير الله راجع الى نفي الالوهية عن كل موجود غير الله انتهى

فتأمل قوله راجع الى نفي الاعيان التي سموها آلهة (قلت) وهو الحق لانها نفت إلٓهية كل مالوه يألهه المشركون غير الله من كل صنم ووثن وشريك

وطاغوت ، وهذا هو مدلول لاإله الا الله ، نفى إآلهية كل مايؤله من دون الله وقوله لا الى وجودها دفعا لقول من قال ان الخبر المضمر موجود ، وقد بين وجه ذلك ، وتقديره للخبر بأحد قريب مما تقدم في المعنى .

وتأمل قوله : وحاصله نفي كل فرد من افراد إله ، فبين ان المنفي له افراد كثيرة وهذا ظاهر بين لايمنعه أحد كما هو ظاهر في الكتاب والسنة واللغة والفطرة خلافا للفلاسفة ، وكذلك قوله راجع الى نفي الآلهية عن كل موجود غير الله ، وهذا هو الذي يعرفه الناس كلهم إلا ماكان من هذه الطائفة ومن اهل الوحدة فانهم ألحدوا في التوحيد وأتوا بكل مايستحيل عقلا وشرعا ، فسبحان الله والله أكبر أيجوز في عقل ان المشركين من أولهم الى آخرهم الذين عبدوا مع الله غيره انهم انما عبدوا فردا في الذهن لاوجود له في الخارج؟ هذا أمحل المحال وابطل الباطل

وقد نبهت فيما تقدم على انهم أرادوا بهذا ان الاصنام والاوثان والطواغيت لا تدخل في المنفي لانها من جملة الوجود الذي يسمونها الله

وأقول أيضا : الآلهة هي الانداد والطواغيت والشركاء وقد قال تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) فذكرها مجموعة لكثرة افرادها في الخارج ، وقال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) فذكرها بصيغة الجمع يدل على كثرة افرادها وقال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) وقال (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) وهذه الآيات تدل على ان المعبودات التي تعبد من دون الله كثيرة من الطواغيت وغيرها كقوله في آية البقرة (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وكقوله (وجعلوا لله شركاء الجن) ولا ريب ان الجن لهم وجود في الخارج ، وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) فدلت هذه الآيات على ان لهذه المعبودات افرادا كثيرة وكلها منتفية بلاإله إلا

الله ، كما قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله آلهة ، قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون) وهذاواضح بحمد الله فبطل ما اختلقه الفيلسوف وتبين به إلحاده في التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه (فاعتبروا ياأولي الابصار)

***

واعلم ان هؤلاء الزنادقة قد طردوا أصلهم هذا حتى في الايمان كما قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كتاب الايمان عن هؤلاء: انهم يثبتون لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لا حقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا محدثا ، ويقدر انسانا لا موجوداً ولا معدوما ، ويقول الماهية من حيث هي لاتوصف بوجود ولا عدم ، ويقول الماهية من حيث هي هي شيء يقدره الذهن ، وذلك موجود في الذهن لا في الخارج ، فهكذا الايمان يقدر ايمانا لايتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد كتقدير انسان لا يكون موجودا ولا معدوما بل ما ثم ايمان الا مع المؤمنين

(قلت) وكذلك إله لا يوجد إلا مع مألوه تألهه القلوب بالعبادة ، وقد أشرت الى ما ذكره شيخ الاسلام عن هذه الطائفة كابن سينا ومن سبقه أخذوا أسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ، ثم صاروا يتكلمون بتلك الاسماء فيظن الجاهل انهم قصدوا بها ما قصده صاحب الشرع ، فأخذوا مخ الفلسفة فكسوه ثوب الشريعة، وهذا كلفظ الملك والملكوت والجبروت واللوح المحفوظ ، والملك والملكوت والشيطان والحدث والقدم وغير ذلك ، وقد ذكرنا من ذلك طرفا في الرد على الاتحادية لما ذكرنا قول ابن سبعين وابن عربي وما يوجد في كلام أبي حامد وغيره من أصول الفلاسفة

والملاحدة التي يحرفون بها كلام الله ورسوله عن مواضعه كما فعلت القرامطة الباطنية انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

والمقصود من هذا الجواب بيان ماقد يعتريه الجاهل من كلام هؤلاء الذين يلبسون على العامة فيأتونهم بما لا يعرفون انه حق و باطل فربما اعتقدوه تعليلالهؤلاء فيقعون في حيرة وشك، وهم قبل الابتلاء بهؤلاء في عافية .فسبحان مقلب القلوب

والاصل في ذلك ماأشار اليه شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في مثل هؤلاء انه ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه مايدفع الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله مايقدمونه على الاهل والمال، وهؤلاء ان عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فان لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب والا صاروا مرتابين وانتقلوا الى نوع من النفاق انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

فليكن العبد المؤمن من المحنة بأهل الاهواء على حذر ومن دنياه على خطر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا على توحيدك وطاعتك وتقواك ، وأقم لنا ديننا الذي ارتضيته لنا وثبتنا عليه ،اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين

ونختم الجواب بذكر ماذكر العلماء رحمهم الله تعالى في معنى لاإله إلا الله:

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : الكلام على لاإله الاالله :الاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لااله الا الله ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك .

وقال البقاعي : لا اله الا الله أي انتفى انتفاء عظيما أن يكون معبوداً بحق

غير الملك الاعظم ،فان هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من اهوال الساعة ، وانما يكون علما نافعاً اذاكان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه والا فهو جهل صرف .

وقال الطيبي: الاله فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب من أله إلاهة أي عبد عبادة

(قلت) وهذا الذي ذكره الطيبي رحمه الله تعالى على معنى ماثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ (ويذرك وإلاهتك) قال لانه كان يعبد ولا يعبد، وهذا ظاهر بحمد الله لمن تدبر القرآن وعرف حقيقة الاسلام والايمان

والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا



